بسم الله الرحمن الرحيم

النقد الأدبي الإسلامي

بدأ النقد الإسلاميّ - شأن الأدب الإسلاميّ - بنزول القرآن الكريم، وانطلاق دعوة التوحيد. وإن ما في القرآن الكريم من آيات كثيرة تتعلق بالشعر والشعراء، والكلمة ومسؤوليتها وأنواعها، هو البذرة الأولى للأدب والنقد الإسلاميين.

ثم كانت أحاديث النبيّ ﷺ ومواقفه الكثيرة من الشعر والشعراء وأصحاب القول، وأرباب البيان؛ هي البذرة الثانية لهذا المنهج. ثم كانت أقوالٌ كثيرة جداً للصحابة والفقهاء والعلماء والنقاد هي البذرة الثالثة لهذا النقد الإسلامي.

إن جذور هذا النقد إذاً جذورٌ قديمة، وقد ترك لنا التراث الأدبيّ العربيّ - في عصوره المختلفة - ما يصلُحُ أن يتأسس منه هذا النقد.

قد لا تكون صورة هذا النقد - قديماً وحديثاً - قد تبلورت بعد على شكل نظرية متكاملة العناصر والأطراف، ولكنه موجود، وهو يحتاج إلى هذا التأسيس المنهجيّ؛ لأن مادته حاضرة واضحة. وقد يلتقي هذا النقد مع نظريات نقدية غربية أو شرقية في نواحٍ كثيرة، ولكنه ليس واحداً منها.

إن هذا النقد الإسلامي يلتقي - على سبيل المثال - مع النقد الجمالي أو الشكلاني في الاهتمام بالشكل؛ فهو (التعبير الفنيّ)، ولكنه يختلف عنه في أنه لا يُهمل المضمون، (فهو التعبير الفنيّ الهادف عن التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة)، فهو إذاً لا يُسقط من قيمة الأفكار والمعاني، ولا يعُدُّها أمراً ثانوياً لا أهمية له، والشكل فيه ليس هدفاً في حد ذاته، وغايته ليست جمالية فحسب، ولكنه وسيلة لخدمة المعنى، وتقديمه في صورة باهرة مؤثرة.

وإن النقد الإسلاميّ يلتقي مع النقد التاريخي، أو الاجتماعي، أو الإيديولوجي عامة في الاهتمام بالمضمون، وتوفير النصوص التي تخدم قضايا المجتمع والناس، وتعالج همومها، ولكنه ليس نقداً تاريخياً، ولا اجتماعياً، ولا إيديولوجياً، لأن مفهومه عن المجتمع والواقع والناس مختلف عن مفهوم هذه المناهج والاتجاهات، ولأنه - في توقيره للمضمون الذي توقره هذه المناهج، وفي وقوفه عنده طويلاً - لا يقبله، ولا يعززه على حساب الشكل، كما تفعل بعض تلك المناهج المذكورة.

وإذا كان النقد الأدبي - في مفهومه العام - هو مقاربة النصوص، والبحث عن جمالياتها، وتحليل هذه الجماليات؛ فإن النقد الأدبي الإسلامي لا يحصُرُ هذه الجماليات في الشكل وحده، ولكنه يجعلها متحققةً بالشكل والمضمون معاً؛ فالنص الأدبيّ المتميز هو جِماع شكل متألقٍ باهر، ومضمونٍ خيّرٍ نبيل.

وهكذا يبدو النقد الأدبي الإسلامي ذا خصوصية معينة، تجعله متميزاً من غيره مهما التقى معه في بعض التصورات والآراء.

مدير التحرير

مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (٢٥) العدد (٩٨)
رجب - رمضان ١٤٣٩هـ
نيسان (أبريل)- حزيران (يونيو) ٢٠١٨م

رئيس التحرير
د . عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
د . ناصر بن عبدالرحمن الخنين

الإخراج الفني
عيسى محمد الهلال

المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٠٠٩٦٦١١٤٦٢٧٤٨٢
٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

الاشتراكات
للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أو ما يعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٦ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أو ما يعادلها، اليمن ١٥٠ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

من كُتّاب العدد

د. مصطفى عطية جمعة

عبداللطيف الجوهري

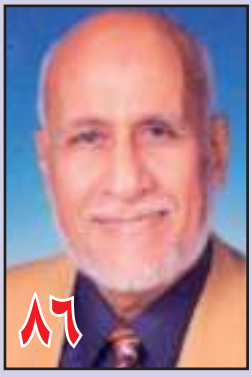

د. حمادة إبراهيم

د. عماد الدين خليل

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- تكتب الموضوعات المرسلة على الحاسوب مع ضبط الشعر، وألا يزيد على عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لا ينشر لا يعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب،موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

مدير التحرير
د . وليد إبراهيم قصاب

سكرتير التحرير
أ . شمس الدين درمش

هيئة التحرير
د . سعد أبو الرضا
د . عبد الله بن صالح المسعود
د . محمد عبدالعظيم بن عزوز
د . علي بن محمد الحمود

مستشارو التحرير
د . عبدالعزيز الثنيان
د . عبدالباسط بدر
د . حسن الهويمل
د . عبدالله العريني
د . رضوان بن شقرون

في هذا العدد

دراسات

❖ **الافتتاحية**

- النقد الأدبي الإسلامي — مدير التحرير — ١
- الجمال.. والجمال الأدبي بين الاحتفاء والإسقاط في النقد الإسلامي — عباس المناصرة — ٤
- نقد النقد.. الماهية والمنجز والآلية — د. مصطفى عطية جمعة — ١٨
- شاعرية القص في مجموعة (ظلال وارفة) للأديبة سعاد الناصر — د. حلمي محمد القاعود — ٣٢
- أثر الإسلام في الأدب الروسي الحديث — محمد عبدالشافي القوصي — ٤٤
- الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر الحسين شيخ الأزهر.. شاعرا محافظا مصلحا — د.غريب جمعة — ٥٠
- أفذاذ غادروا في صمت.. العلامة الدكتور حسين مجيب المصري — عبداللطيف الجوهري — ٦٦

❖ **الورقة الأخيرة:**

- الشعراء المحدثون والتيه — د. عماد الدين خليل — ١١٢

نصوص إبداعية

- أنا لا أزال أشد قوس عقيدتي – شعر — محمود مفلح — ١٥
- تعليم خاص – قصة قصيرة — سعيدة بشار — ١٦
- صواريخ غدر – شعر — د. عبدالرحمن العشماوي — ٢٣
- أستاذ أميٌّ – قصة قصيرة — منى أحمد — ٢٤
- تحية للمعلم – شعر — سالم بن رزيق بن عوض — ٣٠
- الحمامة الوالهة – قصة قصيرة — إبراهيم حافظ غريب — ٤٢
- وصية إلى ابنتي – شعر — أشرف قاسم — ٤٣
- الرحيل من الأرض الخراب – شعر — الشربيني محمد شريدة — ٦٢
- رمز الجمال في رثاء محيي الدين صالح – شعر — وحيد الدهشان — ٦٥
- صهوة القلق – شعر — د. عمر خلوف — ٧١
- رحلة العمر – قصة قصيرة — تشارلز ديكنز ترجمة: سارة صالح — ٧٢
- الشرف الرفيع – قصة قصيرة — علاء سعد حميدة — ٨٠
- بلبلان – شعر — د. حيدر الغدير — ٨٥
- فاطمة الزهراء رضي الله عنها – مسرحية — د. حمادة إبراهيم — ٨٦
- كلمات إلى قابيل – شعر — أحمد عبدالحفيظ شحاتة — ٩٤
- رحلت مع رحيل أمي – شعر — عاطف عكاشة — ٩٥
- مكان واحد يجمعنا – قصة قصيرة — د. أحمد صوان — ١٠٠
- مرحى – شعر — أحمد محمد أبو شاور — ١٠١

الأبواب الثابتة

❖ **لقاء العدد:**

- مع الدكتورة وضحى بنت مسفر القحطاني — حوار: التحرير — ٢٦

❖ **من التراث:**

- قدموا لأنفسكم – شعر — بديع الزمان الهمذاني — ٤٩

❖ **من ثمرات المطابع:**

- أثر العولمة في الكتابات العربية الأدبية الإسلامية في التسعينيات — محمد أويس الصديقي القاسمي — ٧٤

❖ **مكتبة:**

- أدب الأطفال.. بحوث ودراسات — عرض التحرير — ٨٢

❖ **رسالة جامعية:**

- التصوير البياني عند شعراء الرسول ﷺ.. دراسة بلاغية نقدية مقارنة للباحث طاهر أبو سيف — عرض: محمد عباس عرابي — ٩٦

❖ **أخبار الأدب الإسلامي** — إعداد: شمس الدين درمش — ١٠٠

الجمال والجمال الأدبي بين الاحتفاء والإسقاط في النقد الإسلامي

عباس المناصرة- الأردن

عتبة الجمال مدخل عام:

الجمال صبغة الله في خلقه وهو الجميل المتعال، الذي جلت حكمته وعمت رحمته، فجعل الجمال المظهر المسيطر على الحياة والمخلوقات، ومن علامات رحمته أن جعل الجمال يسري ويتغلغل في حياة المخلوقات، حتى تعيش حياة الأنس والطمأنينة بهذا الجمال الذي يمتد في نسيج الوجود، كما يمتد الماء الذي يسري في خلايا الغصن الأخضر فيعطيه الخضرة واليناع والثمر.

أما في الأدب الذي يعبر عن موقف الإنسان من جدوى الحياة وقيمته في النفس، فالجمال يشكل العمود الفقري للأدب والفن، بل به يتميز الأدب عن أنشطة العقل الإنساني الأخرى كالعلم والفكر، لأن الأدب يقوم على البناء الفني والبلاغي والنوعي الذي يتميز به النوع الأدبي.

◁◁ لا جمال بدون وظيفة:

الحق جميل بذاته، والجمال ظله الذي لا ينبت عنه ولا يفارقه، بالجمال يزداد الحق وضوحا وتألقا، بل إن الحق هو الذي يمنح الجمال قيمته، ويجعل له مقاما، وذلك حين يضعه في وظيفته الشرعية التي أرادها الله له، لينفي عنه الخبث والعبث، ويحميه من الاستغلال أو التوظيف في خدمة الشر وتزيين قيمه الفاسدة، فيظهر الباطل وينكشف قبحه، وبذلك يحمي الناس من الوقوع في حبائله.

وإذا أردنا أن نتقن أمر الله في الأدب فعلينا أن نجوده ونحسنه ونعطيه حقه من الإتقان الجمالي، لقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)[1]، وفي الحديث الآخر قوله صلى الله عليه وسلم: (إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة هو صلاته)[2] لماذا؟ لأنها عمود الدين، وكذلك الأدب يمكن أن نقيسه على هذا الحديث، فكما أن الصلاة عمود الدين، فكذلك الجمال عمود الأدب، فإذا صلح العمل الأدبي جماليا وفنيا، وحقق المستوى المطلوب الذي يثبت أدبية الأدب، ينظر فيما تبقى من العمل الأدبي (النص) من المضامين، والموقف والصدق الفني والشعوري وغيره، وإذا هزل الجانب الجمالي الفني أهمل، ولم يكترث له، لأن الإتقان للعمل الأدبي مطلب شرعي وأدبي ونقدي لا تهاون فيه.

وأكبر دليل على ما نقول ما فعلته التيارات اليسارية والقومية والليبرالية في الستينات من القرن الماضي في منتجها الأدبي، حيث نشرت أفكارها عن طريق (الرواية والمسرحية والشعر والمقالة والخطبة وغيرها)، وقد تسربت أفكارها عن طريق هذه الفنون، وحيث قام الناس بامتصاص هذه الأفكار عن طريق المتعة الأدبية الجاذبة وسحر البيان، وهذا هو خطر (المنطق الأدبي) الذي يختلف عن المنطق (الفلسفي أو العلمي)، لأنه يوصل أفكاره بطريقة غير مباشرة تقوم على الجمال الأخاذ وسحر البيان، ذلك الجمال الذي يأخذ بالقلوب دون البحث عن القناعة أو البرهان أو الحوار، بل بالخضوع لتأثير الإيحاء الفني الذي يشعه النوع الأدبي.

◁◁ الجمال وما أدراك ما الجمال؟

أ. التقارب والتداخل بين الأدب والفنون في الجانب الجمالي وأدواته، غير أن الجمال في الأدب يعتمد على اللغة وتوظيفها في بناء الشكل الجمالي البلاغي الموحي، الذي يحرك في النفس حالة التفاعل التي يصنعها الأدب محدثا حالة من السرور والاستمتاع، يخرج مكنونات النفس ومواقفها حين تكتشف ذاتها، أو ما يوافق هواها وطبعها وألفتها، أو ما يخالف هواها وطبعها أو يؤلمها.

ونقصد بالشكل الأدبي الموحي، أنه مصطلح ووعاء جامع حامل وحافظ وناقل، يحتوي المضمون الذي يحمله ويوصله إلى الآخرين.

لا يوجد شكل بدون مضمون أو معنى، ولا مضمون بدون شكل يحمله ويحفظه ويحميه من الضياع.

ب. هل الجمال من الأمور الممكنة؟

نحن نرغب في حصر كلامنا عن الجمال في موضوع محدد، هو الجمال الأدبي (علوم البلاغة والفنيات) لأننا بذلك نحمي أنفسنا من الوقوع في لجج وبحار الجمال الذي يغمر وجه الحياة، ويأخذ كل مخلوق منه بنصيب، حتى نتمكن من الكلام في جمال الأدب.

والجمال الذي هو العمود الفقري للأدب، هو من صميم الدعوة النبوية الشريفة إلى إتقان العمل بأفضل صورة ضمن مواصفات أي فن أو أي مهنة

من المهن إلى حد الاحتراف، كما أن التنازل عن مواصفات الإتقان لأي فن أو مهنة تخدم الأمة، هو نوع من التدليس والغش لها وعدم النصح.

وقد ورد الموضوع الجمالي في القرآن الكريم مذكرا به من خلال آيات كثيرة، بمسميات كثيرة، ومن هذه المسميات التي تدل على الجمال مفردات مثل: (الجمال، الزينة، تلذ، حبب، أحسن تقويم)، وكلها تشير إلى عظمة الخالق وإبداعه الذي جعله في خلقه، وكله جمال مرتبط بالوظيفة، وليس جمالا عابثا منفصلا عنها، فوجود الكواكب والنجوم في السماء مثلا يعطيها وظيفة الروعة والجمال، وهي أيضاً رجوم للشياطين حين يسترقون السمع للملأ الأعلى، وبها يهتدي الناس في سفرهم لأنهم يجعلون منها علامات لتحديد الجهات الأربع، ومن هذه الآيات الكريمة التي تتكلم عن الجمال، نختار بعضها على سبيل المثال، ومنها قول الله تعالى في الآيات الآتية:

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦)﴾(النحل).

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ...(٥)﴾ (الملك).

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ... (٣١)﴾(الأعراف).

﴿... وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ...(٧)﴾ (الحجرات).

ونلاحظ أن هذه الآيات الكريمة، تذكرنا بالجمال الذي يغطي وجه الكون والمخلوقات، جمال الهيئة، وجمال القوام، وجمال الوجه، وجمال اللغة والخطاب، وجمال السماوات والأرض والمخلوقات والنبات والجماد، وكل ذلك مع كمال الوظيفة التي تنفي العبث، وتشير إلى عظمة خالقها العظيم المتعال.

ج.الأدب والمعادلة الجمالية المركبة:

هذه المعادلة التي تتكون من:

(حقائق الواقع + القيمة الشعورية + الموقف الشعوري + جدوى الحياة = الصياغة الجمالية)

وهي معادلة تشير إلى بعض التيارات النقدية التي تعتبر الشكل الفني هو الأدب، وهو المضمار الذي يتبارى فيه الأدباء على السبق في الإبداع وعلى التنافس والتنوع.

محمد الحسناوي

ونسي هؤلاء أن الأولى أن يستوعبوا أن لا شكل بدون مضمون، ولا مضمون بدون شكل، وأن النص هو عبارة عن قطعة ذهبية لها وجهان هما:

الوجه الأول: (الشكل الجمالي الذي يحتوي الأبنية البلاغية والفنية والنوعية التي تتمايز بها الأنواع الأدبية المختلفة عن بعضها)، وهو الحامل للوجه الثاني (المضمون).

الوجه الثاني: المضمون (القيمة والموقف وجدوى الحياة وفائدتها).

◁◁ من معادلات الجمال:

من هذه المعادلات مجموعة هدفها التمثيل لما اشتهر من معادلات الشكل الحامل للمضمون، ويمكن الاستفادة منها في الأدب

وفي الفنون الأخرى، وبعض هذه المعادلات هي من إنجاز علم الجمال أو إبداع بعض النقاد، ولكن نموها المطرد بطبيعة الحال هو من إبداع الأدباء ومن هذه المعادلات:

١. معادلة الجمال الموضوعي:

وهو جمال يقوم على ترتيب للعناصر الجمالية على أساس من إيضاح بنية الجمال وتفسيره ويقوم على سبعة قوانين أو عناصر طرحها الأستاذ محمد الحسناوي - رحمه الله- في كتابه المعروف (الفاصلة القرآنية)، وهذه العناصر هي:

النظام: الترتيب الذي سارت عليه الخطوط الملونة.

التغيير: اللون الواحد لا يملأ المساحة كلها.

التساوي: تساوي الخطوط في الأحجام.

التوازي: توازي الخطوط وتجاورها.

التوازن: كل لون بالأصفر يتوازن ويتعادل مع الخط الأحمر.

التلازم: في خطين متجاورين بين الوحدات (أ،ب،ج).

التكرار: تكرار الوحدة المكونة من خطين في كل من (أ،ب،ج).

وجميعها تعمل في وقت واحد معا، وتمثل نوعا من أنواع الجمال الذي يسمى (الجمال الموضوعي الشكلي)، الذي يقوم على التناسق والتكرار والترتيب بالتفصيل السابق، كقول الشاعر:

والشمس في كبد السماء كدرهم

ملقى على سجادة زرقاء

٢. معادلة الجمال الدائري (دائرة الجمال اليافي):

وهي معادلة رسمها الناقد العربي الكبير عبد الكريم اليافي على شكل دائرة تتقابل فيها عناصر الجمال وتكشف العلاقات الجمالية وتداخلها من خلال تجاورها في الدائرة.

عبدالكريم اليافي

وذلك في كتابه الشهير (دراسات فنية في الأدب العربي)، وتقوم عملية التفسير من خلال دائرة مقسومة إلى أربعة أقسام متساوية تلتقي في مركز الدائرة، وكل نوعين متقابلين في الدائرة بينهما علاقة ضدية عكسية، وتمثل هذه الأقسام الأربعة الجمال بعناصره العريضة التي يظهرها الشكل الآتي:

أ. الجمال: للدلالة على الجمال الشكلي القائم على الترتيب والتكرار والتناسق في العلاقات الجمالية، وأظن أنه يتلاءم مع مفهوم الجمال الموضوعي الذي قدمه الأستاذ الحسناوي في الفقرة السابقة، حيث يحمل الشكل مضمونه، ويغطي هذا النوع من الجمال (الجمال التشكيلي) للمواد الصلبة وغيرها.

يقول علي الجارم مذكراً بالفارق بين الجمال الذي خلقه الله سبحانه وتعالى، وما يتعلمه الصانعون على سبيل التقليد من مخلوقات الله التي بثها في الوجود لنتعلم منها الجمال:

يصنع الصانعون وردا ولكن

وردة الروض لا تضارع شكلا

ب. الضحك: وهو الجمال الذي يعتمد على اكتشاف التناقض بين الإنسان وذاته وخروجه على مألوف الذوق العام للأمة في العموميات أو في التفاصيل، وهو جمال يثير فينا الضحك.

ومن أمثلته في الأدب وخاصة في الشعر من الصور الفنية الضاحكة (الكاريكاتير الشعري)، كقول شاعر عن اعترافات جبان يتهرب من الجهاد:

وفي الهيجاء ما جربت نفسي
ولكن في الهريبة كالغزال
أُحمس للوغى أبناء قومي
وأحمي ظهرهم عند النزال
ولي عزم يشق الماء شقا
ويكسر بيضتين على التوالي
فإن هربوا سبقتهم جميعا
وإن ثبتوا فقد دبرت حالي[٣]

ج. الروعة: وهي حالة الجمال الذي يخالطه الخوف والقوة، ويمثل الأشياء الجميلة التي تصنع الهيبة والخوف، ويحرك القلق في النفس، كمنظر أمواج البحر فهي جميلة ولكنها مخيفة تدفع النفس للابتعاد عنها والاستمتاع بها من بعيد.

أو قوة الأبطال وما تثيره من الهيبة والاحترام والوقار، كقول أحدهم في رثاء أحد الأبطال:

جناح النسر حطمه الصعود
وأعيته العواصف والرعود
على الجبل الأشم هوى صريعا
ففاض الدمع والدم والقصيد[٤]

د. الرقة: وهي حالة الجمال التي يخالطها الضعف، وتثير فينا الشفقة والاهتمام، لحاجتها إلى المساعدة والحماية، كجمال الأطفال حيث البراءة واللطف والضعف الذي يحتاج الحماية والاهتمام ويثير فينا العطف.

وكل هذه الأنواع السابقة من الجمال تلتقي في خدمة الأنواع الأدبية، وتشارك في صياغتها بقدر ما تستطيع الموهبة من توظيف في العمل الأدبي.

٣. معادلة (اجتماع الضدين جمالياً):

وهي تقنية تكشف الفوارق العميقة بين الضدين من خلال اجتماع الضدين في المعادلة، وفائدة كل واحد منهما في إظهار قيمة الآخر، من خلال حالة التجاور التي تساعد على سهولة المقارنة، كتجاور الألوان (الأسود والأبيض)، أو تجاور المصطلحات (الجاهلية والإسلام)، أو (الخير والشر)، أو (الشرق والغرب)، أو (الحرب والسلام).

كقول الشاعر دوقلة المنجبي:

ضدان لما استجمعا حسنا
والضد يظهر حسنه الضد
فالوجه مثل البدر مبيض
والشعر مثل الليل مسود[٥]

٤. معادلة (وصف الحال في حدود التجربة):

وهي عبارة عن وصف الحال من خلال المعاناة في حدود التجربة الشخصية، وهنا تستدعي هذه التجربة الشكل الفني من خلال التقنيات البلاغية التي تناسب القائل في تفريغ معاناته ضمن مواكبة المناسبة، كقول الشاعر في وصف حاله مذكرا بموقعه في قومه وهو في الأسر:

سيذكرني قومي إذا جد جدهم
وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر[٦]

٥. معادلة (الجمال القائم على التشبيه):

ويكون ذلك من خلال قياس الغائب على الشاهد بهدف التقريب والتعليم، كما هو الحال في فنون البلاغة المختلفة وعلومها القديمة والحديثة، فنحن على سبيل المثال لا نعلم شيئا عن عالم الغيب؛ إلا ما

جاء نقلا عن طريق الوحي، والأسلوب الذي استعمل لتعريف البشر بعالم الغيب اعتمد أسلوب التقريب عن طريق الصور البيانية والفنية القائمة على التشبيه، حيث قرب القرآن الكريم لنا صور الجنة وما فيها من الخيرات والنعم، من خلال التقريب الذي شبه خيرات الجنة الغائبة عن حواسنا بخيرات الأرض وجنانها، وكذلك تصوير النار وعذابها وأهلها من خلال تشبيه نيرانها بنيران الأرض ولهيبها، ويقوم التشبيه بتقريب الغائب الغيبي بالشاهد المشاهد الأرضي.

والأحاديث الشريفة تكمل لنا الصورة الغائبة وتوضحها بإلغاء هذا التشابه؛ حتى لا تستقر صورة هذا التشابه في أذهاننا، ولينتقل خيالنا من حالة التشابه ويتجه إلى حصره في حالة التقريب المحدد فقط، وليس أكثر من ذلك، وذلك من خلال قوله صلى الله عليه وسلم عن الجنة: (فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)[٧]، وقوله صلى الله عليه وسلم عن النار: (إن نار الدنيا جزء من سبعين جزءا من نار الآخرة)[٨].

٦. معادلة (التلاعب بمدركات الحواس الخمس):

وهي قائمة على مدركات الحواس الخمس، كقول الشاعر في وصف تأثير الدهر على العجائز، وما جرى لهن من تحول بين مرحلة الصبا والشباب والشيخوخة:

فرد شعورهن السود بيضا
ورد وجوههن البيض سودا[٩]

٧. معادلة (الالتقاء والتقاطع والافتراق بين الشعر ومجموعة من العلوم والفنون):

فالشعر مثلاً يشاركها أو يشابهها في مركب معقد يجعل منه (سيد الفنون)، والذين طرحوا هذه المعادلة يرسمون مثلثا للعلاقات القائمة بين الشعر وهذه الفنون والعلوم، يكون الشعر مركز المثلث حيث توجد فيه من الصفات ما يجعله يتقارب مع هذه الفنون فهو يتشابه أو يتقاطع مع هذه الفنون، وحيث رسم عالم الرياضيات المعروف في القرن التاسع عشر (سلفستر دي ساسي) هذا المثلث الذين أورده الأستاذ عبد اللطيف عاشور في بغداد وفي كتابه (الشعر والرياضيات) الذي جاء تعليقاً على كتاب طارق الكاتب (العروض والأرقام الثنائية).

فالشعر مثلاً يتكون في مادته الخام الأولى: من اللغة التي هي أداته التي تصنع هذا (المنطق البياني) المخالف للمنطق الفلسفي أو الرياضي، وانظر إلى هذا النموذج الفني في دقة رسمه، وهو رسم يتم بالكلمات من خلال فن الشعر كقول الشاعر:

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس، وسقت
وردا، وعضت على العناب بالبرد[١٠]

٨. معادلة (الرمز والقناع والأسطورة):

واستعمال هذه الأمور في الإشارة إلى المواقف، أو التركيز عليها أو جعلها تحمل دلالات جديدة يحتاج الكاتب إليها في التعبير عما يريده، ومن أمثلتها:

ورأيت في جالوت ماء النيل يبتلع المغول[١١]

٩. معادلة (التفخيم الذي يصنع المبالغة والتضخيم الذي ينتهي إلى التعظيم):

تفخيم العدو بهدف تضخيمه وإظهار قوته، ثم

يأتي البطل الممدوح الذي يقضي على هذا العدو القوي فيكون ذلك نفخا وتعظيما للبطل الممدوح الذي حطم ذلك العدو كقول عنترة في مدح فروسيته:

ومدجج كره الكماة نزاله
لا ممعنا هربا ولا مستسلم
جادت يداي له بعاجل طعنة
بمثقف صدق الكعوب مقوم
فشككت بالرمح الأصم ثيابه
ليس الكريم على القنا بمحرم[١٢]

متى نحتفي بالجمال؟ ومتى نسقطه؟

أ. موقف الشعراء من قضية الاحتفاء والإسقاط:

نحتفي بالجمال لأنه من فطرتنا، ونسقطه إذا استغله أهل الباطل ونشروا فيه سمومهم، وليس غريبا أن يشير كثير من الشعراء إلى الاحتفاء بالجمال الأدبي أو إسقاط الجمال الأدبي في أبيات، أو مقطوعات متناثرة من الشعر هنا وهناك، ومن ملح الشعراء في هذا الباب قول أحدهم:

الشعراء فاعلمن أربعةْ
فشاعر يجري ولا يُجْرَى معهْ
وشاعر يعيش وسط المعمعةْ
وشاعر لا تشتهي أن تسمعهْ
وشاعر لا تستحي أن تصفعهْ[١٣]

حيث احتفى بشاعرين (شاعر يجري ولا يجرى معه) و(شاعر يعيش وسط المعمعة)، وأسقط اثنين من الشعراء (شاعر لا تشتهي أن تسمعه) و(وشاعر لا تستحي أن تصفعه).

ب. موقف المجتمع من قضية الإسقاط والاحتفاء:

الذي يحكم على الأدب بالإقبال عليه أو الإسقاط له هو المجتمع، وذلك بعد وصول النص إليه، وبعد أن يخرج من ملكية المنتج إلى ملكية المجتمع (المتلقي).

ويمكن تقسيم الأدب إلى ثلاثة أنواع عريضة بخطوطها التي تفرزها المحاكمات الاجتماعية القائمة على مقاييس ثقافة الأمة ونظرتها للحياة المرتبطة بثوابتها في: (العقيدة واللغة والتاريخ والأدب والجغرافيا والقيم الحضارية) وهي:

النوع الأول (الأدب الراقي):

هو الأدب الذي يعترف بالأمة، وتعترف به وتحترمه وتتفاعل معه، فتتأثر به وتوظفه في أقوالها ومأثوراتها وحياتها وثقافتها، وتسمح له أن يشارك في صياغة ذوقها، هو الأدب الذي يفرض نفسه على المتلقي برقيه وارتفاع قامته الإبداعية،

وفي الأغلب يكون هذا الأدب جامعا للمشترك القومي بين أبناء الأمة الواحدة أو المشترك مع الحياة

الإنسانية للجنس الآدمي، حيث نجح الأديب في صناعة التواصل مع أبناء مجتمعه وأمته أو إنسانيته من خلال نصوصه التي خاطبهم بها، وكان حريصا على تطوير أدواته الفنية ليرتقي بأدبه.

النوع الثاني (الأدب الملوث):

ويندرج تحت هذا الأدب أنواع كثيرة من نصوص أصحاب الأهواء الذين أرادوا أن يغطوا الأهواء بالرمزية المغرقة في الغموض تحت مسمى التطوير والتحديث، ولكن رائحة نصوصهم النتنة تطفو على السطح،

وهو في الغالب من الأدب الذي فقد التواصل والانتماء مع القيم المشتركة مع الأمة أو القومية أو الإنسانية، ويمكن حصر بعض خطوطه العريضة في الأنواع الآتية:

١.أدب خلط جماله بالغموض والتعقيد الملتوي وليس الفني، وحصر نفسه عن الجمهور بالتطور الزائف، الذي يعبر عن ذوقه الشخصي تحت مسمى حرية الأديب في التعبير، وحرم نصه من الوضوح وسهولة الخطاب،

وغلفها بالغموض والرمزية، حتى لا ينكشف فينفض عنه الناس، كما حصل من تيار قصيدة النثر المرتبط بثقافة العولمة والحرب الباردة.

٢. أدب يفضح نفسه بعنصريته وحقده على الأمة:

ومثاله الأدب الشعوبي الذي يحقد على العرب، ويحاول أن يشوههم، وهذا الأمر مستمر في أطروحات الشعوبية القديمة والحديثة التي تحارب العرب والإسلام بالقوميات المنقرضة التي تعتمد على حفريات الآثار القديمة: كالفرعونية والفينيقية والسريانية والآشورية، وبالتشيع والتصوف البوذي المنحرف، ومحاولات الإحياء الجديدة على يد الطائفية المعاصرة، ودعوات الصوفية المنحرفة إلى إهمال الدنيا ليس بهدف الزهد، بل لتدمير حياة المسلمين وتعطيل حضارتهم وتعكير صفوها بنظريات صناعة الفوضى الثقافية في حياتهم، حيث عقائد تأليه الأئمة، وتناسخ الأرواح، وتحليل المحرمات، وتعطيل التكاليف، وصناعة الكرامات الخرافية للكذابين، الذين يفضلون أنفسهم على الأنبياء، انظر إلى هذا الصوفي الذي يدعو لتعطيل الحياة، وتعطيل الأخذ بالأسباب، ويكذب على الله، فيقول:

جرى قلم القضاء بما يكون
فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزق
ويرزق في غشاوته الجنين

النوع الثالث: (الأدب الضعيف):

وهو أدب خداج ضعيف في شكله ومضمونه، وهذا الأدب يحمل علامة سقوطه في ذاته، فهو كأوراق الخريف الصفراء تسقط بذاتها، وليست بحاجه إلى الإسقاط، لأنه لا يملك الجمال الذي يحقق طبيعة الأدب القادر على جذب القارئ والتأثير فيه.

ج. الموقف الشرعي:

الجميل في الإسلام ما جمله الله في شرعه وأمره، والله جميل يحب الجمال، والإسلام يربي المسلم على حب الجمال الصالح الذي يخدم الحق حين يعكس جمال الحياة والمخلوقات والنجوم والكواكب، ويشير إلى عظمة الخالق الذي أنعم بهذا الجمال، وأفاض به على الوجود.

لقد كان أوائل هذه الأمة يعقدون للجمال جلسات، وكان أجدادنا الصحابة يتسامرون في لياليهم بجمال الأدب شعره ونثره، ويربون فلذات أكبادهم على حبه، لما له من أثر في صقل نفوسهم وأذواقهم، فهذا عمر رضي الله عنه يجعل من ملذات الحياة (الجلوس إلى أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقون أطايب

الثمر)[١٤] وهذه أم المؤمنين عائشة رضي عنها تقول: (رووا أبناءكم الشعر تعذب ألسنتهم)[١٥].

وهنا ندرك كيف يصنع الأدب القوي التأثير الجاذب، والضعيف لا يصنع إلا الضعف. نريد نصا يحقق طبيعة الأدب في أعلى درجاتها ومستويات سحرها لأنه يشد المجتمع إلى التأثر به، انظر إلى هذا النص الذي يحبب الأمة في نهضتها في قول الشاعر:

لا يصنع الأبطال إلا في مساجدنا الفساح
شعب بدون عقيدة ورق تذرِّيه الرياح
من خان «حي على الصلاة» يخون «حي على الكفاح»[١٦]

ومن الطبيعي أن القارئ لا يحترم من لا يحترم الأمة، بل يحتقر الأديب الذي يهجو قيم الأمة أو يسخر منها، لأنه يشعر أن هذا السلوك يمسه شخصيا؛ فهو أحد أفرادها، ويصله نصيب من هذه السخرية والإهانة لثقافته وعقيدته، ولهذا نسقط أدبه من حساباتنا لأسباب منها:

أنه أراد أن يعجن باطله وفسقه وخيانته لله ورسوله ولأمته بجمال الأدب، ليسوقه أمام الناس ويدلس عليهم ويخفي خبثه، ونقول له: لقد نور الله بصائرنا بالإسلام، ولن نسمح للخب أن يخدعنا (لست بالخب ولا الخب يخدعني). نرمي بنصوصه في مواقع القمامة ومعنى هذا المقياس أن نضحي بالجمال والأدب الذي خالط الباطل ونرمي به خارج ثقافة الأمة واهتماماتها.

٢- ثم بعد ذلك، أنه لا يوجد لدينا من الوقت ما نضيعه في البحث عن متعة أدبية زائفة يتمدد الباطل في ثناياها، وخلاصة القول في ذلك أن نسقط الأدب الجميل، الذي يرفع راية الباطل وأهله فلا يغرينا عنصر الجمال؛ لأنه كخضراء الدمن، أو هو كالزروع اليانعة التي سقيت وتربت وترعرعت على المياه العادمة، فأنّى للنفس أن تقبل عليها. قال الشاعر:

جمال الوجه مع قبح النفوس
كقنديل على قبر المجوسي

٣- ونحن في هذا نستند إلى نصوص فنية سبق أن أشرنا إليها من الشعراء سابقا في أصل هذا الفن، ومن أهل الفن أنفسهم، ثم إلى نصوص شرعية واضحة الدلالة توضح الموقف وتنيره في الفهم كقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة)[١٧]، وهذا الحديث يتكلم عن طبيعة الأدب، ويكشف خطر سلاحه الجمالي المؤثر في النفوس، وقديما قالت العرب: (كلم اللسان أنكى من كلم السنان)[١٨] إشارة إلى تأثير البيان والأدب في النفوس، وهذا ما يعلمنا إياه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (من تعلم صرف الكلام ليسبي قلوب الرجال أو الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً)[١٩]. وهذا الأمر يدل على المسؤولية العظيمة التي تقع على عاتق الأديب إذا لم يتق الله ويقول القول السديد،ويؤكد حديث آخر نفس المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم: (إن أخوف ما أخافه على أُمتي كل منافق عليم اللسان)[٢٠].

٤- وقد بدأنا ندرك معنى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، بشكل أكبر وأعمق في هذا العصر الذي تقدمت فيه البشرية، وتعرفت على أهمية الخطاب البياني، وتعمقت في تحليل أنواعه وتأثيره على النفوس، وذلك من خلال تأثيره على أذواق الناس وتوجهاتهم، مما يدعونا إلى الحذر من الوقوع في تحليل الجمال الذي يصنعه الشعراء، دون وعي لما يقال، حتى لا نكون من الغاوين الذين يتبعون الشعراء في غوايتهم قال تعالى: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) ﴾ (الشعراء) فليس كل ما يلمع ذهباً، ولاكل

البيان سحراً، ولا كل الشعر حكمة، ونقصد بالغواية هنا الإستجابة للجمال على غير بصيرة، حتى لا نقع في دسم الجمال الفاسد، وهذا ما يدعونا إلى إسقاط الجمال الأدبي إذا غلب الباطل على نصوصه، وأصبح خطراً على وعي الأمة وثقافتها وبناء أجيالها، لأننا نحاسب الأديب على قيمة موضوعه، ثم نحكم على طريقة عرضه الفني لهذا الموضوع، فمن انحط موضوعه رمينا بجمال عرضه وفنه في وجهه.

٥- قد تتسامح الأمة مع الأديب الذي غلب على أدبه الحرص على مصلحة الأمة وأمضى حياته في الانتماء لها، والتزم بهموم الأمة ولم يضر بمصالحها، إذا وقع في بعض الهنات، التي لم يقصدها، وإنما كانت من سوء تقدير لبعض القضايا، ولكنها لا تتسامح مع من أمضى حياته وختمها وهو يسن قلمه ليحارب ثقافة الأمة وعقيدتها وقيمها، ويغرد في سرب الأعداء، ويتآمر عليها، ويختم حياته بسوء الختام، لم يغير ولم يبدل ولم يفكر بالتوبة أو العودة إلى صفوف الأمة،لأنه ألف الانحراف والخيانة وحياة التلوث.

◁◁ وفي نهاية هذا الموضوع نصل إلى الخلاصات الآتية:

١- إن الجمال في عمومه له قوة وسلطان وتأثير عظيم في النفوس، ومنه الجمال الأدبي الذي يعتمد على (المنطق البياني)، وهذا هو سر التأثير الساحر للأدب: (إن من البيان لسحرا)، مما يدفع الناس إلى حالة من التفاعل القوي مع نعمة الله في قوله: (علمه البيان)، نسميها (وظيفة الأدب)، حيث يلجأ الناس إلى: (القصة والمثل والخطبة، وبيت الشعر، والفنون الأدبية المختلفة)، فيوظفونها في التعبير عن حاجاتهم وأحوالهم، يستشهدون بها في حياتهم اليومية، يدخلونها في مناهجهم التربوية.

لا يوجد جمال بدون وظيفة وتأثير وتفاعل، فالجمال الأدبي يصطنع الاستجابة والتأثير، ويدفع بالمتذوق إلى التوظيف التلقائي المباشر، تحت ضغط سلطان الجمال وسحر البلاغة والبيان، وملاءمة النصوص للحال، والحاجة التعبيرية لمتطلبات الإنسان التي تلح عليه بالإشباع التعبيري، وهذه هي طبيعة (المنطق البياني) الممتع، وهو حال مخالف (للمنطق الفلسفي) الذي يمتاز بالجفاف والتجريد والخضوع للمقاييس الذهنية الجامدة.

٣- حين يتلبس الباطل وأهل الأهواء الهائمة بجمال النص، ويستغلونه لإخفاء قيمهم الفاسدة وإيصالها إلى المجتمع، باستثمار (المنطق

البياني) في خدمة أهدافهم، نقوم بإسقاط القناع الجمالي الذي اختبأ الباطل من خلفه، لنكشف قبحه واستغلاله للجمال في تسويق ذاته حتى نحمي المجتمع من الوقوع في حبائله.

٤- الجمال الضعيف الذي يلتصق على جسد النص وسطحه كشعار فج، ويحاول أن يخالط المعاني الشريفة والمقدسة لدى الأمة، لا يثير فينا عاطفة الاعتراف به أو الشفقة عليه، بل نسقطه حتى لا ننحدر بذوق الأمة ونجعل من الضعف أحد مكوناتها.

٥- الجمال الحقيقي للأدب هو الذي يتوازن فيه الشكل والمضمون في البناء والتأثير وينتفي منه العبث.

٦- نقاء الخيال الأدبي وتطابقه مع العقيدة الإسلامية وامتدادها في تفسير الحياة في الدنيا والآخرة، دليل عافية وصفاء ونقاء ووفاء لقيم الأمة واحترامها عند المبدعين.

٧- المحاكمة الفنية للنصوص تبدأ بعد التحقق من الأمور السابقة، ويكون ذلك من خلال منافسة النص للنصوص المشابهة له في الجوانب الفنية والعلمية واللغوية وبمنهجية المقارنة والمفاضلة.

٨- جميع الآداب العالمية تفترق في الخيال وامتداده ومصادره، والثقافة وأصولها وخطوطها، وكلها مبنية على الجمال البياني والفني والجمال النوعي الذي يتميز به النوع الأدبي على غيره من الفنون الأدبية الأخرى.

٩- مشروع الأدب الإسلامي ما جاء لإلغاء الأدب القومي، بل جاء ليحمي الآداب القومية للشعوب الإسلامية من التلوث الخيالي الذي تداعت به الأمم على خيالنا الإسلامي التوحيدي، والمحافظة على النقاء والصفاء في خيالنا الفني من عبث الثقافات الوثنية الغازية والتي هبت كريح السموم على خيال الأديب المسلم في العصر العباسي، وكادت أن تلوثه وتشوهه بالمدخلات الغريبة على عقل المسلم.

جاء مشروع الأدب الإسلامي ليحافظ على النقاء الفني الخاضع لعقيدة التوحيد وحماية الآداب الإسلامية القومية كالأدب العربي، والأدب التركي، والأدب الكردي، والأدب الأوردي، وغيرها من الآداب الإسلامية، وتأصيل وأسلمة هذه الآداب، وبعث روحها الإسلامية من جديد ■

الهوامش:

(١) رياض الصالحين.
(٢) رياض الصالحين.
(٣) من شعر الدكتور محي الدين أبوهلالة.
(٤) من شعر أبي سلمى (عبدالكريم الكرمي).
(٥) ينسب البيت إلى دوقلة المنجبي.
(٦) من شعر أبي فراس الحمداني.
(٧) رياض الصالحين.
(٨) رياض الصالحين.
(٩) من شواهد النحو في العصر الجاهلي.
(١٠) ينسب البيت إلى يزيد بن معاوية.
(١١) خالد عبدالقادر السعيد: كيف السبيل؟
(١٢) من شعر عنترة العبسي.
(١٣) من شعر الحطيئة.
(١٤) عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(١٥) أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما من كتاب الأدب الإسلامي، عدنان النحوي.
(١٦) من شعر الشيخ يوسف القرضاوي.
(١٧) رياض الصالحين.
(١٨) مجمع الأمثال، الميداني.
(١٩) رياض الصالحين.
(٢٠) رياض الصالحين.

أنا لا أزال أشد قوس عقيدتي

محمود مفلح - فلسطين

مَنْ قالَ إنّي قد خلعتُ ردائي
وتركتَ أجراسَ الحنينِ ورائي؟

مَنْ قالَ بَرْقُ الحرفِ عندي خلّبٌ
ومراكبي شطّتْ عنِ الميناءِ؟

ورهَنتُ سيفي عندَ مَنْ قاتلتُهُ
وطغَتْ عليَّ مدينةُ الأضواءِ؟

مَنْ قال إنّ قصائدي مشبوهةٌ
ولذا أتتْ تمشي على استحياءِ؟

نسيَتْ «حراء» كأنّها ما يمّمَتْ
وجهاً ولا سلكَتْ طريقَ حراءِ!

مَنْ قالَ إنّي قد عَقَقْتُكَ يا أبي
وبغى عليَّ وعقّني أبنائي؟

تَغفو النّجومُ ولا أزالُ مُيمّماً
وجهَ النّجومِ أشعُّ في الظّلماءِ

ماضٍ على رَمْلِ الطّريقِ ووَهْجه
تَقفُو خُطايَ به خُطا «القَصْواءِ»

أنا لا أزالُ أشدُّ قوسَ عقيدَتي
وأهُزُّ رَغْمَ المُرْجفينَ لوائي

وأُقلِّمُ الأشجارَ عندَ يَباسِها
وأُرُجُّ غَيْمي كي تَزُخَّ سَمائي

ونَذَرتُ هذا الشّعرَ نَبْعاً صافياً
فَلْتَرْتَوي يا أُمَّةَ الفُقَراءِ

مَا قَايَضَتْ تلكَ العَرائسُ يا أبي
يَوماً ولا رَقَصَتْ على أشْلاءِ!

وحُروفُها لَمَّا تَزَلْ مَنذورةً
للفَجْرِ صَاعِدَةً إلى الجَوْزَاءِ

ولَقدْ نَبَوْتُ لكلِّ سَيفٍ نَبْوةٌ
ولَقدْ هَفَوتُ كَسائرِ الشُّعَراءِ

ولَقدْ شَرِبْتُ على القَذى وَلَرُبّما
شَرِبَ الكَريمُ السُّمَّ في البَلْواءِ

ولَقدْ ضَحِكْتُ لِمَنْ تَجَهّمَ وَجهُهُ
حتّى أزيحَ سَفاهةَ السُّفَهَاءِ

ولَقدْ سَطَا بعضُ اللُّصُوصِ وأوْغَلُوا
في قَنْصِ أفكاري وفي إيذائي

سَدّوا عليَّ منافذي حتّى إذا
ضاقتْ عليَّ نَهضْتُ كَالعَنْقاءِ

مِنْ ثُقْبِ ذاكرَتي بَعَثْتُ رَسائلي
وشَمَمْتُ ريحَ المِسْكِ مِنْ رَمْضائي

ولَقدْ قَبَضْتُ على العَذابِ مُصابِراً
واللّيلُ يَرْجفُ مِنْ صَرِيرِ دُعائي

قالت: لماذا جِئتنا مُتأخّراً؟
فأجَبتُها: إنّي خَصَفْتُ حذائي

قالتْ: ولكنَّ الحُروفَ عَصيَّةٌ
فَأَجَبْتُها: إنّ الحُروفَ إمَائي

وبَرَيْتُ أقْلامي لأوقظَ فَجْرَكُمْ
إنّ الجهادَ بهنَّ بعضُ عزائي

ورأيتُ بعضَ الدّمعِ يألفُ مُقلتي
فَأَعَرْتُ هذا الدّمعَ للخَنساءِ

وتلوتُ آياتٍ عليّ عزيزةً
فاخْضَرَّ ما قد جَفَّ مِنْ أعضائي

هيَ مِحْنةٌ واللّهِ أكرمَني بها
حتّى يُمحّصَ طاقَتي وبَلائي

حتّى يُعيدَ إلى يَقينيَ نَبضَهُ
ويقُصّ ما قد طالَ مِنْ غَلوائي

ويَفُكَّ أسْري مِنْ مَخالبِ شَهوتي
ويُعيدَني لطُفولَتي ونَقائي

حتّى تُغَرْبِلَني الحَياةُ فَينْتَفي
خَبَثي ويَطفُو للعَيَانِ غُثائي

وأَدُقَّ باباً ما أعَزَّ وُلُوجَهُ
فَلَرُبّما أصْبَحتُ في الشُّهَداءِ

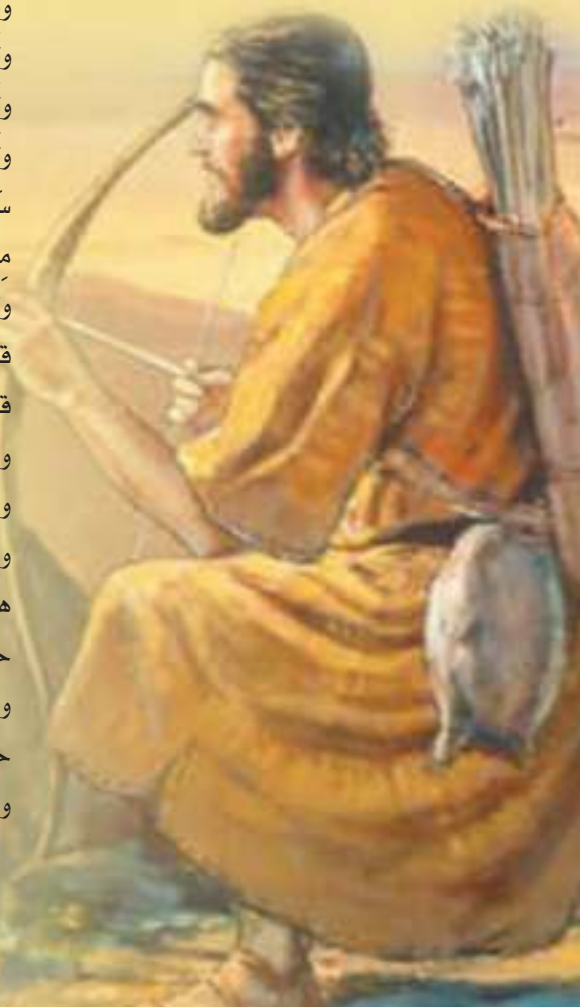

تعليـمٌ خـاص

سعيدة بشار - الجزائر

يُعلّمنا اليتم -أيًّا كان نوعه- ونحن صغار أن لا ننظر إلى الحلوى في أيدي الأقران، ولا إلى ملابس العيد؛ أو أعياد الميلاد.. لسنا كالآخرين.. قاعدةٌ نتعلّمها مع كلّ التّفاصيل.. وحينما ننظر إلى فرح الصّغار نشعر أنّ علينا أن نغضّ أبصارنا انكسارًا، وأن نُجمّد الدّموع في المآقي؛ على الأقل إلى حين ننفرد بها في الأمكنة السرّية المحجوزة للأحزان الانفرادية.

لسنا كالآخرين.. نضطر أن نتعلم الدفاع عن أنفسنا ضدّ أيدي الأقران، أن ننهض بعد كل عراك ننهزم فيه لنمسح التراب الّذي تمرغنا فيه إجبارًا، ونكتم دموعنا حتى لا تضحك علينا أمهات الأقران المشاهدات عبر النوافذ والأبواب.. نحتفظ بها لأزمنة لاحقة لا تخطئ مواعيدها أبدًا.. لسنا كالآخرين.. نتعلّم كيف نتحايل على ظلم الأساتذة؛ ضد آباء الخصوم، وأحيانًا كثيرة أمهاتهم.. فليس لنا من يدافع عنّا.. ولا من يقتصّ لنا.

ما تزال تلك الذّكرى عالقةً بذاكرتي؛ تجتثّ الدمع قهرًا من عيوني.. ما تزال وجعًا موغلاً في قلبي. مرّت سنواتٌ عديدة؛ ولكنّي ما نسيت، ولا أظنني يومًا سأنسى! كنّا في الصف السّادس الابتدائي، وكنّا في حصّة الرياضيات.. لم يكن بيني وبين هذه المادة ودّ؛ ولا زميلتي..

لم نكن نحب المعلم ولا مادته؛ فانشغلنا عنه بالكتابة على اللّوحات بالطباشير؛ اكتشفنا لعبة جديدة نتسلى بها إلى حين تنقضي الحصة العقابية لذاك المعلم الّذي لم أنسه يومًا.. كنّا نتسابق أنا وزميلتي في وضع نقطة بالطبشور وسط مربعات اللوحة.. ومن تنتهي أوّلاً تكون هي الفائزة!!.. اكتشف المعلم لعبتنا بعد أن علت أصوات الطباشير على حين غفلة منّا؛ فاستدعانا إلى مكتبه.. ضربنا بالعصا؛ ثمّ.. يا قهر ما جاء بعد ثمّ!!.. ولأنّ زميلتي كان عندها أبٌ يعلّم في مدرسة قريبة أمرها المعلّم أن تعود إلى مكانها، ولأن أبي غير موجود أمرني بالخروج وعدم العودة إلى المدرسة إلا مع أبي!!..

خرجت من القسم وأنا أبكي؛ وصلت إلى ساحة المدرسة.. كانت فارغة كصحراءٍ حارقة، وكنت وحدي أبكي بحرقة.. من أين سأحضر له أبي وأنا لم أره أصلاً منذ سنوات؟؟.. بكيت قهرًا؛ لم أعلم ماذا أفعل؟.. شعرت بالإهانة، بالألم الحارق.. لا ينسى الصّغار أبدًا أوجاعهم، ولا من كان سببًا فيها.. قد تبدو لمن يسمعها تافهة ولا تستحق؛ لكنها للّذي ذاقها هي عين الوجع ولو مضى عليها الزمن!.. وتظلّ ترافقه؛ يحملها بين ثنايا قلبه حيثما ارتحل؛ تعبث بجرحه القديم كلّما هدأ.. ترفض أن تسلمه لأيّ سكينة..

كانت لحظاتٍ لا تُنسى.. يداي أيضا كانتا تؤلماني بسبب الضرب.. ولا تزال.. وكيف لي أن أنسى؟!.. كان أمرًا شاقًّا أن أحمل المحفظة ويداي تؤلماني.. كنت أجاهد لأحرك قدمَيَّ نحو البوابة الخارجية، والدموع لم تتوقف عن التّدفّق.. لم أعلم كيف أتصرّف!..

رآني معلم آخر على تلك الحال، وكان قد درّسني من قبل، وما أزال أحبه إلى اليوم رغم أني لا أذكر ملامحه؛ كان دوما طيّبًا معنا.. وظلّ كذلك بعد عمرٍ مديدٍ من التّعليم الرحيم كما بلغني.. جاء إليّ وانحنى نحوي، وسألني عن حالتي تلك؛ فحكيت له وأنا أشهق وأنطق بالكلمات في تقطّع ما حدث بالتفصيل مع المعلم الآخر.. استقام في وقفته.. لم أسمع جيّدًا ما تمتم به؛ لكنه قال لي: «بل اذهبي إلى المديرة وستُريه كيف يخرجك هكذا!!»..

خفض رأسه إليّ، ثم أشار إلى الطريق نحو منزل المديرة؛ ثمّ أضاف: «ستجدين درجًا؛ أكمليه إلى نهايته، وهناك ستجدين منزل المديرة، أخبريها بما حدث بالضبط»..

ذهبت إلى منزل المديرة وأنا أرتجف وأبكي، حينما وصلت إلى بابها طرقته بتردّد، ولما فتحت لي سارعت بالقول: إن «المعلّم الجيلالي» هو من قال لي أن أذهب إليها!!.. كان ظاهرًا من هيئتها أنها كانت في المطبخ؛ فلما سألتني عن حاجتي حكيت لها ما حدث بالتفصيل!..

كم أعشق التفاصيل!.. لها القدرة في أن تجعلك تعيش الحدث، وتظهر صدقك، وتستفز مشاعرك.. حينما تكون هناك مشاعر طبعًا!!..

نزعت عنها ثياب المطبخ؛ وأمسكت بيدي؛ لم أستطع أن أمانع رغم أن مسكتها كانت تؤلمني بسبب الضرب الّذي كان.. يبدو أنها كانت غاضبة!.. صحبتني إلى القسم الذي أخرجت منه إجبارًا، ونادت المعلم بصوت مرتفع.. لم يكن طولي يسمح لي برؤية ملامح وجهها وهي تصرخ في وجه المعلم الذي طأطأ رأسه إلى الأرض..

لست أدري ماذا قالت له بعد أن أدخلتني إلى القسم دون أن يبدي أيّ اعتراض.. لكني أعتقد أنّها قد غسلته جيّدًا؛ فلم يضربني بعد ذاك اليوم أبدًا، ولم يصرخ في وجهي.. لكن علاماتي عنده تراجعت كثيرًا رغم اجتهادي في الدراسة.. يبدو أنه كان يتلاعب بها!!.. ثم ماذا؟؟.. نجحت رغم أنفه!■

نقد النقد.. الماهية والمنجز والآلية

من المشكلات المرصودة في حياتنا الثقافية والعلمية العربية مشكلة غياب النقاش النقدي المثمر، والتقويم العلمي لجهود الباحثين والنقاد، سواء كانوا أفرادا أم جماعات، وإن وجد بشكل أو بآخر فهو جزئي، وخاضع للنشاط الفردي، ويكون متراوحا ما بين الاحتفاء أو الشرح أو الهجوم، فلا يوجد تقويم حقيقي نفرز به المتميز نقديا من الناقل والشارح والمترجم، ومن فاقدي المقدرة البحثية والنقدية. فكانت المحصلة أن لقبَ «ناقد أدبي أكاديمي»؛ صار يطلق على كل من نال شهادة متخصصة في المجال، وألف عددا من الكتب؛ بغض النظر عن الماهية، والتميز، والموهبة، والإضافة العلمية، ومدى جدية الطرح، وعمق النهج.

د. مصطفى عطية جمعة - الكويت

ومن هنا، يكون لزاما الأخذُ بمنهجية نقد النقد، لغايات عدة، أبرزها تمييز الجهود والمواهب والعطاءات، والإشادة بمن أضاف وأبدع وزاد، والتنبيه على من قلّد واتبع، وترسيخ روح جادة، تقوِّم الناقد الأدبي من خلال النقاش والنقد الجاد لأعماله، ورصدها، وتتبع أفكاره ومقولاته، تطبيقا وتنظيرا.

وتلك نقطة مهمة للغاية، فكم من أفكار مبثوثة في ثنايا الكتب والبحوث النقدية، لم تجد الاهتمام ولا الدراسة، فالكل يعمل بشكل فردي، والكل يبث أفكاره في دائرة ضيقة تتصل بالطلاب والأصدقاء، وندر من يمد بصره إلى الآفاق العلمية الواسعة، فيحتفل بما أبدعه الآخرون

بمثل احتفاله بنفسه، فالغاية في البدء والمنتهى هي تكوين مدرسة نقدية عربية رائدة وراسخة، وهذا لن يتأتى إلا بحوار نقدي/ نقدي، وما هو فوق النقدي أيضا، بأن يناقش النقاد طروحاتهم، حول النصوص والإبداعات، وحول المفاهيم والخلاصات التي يتوصلون إليها، في أجواء من الانفتاح المعرفي على العلوم والفنون، مع إعلاء الحريات واحترام الآخر، ونفي النرجسية، والارتقاء بالخطاب، واحتضان ذوي الإبداع والإضافة، والحوار الراقي الذي يبني ولا يهدم، يرشد ولا يجرح، يرتفع ولا يسفل، ساميا فوق الفردية.

هذا؛ وعندما نطلق مصطلح «المنجز النقدي»، فإننا نعني به التراكم الذي قام به الناقد الأدبي في خلال حياته الأدبية، على مستوى التنظير والتطبيق، الرؤية والأداة، العطاء والتميز، الجهد والتوجهات، التكوين العلمي والشخصي، وغير ذلك. وهو يتلاقى مع فكرة المشروع العلمي؛ وإن كانا يختلفان في أوجه، فالمنجز النقدي قد يكون جامعا للتنظير والتطبيق، أو أحدهما، وقد يكون في نظريات ومناهج عديدة. أما المشروع العلمي فغالبا ما ينحصر في مجرى واحد، يتعمق عبر إصدارات متعددة، تعزز الرؤية بالتنظير، وتبرهن عليها بالتطبيق.

لذا؛ فمن الأهمية بمكان عند قراءة المنجز النقدي، أن تكون القراءة وفق محاور ونقاط، تمثل مدخلا لفهم طبيعة العطاء النقدي، واتساقا مع التخصص الدقيق، والرغبة الحثيثة في التميز العلمي؛ على قناعة أن أي منجز لابد أن يمثل رؤية وطرحا وإضافة، ولا يمكن إدراك هذا إلا بالنظر إلى ما قبل، وما هو راهن، ومن ثم ننظر فيما تم على يده، والمقارنة حاضرة في الوعي والتقويم في عطاءات النقاد، ومشاريعهم البحثية، ونماذجهم التطبيقية، من أجل تمييز المجيد، والتنبيه على المقلد، والتحذير من ذوي الأصوات العالية والعلاقات العامة الذين يملؤون الندوات والفضائيات بإطلالاتهم، ويظنون أنهم نالوا الشهرة والحظوة، ويعطون نماذج رديئة تفتقد العلم والمنهجية، وتعلي من شأن الزخرفة الكلامية والمدح المجاني.

يقال ذلك؛ لأن هناك من تسيد الساحة النقدية –أو هكذا يظن– من خلال الحضور الإعلامي، والتواجد الثقافي، بدون مؤلفات أو إضافات ذات جدوى.

على جانب آخر؛ فإن كثيرا من الباحثين المنشغلين بنقد النقد يكتفون بتوصيف ما أنتج أو الاختلاف أو الاتفاق، بدون النظر إلى مفهوم الإضافة العلمية، ومدى الاستفادة التي حققتها على الصعيد النظري والدراسات التطبيقية. ومفهوم الإضافة العلمية يعني: ماذا أضاف الناقد من رؤى؟ وكيف تعامل بالإيجاب مع المناهج النقدية الحداثية وغير الحداثية؟ وهل اقتصر

على ترديد المتداول النقدي، أم سعى للاستزادة العلمية، والتعميق الفكري؟ فهناك من النقاد من حازوا اللقب لكثرة كتاباتهم الصحفية عن الدواوين والروايات، بنهج أساسه الانطباع والذائقة، دون تقويم حقيقي للعمل وفق مصطلحات نقدية، ومناهج تشرح النصوص وتشتبك معها.

في ماهية نقد النقد:

لابد أن ينطلق نقاش مع أي منجز نقدي، من مفهوم قوامه أننا نناقش خطابا نقديا أنتجه الناقد الأدبي في عصر بعينه، وضمن سياقات ثقافية وأدبية ونقدية وفكرية محددة بالعصر والشخص والمنهج والتطبيق والممارسة. فلا نغض من شأن نقاد اجتهدوا في ضوء المتوافر في عصرهم، وإن جاء نقدهم مباشرا يقف عند الدرجات الدنيا من العملية النقدية المعنية بذكر الإيجابي والسلبي في النص. فلاشك أن هؤلاء امتلكوا الموهبة النقدية، وامتاحوا من خبراتهم النصية والذائقية.

أما مفهوم نقد النقد، فتعرفه «نجوى القسطنطيني» بأنه: «خطاب يبحث في مبادئ النقد ولغته الاصطلاحية وآلياته الإجرائية وأدواته التحليلية[1]، فهو قراءة على قراءة، فالناقد يقدم قراءة نقدية للنص الأدبي موضع التطبيق، ومن ثم ينتج خطابا عليه، ويأتي نقد النقد مناقشا لهذا الخطاب. وبذلك نخرج من الفهم المغلوط الذي نجده لدى البعض، بمثابة تعديل أو تصحيح لخطاب الناقد، أو إعادة إنتاجه بالشرح والتفسير والتوصيف، أو حتى النقيض من هذا أو ذاك، وهو الهجوم الكاسح، الناتج عن موقف رافض، مثلما رأينا عند رافضي النقد الحداثي، الذين رفضوه بناء على قناعات إيديولوجية أو بالتلقي السلبي الذي يضع حاجزا نفسيا أمام الجديد، دون أدنى استعداد لفهمه بشكل إيجابي، ينظر إلى الفائدة والإفادة والجدة والرؤية وطبيعة النهج العلمي بآلياته وطروحاته.

فهناك من قرؤوا المناهج الغربية الحداثية ورفضوها، وهم يقرؤونها دون محاولة النظر إلى مقدار ما أضافته للدرس النقدي الحديث في الأدب العربي. وهناك من رفضوها لدواع خاصة بغموض الخطاب النقدي العربي الذي قام بنقدها، حيث أمعن بعض النقاد الحداثيين في نخبوية الخطاب إلى درجة الإلغاز، أو من بالغ في التنظير، وأضفى على المنهج الكثير من المديح والحفاوة. ولكن وجدنا قصورا واضحا عندما جنح إلى التطبيق.

وكانت الآفة أشد، عندما رأينا نقادا نقلوا النظريات النقدية الغربية في مؤلفات لهم، لمجرد مواكبة موجة النقد الحداثي التي انتشرت مؤخرا، ولكن ممارساتهم التطبيقية نأت بهم عما نقلوه، وتمسكوا بما ألفوه من طرائق نقدية تقليدية.

ومن المهم التنبيه على أن عملية نقد النقد تتجاوز النقاش العلمي الذي نجده في عروض الكتب، أو مناقشة الرسائل العلمية، أو التعليق على بحث أو كتاب، والمراجعات العلمية من المختصين.

فنقد النقد نشاط علمي مستقل له منهجية، تتجاوز الإطار التعليمي والإرشادي إلى الاشتغال على خطاب الناقد نفسه: المفاهيم، والأفكار، والمرجعيات، والآليات، والممارسات

التطبيقية. وهذا من شأنه أن يكسب «نقد النقد» أهمية كبرى، فلن يتعامل الناقد الثاني مع الناقد الأول من باب المراجعة العلمية فهذا مستوى أولي، وإنما يشتغل على الفكر والنظرية والتطبيق.

إن من أهداف نقد النقد - بوصفه نشاطا وتلقيا للنقد الأول - إيجاد حركة نقدية جدلية مثمرة، من أجل دراسة الجهد النقدي المبذول في قراءة النص الإبداعي في ضوء المنهجية المطروحة، ومن ثم النظر في مدى توفيقها في استنباط معاني النص، وكشف خصوصياته. وكذلك السعي إلى كشف جوهر الممارسة النقدية ذاتها، وتفكيك منطقها، وفحص آلياتها وإجراءاتها ومرجعيات أصحابها الفكرية والنظرية والجمالية[٢].

ومن هنا، فإن نقد النقد جهد علمي، يسير في دروب عدة، منها النظر إلى التطبيق في ضوء الطرح النظري، ومناقشة التأسيس النظري ومرجعياته الفلسفية والعلمية، والنظر في جهد الناقد نفسه وسعيه في التطبيق على الإبداعات، من حيث توفيقه في الرصد والإجراء والتحليل والاستنباط والتأويل.

فالوعي بنقد النقد، يأتي على مستويات عديدة، تشكل مدخلا للقراءة والتحليل، بمعنى أننا في دراستنا لأعمال ناقد أدبي، لابد من الولوج لأعماله من زوايا متنوعة: المستوى الأول: مفاهيمه النقدية التي تشكل رؤاه التنظيرية، فالكارثة تتحقق عندما نكتشف أن هناك من يرغي ويزبد في تحليل النصوص الإبداعية، وهو بلا مرجعية نظرية، فالذوق والانطباع والخبرة المكتسبة هي الأساس في تقويمه، وهذا شأن كثير من نقاد الصحافة والمجلات والمنتديات الأدبية، ونرى أن هؤلاء في أفضل الأحوال متذوقون أكثر من كونهم نقادا، شارحون للنصوص الجيدة، يقفون عند الدرجات الأولى من السلم، وهي الإرشاد المحدود للمبدع في أخطاء وثغرات.

فلابد للناقد من وجود أطر نظرية يستند إليها: منهجيات، ونظريات، ومدارس، ورؤى؛ ليكون النقاش معه وفق مرجعية، وإلا سيكون الانطباع مرجعا وحكما، وهذا يخرج بنا عن دائرة النقد بمفهومه العلمي.

ومن المشكلات المطروحة في هذا الصدد، وجود نقادٍ تطبيقيين، ونقادٍ منظرين، وندر من يجمع بين الاثنين، فالتنظيري يكتفي بالترجمة والنقل، ويظن أن النظرية هادية مرشدة لمن أراد التطبيق. والتطبيقي يرى العبرة في التطبيق، ومقاربة النص، والغوص فيه.

والمستوى الثاني: هو قراءة التطبيق النقدي لمن لديه تنظير جيد، والربط بين التطبيق والتنظير ومدى تحققه.

والمستوى الثالث: فهو نقد النقد ذاته، بمعنى النظر إلى النظرية الأصلية، والمقارنة بينها وبين تلقي الناقد لها، وفهمه وتطبيقه إزاءها، ونفس الأمر مع الإبداع، ننظر في النص الإبداعي ومن ثم ننظر في نقده، ونمارس نقدا على نقده، فيكون رؤيتنا للنص من خلال وسيط نقدي.

وإذا نظرنا إلى النص الإبداعي وعلاقته بالنقد ونقد النقد؛ فسنجد أن العلاقة الأولى تتمثل في النص النقدي المنتج الذي يحاور ويناقش النص الإبداعي مباشرة، فهي قراءة أولية للنص الإبداعي، وفق رؤية نقدية من قبل الناقد، أو عدد من النقاد. وهناك علاقة ثانية، تأتي في مرحلة «نقد النقد»، فيكون النص الإبداعي هنا مذكورا عبر وسيط نقدي يمثل وجهة نظر الناقد الذي تناوله.

وفي هذه الحالة، لابد من الاطلاع على النص الإبداعي، وعدم الاتكاء على الوسيط النقدي، فذلك حجاب فاصل في تقويم النص، وتقويم نقد النص أيضا، مما يفقده حميمية تواصله مع الإبداع، وتصبح علاقته

بالنص النقدي القارئ للنص الإبداعي علاقة رضوخ لافتراضاته النقدية، أي هيمنة النص النقدي ومقولاته على النص الإبداعي، وسقوط ناقد النقد في إسار تلك الهيمنة.

فلاشك أن «النقد» في إحدى مهامه هو وساطة بين القارئ والنص الإبداعي، ما يجعله ينبض بروحانية الإبداع وجماله. أما نقد النقد فهو يمركز نفسه وسيطاً بين النص النقدي وقارئه، ليسلب النقد مرتبته تلك، وإن كان هذا ما سيجعلنا أمام سلسلة تكاد لا تنتهي من النقود، لاسيما إذا كان الفاصل بين النص النقدي الأول، والجديد، متمركزاً على دراسات عديدة، كل منها يخرج بإضافة معينة على الدراسة السابقة[٢].

ومن هنا، يتوجب على ناقد النقد في تقويمه للدراسات التطبيقية أن يطلع على النص الإبداعي الأساس أولاً، ويتفاعل معه، ومن ثم ينظر في المحاورات والنصوص النقدية التي تناولته، ليأتي حكمه مستقلاً، غير منحاز أو تحت قراءة مسبقة.

على صعيد آخر، لابد من التنبيه على قضية الموهبة فيما يتعلق بالنقد ونقد النقد، فالموهبة النقدية تعني أن الناقد لديه القدرة، والكفاءة، والهمة، والرؤية، والذائقة، التي تجعله يقرأ النص ويقوِّمه، ويتجادل معه، ويطبق عليه مفاهيمه النقدية وافتراضاته، وبالتالي، تسقط المقولة الشهيرة أن الناقد مبدع فاشل، فهي مأخوذة بلاشك من عالم الحرف اليدوية، وليس من أجواء

الإبداع والنقد، فالصانع الفاشل يعرف أسرار الصنعة، ولكنه يفتقد الإجادة، فيستطيع أن يقوِّم منتج الصانع الماهر أو نصف الماهر بما عرف، وتلك مهمة لا تتماشى مع عالم الإبداع.

وأيضا، من الخطأ التصور أن النقد محصور في ذكر الجيد والرديء، فهذا عمل أولي مع النصوص الأولى للمبدع. أما مستويات النقد فهي تلتقي مع مهارات التفكير، فهناك مستويات ثلاثة دنيا: الفهم، والتذكر، والتطبيق.

وهناك مستويات أربعة عليا تشمل: التحليل، والتركيب، والنقد، والتقويم. ومن خلال هذه المستويات يتم تطبيق الخبرة الجمالية، والمناهج النقدية، وعمليات الشرح والتأويل.

وأخيرا، هناك مستوى عالٍ، يتمثل في تنظير نقد النقد، ويعني أن يخرج الناقد للنقد من اطلاعه ونقاشه لعدد من المنجزات النقدية المتنوعة بنظرية ورؤية كلية. أي أنه يبني تنظيرا على إبداع، وتطبيق، ونقد، ونقد النقد؛ فيأخذ خلاصة الأبحاث والرؤى، ويستند إليها في صياغة نظريته النقدية أو الأدبية، فعمله أشبه بعمل النحلة التي امتصت رحيق زهور عديدة في حقل واحد، ومن ثم أنتجت شهدا.

وهذا عمل عظيم، لأنه يجمع الجهود المشتتة، ويؤلف بينها، وينسقها، ليخرج بتصور في النهاية، يفيد من يحمل الراية بعده■

الهوامش:

(١) في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره، د.نجوى الرياحي القسطنطيني، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد١، المجلد ٣٨، يوليو - سبتمبر ٢٠٠٩، (ص٣٥).

(٢) السابق، (ص٣٥).

(٣) نقد النقد في أسئلته الجديدة، إبراهيم اليوسف، الحوار المتمدن، العدد: (٣٥٣٧) ٥/١١/ ٢٠١١م.

د. عبدالرحمن العشماوي - السعودية

صواريخُ غدرٍ

صواريخكم، منكم إليكم لهيبُها ... وأَبعَدُها منّا، إليكم قريبُها

صواريخُ غدرٍ أبطلَ اللهُ فعلَها ... وسخّرَ من أبطالنا مَن يُجيبُها

تمزّقَ في أُفقِ البطولاتِ شَمْلُها ... فلو أنها تبكي لطالَ نَحيبُها

مِنَصّاتُها حقدُ القلوبِ وغَدْرُها ... كذلك أحقادُ القلوبِ تُذيبُها

أياجَوقةَ الحوثيّ للبغيِ عَثْرةٌ ... وأفئدةٌ حَرّى يطولُ وَجِيْبُها

على اليمن الغالي انقلبتم بفتنةٍ ... يُؤَرِّقُ صنعاءَ الإباءِ خطيبُها

يُؤَرّق أربابَ العقولِ انحرافُها ... ويؤذي نفوسَ المصلحينَ نَعِيبُها

أتيتم برَفْضٍ يرفُضُ العقلُ وهمَه ... يُشَوِّشُ نفسَ الحُرِّ لما يُصيبُها

شقَقْتم صفوفَ المسلمين بمذهبٍ ... غريبٍ، وشَرُّ المُحْدَثاتِ غَريبُها

أياجوقةَ الحوثيّ يامن بغدركم ... ركبتم أموراً بانَ فينا مُريبُها

رضعتم مع المخلوع أثداءَ فتنةٍ ... فبئسَ بها أمّاً وبئسَ حليبُها

فلا مكةُ الإسلامِ ترضى بفعلكم ... ولاعرَفاتٌ أو مِنىً أو حَصيبُها

صواريخكم نارٌ من الحقد،أبشروا ... بها جَذْوةً، فيكم ومنكم نَصيبُها

أستاذ أمّي

منى أحمد- مصر

أزمة سير خانقة لا يدري ما سببها، إنه يأتي هذا الطريق يومياً، ويجتازه بلا مشاكل فما الحكاية اليوم؟ إذا بقي يمشي بهذه السرعة فلن يصل إلى طلابه في موعده، وهو أستاذ جامعي اعتاد أن يكون دقيقاً في مواعيده، وكان ينعى دائماً على الذين يتأخرون من زملائه أن يبرروا تأخرهم بأزمات المرور، وما كان يقبل هذا العذر من طلابه أبداً، فكيف يعتذر به إليهم؟

لا يدري لماذا يتذكر اليوم أزمة تشبه هذه الأزمة حدثت منذ بضع سنوات، أخذت الصور الكئيبة تتلاحق في ذهنه؛ ذلك اليوم، توقفت السيارات تماما وتقاربت جداً، بادره السائق إلى جانبه بالتحية فرد تحيته، ثم تساءل: ترى ما سبب الأزمة!؟ هل هناك حادث سير!؟

قال له صاحبه بأسلوب لا يخلو من إثارة: حادث وأي حادث! لكنه ليس حادث سير.

كم يكره هذا الأسلوب في الحديث من رجل ينتمي فيما يبدو لفئة أنصاف المثقفين، ولكن لا يليق بأستاذ مثله أن يفلت زمام نفسه، حاول مجاراة صاحبه متسائلاً

فحادث ماذا إذا؟

قال له صاحبه: إنهم يقيمون الحد اليوم على أحد اللصوص، يقطعون يده في الميدان العام.

وقعت الكلمات منه موقعا أثار استياءه بل واستهجانه: يفعلون ماذا؟ يقطعون يده؟!!

قال الآخر: وماذا يقطعون غير يده التي امتدت إلى ما لا تملك، واستحلت ما ليس لها بحق؟

قال متضجرا مستنكرا: كأنك سعيد بقطع يد ذلك المسكين!

قال السائق: لا، أبداً، لا يسعدني أن تقطع يده طبعا، ولكني لا يسعدني كذلك أن يسرق مالي.

قال: وهل سرق منك؟

رد: وماذا كان سيمنعه أن يسرق مني مادام سرق من غيري، اليد الخائنة لا يهمها على أي حق تمتد.

هز الأستاذ رأسه يمنة ويسرة وقال: هذه همجية، هذا ليس أسلوباً متحضراً في معاملة الناس، حتى لو أخطؤوا واعتدوا، هو أمر غير مقبول. غير مقبول إطلاقاً.

عض السائق على شفته وهو يقول: اتق الله يا رجل! هذا حكم الله.

صمت الرجل، انفرجت الأزمة قليلاً، تحركت السيارات شيئا ما، ثم عادت فتوقفت، توازت سيارته مع سيارة صاحبه مجددا، قال له: ولكن لماذا لا يسامحه صاحب المال المسروق؟ هذه يد إنسان مقابل حفنة ريالات مهما كثرت.

رد قائلا: ألا تقرأ يا رجل، حد السرقة لا يملك أن يسامح فيه أحد، إنه حق الله.

قال الأستاذ: حتى صاحب المال؟؟

قال: حتى صاحب المال!

قال متعجبا: لكن حتى في القتل يستطيع ولي المقتول أن يسامح ويتنازل عن حقه في القصاص، أليست الروح أغلى من المال؟

قال السائق: اسأل أهل العلم يبدو أنك لا تقرأ. وأخذ يتفرس فيه وهو يقول: ولكني لا أظنك أمّياً، هل أنت أمّيّ؟؟

انفرجت الأزمة قليلاً فأشار لصاحبه مودعا ومضى في طريقه وهو يرثي لحال صاحب اليد العقيرة، ويتألم له، لكن سؤال رفيقه آنفا: (هل أنت أمّيّ) أزعجه كثيراً، ربما كان أمّيّاً في الفقه وإن كان أستاذاً في الفلسفة، لا يدري لماذا يتذكر الحادث الأليم هذا اليوم مستنكراً ويملأ الحنق قلبه!؟

عاد ينظر للشارع مستطلعا، يبدو أن هناك تحويلا لخط السير يتسبب بالانسداد المروري، أوقف سيارته قرب مكتبة، ونزل ليأخذ بعض الأدوات استغلالا للوقت، لفتت نظره عناوين كتب جديدة، أراد أن يدفع ثمن مشترياته، تذكر أنه وضع محفظته في حقيبته، عاد بسرعة إلى السيارة، وهناك فوجئ بأن حقيبته ليست موجودة، يا للهول! حقيبته فيها أوراقه وأبحاثه الهامة، وفيها ماله، يا الله وحاسوبه الشخصي! وفيه كل مستنداته، حتى بحثه الجديد، الذي قضى وقتاً غير قصير في إعداده وتنسيقه، غير ممكن! يا لهذا الحظ العاثر! كيف يتعرض للسرقة هذا اليوم بالذات؟؟

أسرع إلى مركز الشرطة وقدم بلاغاً بالحادث الأليم الذي تعرض له، إنه يوم كئيب من أوله، يوم مشؤوم.

هناك أعطى بياناً بمواصفات حقيبته ومحتوياتها وحاسوبه، كان دقيقاً جداً لم ينس شيئاً، لم ينس أيضاً أن يصف اللص الذي امتدت يده الآثمة إلى سيارته في غفلة منه، وتناولت بكل بساطة أغلى ممتلكاته وأعزها عليه، بأقذع الصفات وأشنعها.

قبل أن يخرج قال للضابط: هل ستقطعون يده؟ ابتسم الضابط وقال: دعنا نجده أولاً، وأضاف قائلا: ثم إن هذا ليس عملنا يا أستاذ، مسؤوليتنا تنتهي بالقبض على اللص وتسليمه للعدالة، وتسير الأمور بعد ذلك عبر قنواتها حتى تصل إلى القضاة، فإن رأوا أن يقطعوها بعد المحاكمة فالأمر إليهم، ولكن دعني أسألك: هل كانت سيارتك مفتوحة؟

قال: مفتوحة، لا شك أني تركتها مفتوحة.

قال الضابط: لن يقطعوا يده على الأرجح.

قال محتداً: وينجو من العقوبة لأني نسيت سيارتي مفتوحة؟؟

رد الضابط مستغربا: من قال ذلك؟ إن نجا من الحد فلن ينجو من التعزير، وكرر قوله في محاولة لإنهاء الحوار: قلت لك، هذا عمل القضاء.

سلم وخرج وهو يتساءل: التعزير؟ ترى ماذا يكون هذا التعزير أيضا؟ تذكر سؤال صاحبه: (ألا تقرأ يا رجل؟) وسؤاله الآخر: (هل أنت أمّيّ؟)

ما هي إلا أيام حتى استدعي إلى مركز الشرطة، وما أن دخل حتى رأى حقيبته هي هي مفتوحة على الطاولة أمام الضابط، اندفع قائلا: حقيبتي وحاسوبي الحبيب، نعم إنها هي، نسي وقاره وأخذ يقلب أوراقه، الحمد لله، نعم هذا البحث كاملاً كما هو، وهذه محفظتي،... شغله تفقد محتويات حقيبته عن رجل يقف بين أفراد الشرطة منكساً رأسه، وقد شدت يداه خلف ظهره بقيد، عندما رآه قال: أهذا هو اللص الذي سرق حقيبتي؟ أسرع يهجم عليه، يريد أن يبطش به لولا أن منعه رجال الشرطة، فأخذ في شتمه وهو يقول: حضرة الضابط، هذا الرجل يجب أن يقتل، يجب أن يقتل...!! ■

«ولأن إسلامنا هو دين العقيدة الصافية، وخاتم الأديان، وهو الذي أراد الله له البقاء والخلود؛ حيث اشتمل على الإجابة عن أسئلة البشرية الحائرة في كل زمان ومكان، آثرت أن أجعل موضوع بحثي هو: (دراسة في نظرية الأدب الإسلامي)، لألم بذلك شعث آراء نقادنا وعلمائنا الإسلاميين حول الأدب وفنونه، فيعلم أدباؤنا أن ديناً جعل معجزة نبيه كتاباً مباركاً... لم يكن ليترك الكلمة وقائلها هملاً.»

وضحى القحطاني

الدكتورة وضحى بنت مسفر بن محمد القحطاني لـ(الأدب الإسلامي):

الأدب الإسلامي لا يغيب عن المشهد الثقافي فهو شديد الصلة بالهوية المسلمة

حوار: التحرير

■■ **نرجو إعطاءنا نبذة عن سيرتك الأدبية والعلمية؟**

■ وضحى بنت مسفر بن محمد القحطاني، حاصلة على البكالوريوس في اللغة العربية من كليات البنات في الدمام. حاصلة على الماجستير في الدراسات الأدبية من كليات البنات بالدمام عن بحث: (القيم الجمالية في الشعر السعودي المعاصر ١٣٩٥-١٤١٥ «دراسة تحليلية فنية)، وحاصلة على الدكتوراه من جامعة الملك فيصل عن بحث: (نظرية الأدب الإسلامي: عرض ودراسة)، وهو كتاب مطبوع من إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ولها من الأبحاث:

(الأدب الإلكتروني في تويتر؛ تغريدات نجم الحصيني نموذجاً)، مجلة الآداب بجامعة الملك سعود، العدد ٣٠، المجلد ٢/٢٠١٨م.

(النسوية في ضوء منهج النقد الإسلامي)، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، بالإسكندرية، مج/٣١، ٢٠١٥م.

(الحوار النبوي «دراسة بينية)، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، العدد ٣٧، لعام ٢٠١٧م.

(مناهج النقد الحديث، رؤية إسلامية)، بحث مقدم لمؤتمر إشكالية المنهج في الدراسات الأدبية والنقدية واللغوية (٢٠١٧-٢٠١٨م) قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة اليرموك، المملكة الأردنية الهاشمية.

(مؤسسة سمو المجتمع ودورها في الحراك الثقافي والإبداعي في المنطقة الشرقية ورؤية ٢٠٣٠)، بحث مقدم لملتقى دارين الثقافي الثاني ١٤٣٨هـ.

(منهج لغتي الجميلة للفصل

الدراسي الأول لعام ١٤٣٤هـ؛ دراسة نقدية)، بحث مقدم لملتقى اللغة العربية في مقررات التعليم، عام ١٤٣٥هـ.

(الشعر والتاريخ دراسة بينية لبعض النماذج المختارة من أدب السيرة والمغازي النبوية)، من إصدارات مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية، عام ١٤٣٥هـ.

■■ على اعتبار أنك اشتغلت ببحث «نظرية الأدب الإسلامي»؛ كيف رأيت الجهد المبذول في بلورة هذه النظرية؟

■ حقيقة نقادنا اشتغلوا وشُغِلوا بالتنظير للأدب الإسلامي، من غير أن يجعلوا مؤلفاتهم تحت مسمى النظرية، وإذا أخذنا بمفهوم النظرية المعاصرة التي تبنى على الآراء المختلفة، فهم لحمتها وسداها كتاباً ونقاداً، ولا يعني هذا أن مصطلح النظرية كان خافياً، فقد كان منهم من كتب مقدمة للنظرية، كما كان من أستاذي ومشرف رسالتي الدكتوراه سعادة الدكتور: عبدالباسط بدر على سبيل المثال.

وما كان دوري حينما شرعت في الكتابة عن نظرية الأدب الإسلامي إلا أن أجمع الدر الذي نثروه، وأنظمه في كتاب، وإن كنت حاولت أن أرد على بعض الشبهات المثارة فقد كنت من معينهم أستقي.

■■ لك اهتمام بالنقد النسوي، ما رأيك بهذا النقد؟

■ النقد النسوي هو في حقيقته فرع عن النقد الثقافي، والذي يقيم الوزن للأكثر شعبية وجماهيرية بخاصة إذا كسر الثلاثيات المحرمة: الدين، والمجتمع، والجنس، وحينما ظهرت الحركات

النسوية ذات البعد الاجتماعي حملت بين طياتها معول هدم، ظاهره البناء، فقد تجاوزت بعض الحركات النسوية المطالبة بالحقوق والإصلاح إلى هدم كل ماله صلة بالدين أو المجتمع، فردة الفعل للنسويات في العالم الغربي تجاه ظلم الكنيسة والمجتمع دفعتهم لهذا التطرف في مهاجمة الدين، والآخر، وهو الرجل، ولكن هذا لا ينسحب على المجتمعات المسلمة، وبخاصة التي تحكم بالشريعة الإسلامية، نعترف بوجود بعض الظلم من أفراد تجاه المرأة، ولكنه خطأ أفراد وليس خطأ ملة.

أقول بهذا القول كي يدرك معي القارئ الكريم أن الباحث في النقد النسوي سيجد نفسه في نزاعات فكرية وفلسفية، ولن يقبض على آلية ومنهجية يسير عليها، وسيجد نفسه يقرأ النصوص النسوية في ضوء الفلسفة النسوية، والتي تعاني من الاضطراب والتشتت، فلا يمكن تسميتها بالنظرية، كما أشار إلى ذلك محمد عناني في كتابه المصطلحات الأدبية الحديثة. والمحاور التي تدور النسويات في فلكها هي: الجندر، والبطريكية، والآخر. وقد يجد الباحث فروعاً غير ما ذكر، لأن كل حركة نسوية تنشئ لها أفقها الخاص كالنسوية الزنجية، والنسوية الليبرالية، والنسوية الرديكالية، وغيرها كثير.

■■ يكاد يجمع المشتغلون بالنقد الأدبي على أن النقد العربي الحديث يعيش أزمة حادة؛ كيف تشخصين هذه الأزمة؟ وماذا ترين في شأنها؟

■ أزمة النقد العربي الحديث والمعاصر تنبثق من أزمة الفكر

والهوية، فالنقد وليد الفلسفة، والفكر لدينا وليد صراعات فكرية منشؤها من تعدد المشارب، فهناك مرجعيات غربية وهي الغالبة، وهناك مرجعيات شرقية، والعجيب أن نأخذ أخذ الشاري بالجملة، ونبيعها على القراء بالجملة، إلا ما كان من بعض نقادنا المعاصرين الذين أعطوا هذه المناهج الوافدة مكانها المناسب، وكان منهم نقاد النظرية الإسلامية على وجه الخصوص، حيث تعاملوا مع هذه المناهج بإنصاف، فذكروا مساوئها وما فيها من إيجابيات، فالمثاقفة لا تعني أبداً الاستلاب والانسلاخ الفكري، بل المثاقفة الواعية هي التي تأخذ بوعي، وتترك بوعي. وأذكر في هذا المقام سعادة الدكتور وليد قصاب، وسعادة الدكتور سعد أبو الرضا، وسعادة الدكتور عبدالباسط بدر، وقبلهم الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا.

ولو كان الأمر بيدي لجمعت النقاد العرب، ووضعنا معالم للأخذ والاستقاء من هذه النظريات الوافدة، وأن يكون هناك عمل جاد للمبادرة بالخلق، وبخاصة أن تراثنا العربي لا يعجزه لو قرئ قراءة مستبصرة معاصرة أن يلد الجديد ويواكبه، يحزنني أن أرى قراءات نقدية تسعى لأن تفضل الحادث الوافد من النقد الحديث على القديم الأصيل عند وجود نقاط التقاء بينهما، أليس من بدهيات النقد أن الفضل لأهل السبق؟ وأن النقد يُقرأ في سياق عصره؟ كان من الأولى أن ننطلق من تراثنا، ولا يعني ذلك أن نهمل الجديد، ولكن لا نجعله المرجعية، بل العكس مرجعنا تراثنا، ونعزز الجديد به.

■■ هل يعني ذلك أن نخرج من سياق الأمة إلى الوطن العربي؟

د. عبدالرحمن رأفت الباشا

■هذا السؤال يذكرني بشبهة أن دعوة الأدب الإسلامي تتعارض مع أدبنا وتراثنا العربي، لا تعارض بينهما، لكن مراعاة السياقات الزمانية والمكانية، هذا مما له اعتباره في النواحي الفقهية في غير الأصول. ونحن كذلك نعلم أن تراثاً مشتركاً يحمله النقاد العرب، فلمَ لا يستغل هذا الجانب!؟ ومن قديم العصور والتراث العربي مرجعية حتى للأدباء في الدول غير العربية، وليس هذا من قبيل القومية، ولكنه استغلال لجوانب الالتقاء بين الشعوب.

■■ وهنا سؤال آخر هل حديثنا عن الأمة يعارض الوطنية؟

■هذه من الشبهات الحادثة التي يدندن حولها المعارضون للأدب الإسلامي، فالعالم الإسلامي يمثل وطناً عاماً، له حق النصرة بالدعاء والكلمة والجاه لكل مسلم يستطيع، وهذا ما نراه جلياً واضحاً في موقف ولاة أمرنا في هذه البلاد -حفظها الله، والأدباء تبعٌ لولاة أمرهم في ثنائهم وشجوهم، ولازال أدباؤنا الإسلاميون حاضرين في كل قضايا الوطن، بل إن حب بلاد الحرمين هو من الديانة، فأين هو ذاك المسلم صادق الإسلام الذي لا يفتدي الحرمين وأرضها بنفسه؟!

■■ هل حضور الأدب الإسلامي كمنهج لازال قوياً؟

■مسمى منهج؛ أظن أنه بحسب تقليعات النقد المتسارعة سيكون مسمى قديماً، لكن باعتبار عمليات النقد، ونقد النقد؛ فالأدب الإسلامي هو المفترض أن يكون المنهج النقدي الذي يتعامل مع المدارس النقدية الوافدة. ولعلّ الرافضين يتقبلون الأدب الإسلامي ضمن الدراسات البينية التي تحتفي بها الجامعات العربية في وقتنا الراهن، فقد عقدت

الشراكات الأدبية بين اللغة العربية، وعلم الاجتماع والدراسات الأدبية، وعلم التاريخ، فلم لا نقبل بالشراكة بين الدراسات الأدبية والفلسفة الإسلامية؟ وبذلك يجد الباحث أن الأدب الإسلامي لا يغيب عن المشهد الثقافي، وهذا هو المفترض، فهو أدب شديد الصلة بالهوية والذات المسلمة.

■■ مامدى حضور المرأة مبدعة وناقدة في ساحة الأدب الإسلامي؟

■أما مبدعة؛ فهناك أقلام بدأت تشق طريقها، ولها حضورها؛ بخاصة في وسائل التواصل الاجتماعي مثل أمل الشقير، وأمل الشيخ، والشاعرة طفلة، وسوسن الدعيس، وفنار، وغيرهن كثير. وهذا مما تبتهج له النفس، ولكن حضورها ناقدة قليل، وهو ليس خاصاً بالأدب الإسلامي، بل على مستوى الساحة النقدية بعامة إذا ما قارنا ذلك بحضور الرجل.

■■ من أبرز النقاد والأدباء الذين ترين أن لهم حضورا في مسيرة الأدب الإسلامي؟

■أقولها دونما مجاملة، لقد بقي الدكتور وليد قصاب فارس الميدان، فله حضوره النقدي على مستوى العالم العربي، وله إطلاع مستمر بمستجدات الساحة النقدية، وهو أديب شاعر، وكاتب قصص للأطفال، والدكتور حسن الهويمل له حضوره في المشهد الثقافي، وكذلك د.عبدالله العريني، وكذلك الدكتور علي الحمود له مؤلفات في ذلك، وله حضور على المستوى الأكاديمي، وفي النقد الروائي، ومن الروائيين الشباب المعاصرين يعجبني الأديب الواعد عبدالمجيد الفياض، فله نفس روائي ممتد يضاهي الأدباء الأوربيين في رسم الحدث، وامتداد الزمن الروائي

د. حسن الهويمل

بنسق قيمي واعٍ، وانسجام مع لحمة الأدب السعودي، ولازال العشماوي حاضراً بشموخ في الساحة الأدبية، وفي وسائل التواصل الحديثة.

■■ نعرف أنك شاعرة؛ ماذا عن تجربتك الشعرية؟

■هناك من يكتب الشعر، فهو ينقاد له متى ما دعاه، وهناك من يكتبه فلا يحضر الشعر إلا إذا استدعاه داعٍ، وأظن أني من الصنف الثاني، فرغم ولعي بالشعر منذ الصغر إلا أن نتاجي الأدبي لا يتناسب مع العمر الزمني لموهبتي، فقد حزت المركز الثاني في مسابقة النادي الأدبي بعد تخرجي من الجامعة عن قصيدتي الوطنية التي مطلعها:

سألوا وقالوا من يعير جناحه
من ذا يحلق في ربى الأوطان
فأتى ينادي والدنى ترنو له
ذا موطني ذا معقل الإحسان
من أرض مكة عانق الكون الهدى
فاهتز عرش الظلم والأوثان

ولم تخرج في ديواني الذي صدر مؤخرا (فنن) ولعلها تصدر لاحقاً- بإذن الله، وحصلت على المركز الأول في مسار الأديبات في مسابقة مجلس ذوق الأدبي عن قصيدة لغة الخلود في يوم اللغة العربية العالمي التي كان مطلعها.

يا أيها الحرف المخبأ في دمي
زفّ القصيد وأسمع الأكوانا

■■ ديوانكم (فنن) متى صدر؟

■صدر ديوان فنن لهذا العام ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، عن دار عالم الكتب بالرياض، وقد كتب مقدمته سعادة الدكتور الشاعر عبدالرحمن العشماوي، وربط ربطاً جميلاً بين فنية الاسم، وأنه الغصن المستقيم، وبين فنية الديوان واستقامة القيم التي تضمنها، وأن هذا مطلبٌ ملحٌ في الأدب الإسلامي■

تَحِيةٌ للمُعَلِّم

حيّ المعلمَ معهداً وكتابا ... وسماحة! تكسو الزمان شبابا!
وسعادة جذلى كأطياف المنى ... تهمي! وكالماء الزلال رضابا
كالنور يجتاح الوجود وكالشذى ... يطوي البلاد رواسياً وشعابا
كالروح في دنيا الجمال جماله ... كالريح يرفع أنفساً وترابا
وتهادت الدنيا تقبل رأسه ... حيناً وحيناً تمطر الألقابا!!

* * *

حيّ المعلم نظرة وشهادة ... ومدارساً! يشكو الزمان عقابا
وصراحة كالشمس يدفعها المدى ... نوراً ويسفحها الوجود رحابا
وشجاعة يلوي الهزبر نعامة ... عنها ويجتاح السرور الغابا
وتفانياً كالموت يقتات الورى ... فيصب أرواح الأنام شرابا
وطهارة كالورد كالصبح الذي ... يهدي المسرة بلقعاً وربابا

* * *

حيّ المعلم! فالمعلم وحده ... رب السفينة قائداً وثابا
يهوى الصعاب مطية وهدية ... ويشع في ليل الصعاب شهابا
وتراه يحرق نفسه في نفسه ... كالشمع يذوي حرقةً وعذابا
يصف الدواء! ويصطفي أحبابه ... ويزيد من ألق الحياة صوابا

* * *

حيّ المعلم فالمعلم أمةٌ ... في روحه! يكسو الشعوب ثيابا
ويحاور التاريخ في وجدانه ... سفرٌ يناغي الخير والمحرابا
ويعارك الدنيا! فيعلو فوقها ... حيناً وحيناً يسحر الألبابا

سالم بن رزيق بن عوض - السعودية

ويلقن الأيام من عزماته روحاً وينساب الفؤاد سحابا
وكأنه الفلاح يفعم أرضه غرساً فيجني الفل والأعنابا

* * *

أمعلم الأجيال وجهك صفحة للنور يُشْرِقُ نضرة ورحابا
ويداك يفتلها الصمود فتنثني بيضاً تشع الطهر والإعجابا
وتكاد تزرع في الأنام ملائكاً في الناس تسفح همةً وطلابا
وفؤادك الميمون يجتمع الورى فيه فيهدي العالمين لبابا
وعليك سيماء الجلال وروحه تسقي الشعوب سماحةً وخطابا

* * *

أمجنح الآمال في دنيا الورى محنٌ تُقيم على اليباب يبابا
وتسوق أفئدة الشبيبة عنوة نحو الضياع وتملأ الأكوابا
وتظل تركض في ميادين الهوى ركضاً ويقتات الشباب سرابا
وتريق آلاف الكؤوس مدامةً عطشى لتروي الأهل والأحبابا
فتنٌ تكاد من الوقاحة تنتشي عجباً! وتقذف للعيون عُجابا

* * *

يا صانع الأجيال هذا نشؤنا في راحتيك! فطر بهم وتصابى
واسكب علومك في شغاف قلوبهم وحياً! وحلّق في الوجود عُقابا
وتسامَ للأجيال أنت إمامهم في الحق! تنفث جمرةً وشبابا
واصنع من الدرس الجميل خميلة غنّا! تهز الروح والأعصابا
أمل العقيدة في يديك فطر بنا نتسربل الأخلاق والآدابا
فتح الزمانُ الباب في أسلافنا فافتح لنا في عصرنا الأبوابا!

* * *

مؤلفة هذه المجموعة هي الدكتورة سعاد الناصر (أم سلمى) من مواليد ١٩٥٩م. نشأت في بيت علم ودين، وقد انشغلت بالمعرفة منذ طفولتها، فقد كانت تقرأ على والدها بعض التفاسير قبل أن تفهم معانيها بصورة جيدة. وقد تزوجت في الرابعة عشرة فانقطعت عن الدراسة مؤقتاً، وبعد أن أنجبت أربعة أطفال تابعت دراستها مرة أخرى فنجحت بامتياز في امتحانات البكالوريا سنة ١٩٨٢م.

شاعرية القص في مجموعة ظلال وارفة للأديبة سعاد الناصر

التحقت سعاد الناصر بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، وفي دراستها الجامعية أصدرت ديوان: لعبة اللانهاية سنة ١٩٨٥م، وديوان: فصول من موعد الجمر سنة ١٩٨٦م، وتخرجت في كلية الآداب سنة ١٩٨٨م. ثم حصلت على الماجستير سنة ١٩٩٣م، عن موضوع: صورة الغرب في الفن الحكائي المغربي الحديث؛ فعينت مدرساً بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان. ثم أصدرت مجموعتها القصصية: إيقاعات في قلب الزمن سنة ١٩٩٥م. وبعدها قامت بتحقيق الرحلة التي قام بها الشيخ محمد الصفار من تطوان إلى باريس تحت عنوان: الرحلة التطوانية إلى الديار الفرنسية.

وقد حصلت على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي بتقدير «حسن جداً» في موضوع: «الحركة الأدبية - دراسة في المكونات والأجناس-١٩٣٠-١٩٧٠م».

وسعاد الناصر تهتم بقضية المرأة، ونشرت عدة مقالات حول قضاياها في مجلات محلية وعربية مختلفة. وكتيباً بعنوان: بوح الأنوثة، من تقديم الدكتور محمد الكتاني في سلسلة شراع المغربية. وهي تشارك في العديد من الملتقيات الفكرية والأدبية داخل المغرب وخارجه. ولديها عدة مخطوطات في الشعر والقصة والدراسة الأدبية والفكرية تنشرها تباعاً.

د.حلمي محمد القاعود- مصر

***

وتضم مجموعتها (ظلال وارفة)[1]؛ عشرين قصة تشير عناوينها إلى دورات الحياة المتنوعة بأفراحها وأحزانها، ومسراتها ومعاناتها، وتقلبات الحالة النفسية والاجتماعية بالإنسان السوي، وغير السوي، ولكنها في كل الحالات تشير إلى شخصيات متطورة ومتحولة تنتقل من حال إلى حال، ومن سلوك إلى آخر. ولنتأمل مثلاً عناوين بعض القصص، مثل: رجوع، آن يا رب، البحر، حين تزهر أوراق السفر، توبة، ولادة، لعبة الحياة، تعلم، تماس، أغصان السكن، مقلاة السفنج، هروب، نوارس اليقين...، إنها عناوين تعبر عن حركة الحياة وتنوعها والدخول إلى معمعتها والاشتباك معها، والتنعم بحلاوتها، والتجرع لمرارتها.

وعنوان المجموعة (ظلال وارفة)؛ يمثل مدخلاً رقيقاً إلى الشاعرية التي تحكم هذه المجموعة، وتسري في مفاصلها، وتؤكد على شاعرية المؤلفة التي عبرت عنها نظما في المجموعتين اللتين سبقت الإشارة إليهما، وعبرت عنها نثراً في السياق القصصي الجميل في هذه المجموعة القصصية وغيرها.

وبصفة عامة، فالشعر يمثل للكاتبة حياة كاملة تظلل ما تكتبه بظلال وارفة، وهو ما عبرت عنه بقولها: «منذ بدء الحنين، كانت القصيدة ولم تزل، تتعمق كوشم صارخ فوق جسدي، هي لقاء في سماء متوضئة بالسؤال، أبتعد عنها كلما أحرقني الواقع بفيض يغمر شاعريتي، لأتجه صوب وجهها الغائب في ثنايا السرد، ألج عنفوان القصة القصيرة، فأنبتتني أول مجموعة: «إيقاعات في قلب الزمن»، وتقول: «الكتابة نهر من أزهار وأطيار وأشواك وعلامات، تبوح بأسرارها..».

وروح القصيدة موجودة في مجموعة ظلال وارفة التي بين أيدينا، وتهيمن على أهم خصائصها ومميزاتها التي يمكن تلمسها في حضور المكان والأمومة والطفولة والحياة الزوجية والتحول السلوكي، والاقتباس، أو تداخل النصوص والتضمين والمجاز، وغيرها.

***

وحضور المكان في المجموعة قائم بقوة: البيت، المدينة، البحر، الطريق، مكان العمل، أو الدراسة، أو المصنع، أو مرتيل، أو الغرب الإنجليزي.

والمكان يمثل منبعاً للشاعرية الجارفة سواء بالحب أو بالرفض، وهو رمز الحنين والانتماء، وهو أيضاً مفجر أحاسيس الغربة، والكاشف عن قسوة الأجانب وبرودهم وتعاملهم المادي الذي لا يعرف معنى التراحم والمودة.

يدرك ذلك من فارق الوطن وذهب إلى بلاد غريبة لا أهل فيها ولا خلان، ففي قصة (رجوع) نرى البطل المغترب يرثي نفسه، وقد تحول إلى مجرد آلة بلا روح، مما يدفعه إلى القول: «كنت أتمنى أن أكون ثوراً في بلدتي على أن أعيش هنا بهذه الطريقة. لم يعد عندي إحساس بالفرق بين شيء وآخر، أصبح رحيل النهار كرحيل الليل، وأصبحت أعيش خارج حدود الزمان والمكان».[2]

وتتفجر مشاعره وأشواقه إلى أهله وموطنه والبحر الذي عاش بالقرب من شاطئه، وكأنه يعيدنا إلى المتنبي وهو يحن إلى أهله، والشاعر المعاصر الذي يحن إلى أمه وخبزها وقهوتها، يقول: «اشتقت إلى حنان أمي، إلى لهفتها عليّ، افتقدت الجلوس مع عائلتي على مائدة واحدة، نأكل في صحن واحد، نتسابق على قطع اللحم القليلة، نتبادل الضحكات. افتقدت كثيراً زرقة البحر الذي كنت أطل عليه من نافذة غرفتي، رائحته المختلطة مع صدى الأذان، افتقدت سريان الحرارة في مشاعري، لم أعد أستطيع الاستمرار في هذا المنفى، تخليت عن كل شيء، وهأنذا أحاول استعادة شيء من الصفاء».[3]

لقد كان البطل الشاب في قصة (رجوع) يرغب في الزواج من فتاته الزميلة الطالبة في الجامعة، كان

يبثها إعجابه ورغبته القوية في مشاركتها حياته، واتفقا على أن يتقدم لخطبتها بمجرد حصوله على وظيفة كيفما كانت ريثما ينهي دراسته العليا. كان واثقاً من تهافت الشركات عليه بمجرد تخرجه لامتلاكه التفوق في تخصصه، وخبرةً نادرةً نتيجة التدريب في عدد من الشركات..، ولكنه اصطدم بأرض الواقع، فقد توفي والده، ولم تقبله شركة من الشركات، فقرر الهجرة إلى دولة غربية وتزوج بريطانية، وبدت عليه تغيرات جسمانية بسبب دوامة العمل المتواصل، وتحكم زوجه البريطانية فيه بسبب ممارسات عديدة لم يكن يتصور أنه يمكن أن يقدم عليها يوماً. وقع على أوراق تؤكد أنه مدين لها بآلاف الدولارات. قالت: إنها مسألة شكلية فقط، ليوافق صديقها على توظيفه. ولكنه افتقد السعادة والأمان، ولم يحصد غير التعاسة والاضطراب، ومع ذلك فهناك «كثير من الشباب يحسدونني على ما أنا فيه، لا يعرف قيمة الوطن إلا من تغرب عنه، وذاق طعم المرارة الذي ينفجر من كل زاوية من زوايا الغربة، ولا الاستمتاع به إلا من قلبه عليه انفطر».[٤]

ويؤكد بطلنا الشاب هنا تعلقه بالوطن أو المكان، لأنه رمز للأمان والصفاء، أما المكان الآخر، مكان الغربة ففيه الاستغلال، والقيود، والعمل المستمر بلا رحمة ولا عائد؛ اللهم إلا إرضاء السيد الأجنبي القاسي، وهو هنا يتمثل في الزوجة التي حصلت على توقيعاته وصار مديناً من دون أن يأخذ شيئاً حقيقياً ذا قيمة في المقابل، وأصبح مستعبداً لها، تتحكم فيه وتحركه كيف شاءت لا كيفما يريد هو. يتحول الوطن إلى مكان آمن يستحق من أجله أن يضحي بالزوجة البريطانية الأنانية القاسية.

وإذا كان بطل قصة (رجوع) يحنّ إلى زرقة البحر التي افتقدها في غربته، فإن البحر في قصة تحمل اسمه تحوّل إلى حالة من الشاعرية الفياضة المترعة بالأسى والغموض، بل إننا نرى مدى تأثير البحر في البطل، بل الكاتبة، وذكريات الطفولة على شاطئ البحر، وانتظار السفن القادمة بالصيد، أو السفن الذاهبة إلى الصيد، وها هو بطل القصة يتغزل شعراً شفافاً - إذا صح التعبير - في البحر، وعالمه الزاخر: «تطلع بعينين حالمتين إلى البحر، تمتد أمامه زرقة منبسطة تلتقي بحمرة متناثرة، فيشكلان لوحة طبيعية رائعة، أصاغ السمع إلى الهدير الخافت الممتد منه إلى شرايينه، ثمة زورق يستعد لرحلة ليلية في صيد السمك...».[٥]

وها هو يسجل بعض ذكرياته مع البحر في طفولته: «كانت أمه توقظه مع الفجر، ليذهب إلى الشاطئ مع إخوته ومجموعة من أطفال القرية لانتظار سفن الصيد التي خرج بها آباؤهم، فتخرج السفن، ويفرز السمك، ويذهب كل واحد إلى شأنه، ويظل هو في البحر، يضمه بصدره، ويدخل معه في علاقة حميمة خاصة، حوارية أو صامتة؛ إلى أن تغيب الشمس...».[٦]

هذا البطل هو نسخة مكررة بطريقة أخرى من بطل قصة (رجوع)، فهو يحلم بالهجرة إلى الشاطئ الآخر، وتحقيق الحلم بجمع الثروة، ولكنه ينتظر دون جدوى: «أخذ حجراً وجلس عليه بين يدي التلفزيون، في انتظار

موعده مع الرجل الذي وعد بترحيله إلى الضفة الأخرى من البحر، بعد أن سلمه كل النقود التي ادخرها لزواجه من جارته..».[٧]

ولكن أحداً لا يعرف ماذا جرى بعد الانتظار الطويل، وضياع مدخراته، فنهايته غامضة، وتعددت الروايات عن مصيره المجهول: «وفي كل مساء، تختفي الشمس في الأفق الوردي، باسطة للتواصل مع الشاطئ جسراً بلورياً يتلألأ على صفحة البحر».[٨]

هكذا تأتي الخاتمة الشاعرية للنهاية الغامضة، وكأنها توحي أن البحر مصنع الأسرار والأحزان معاً، وعبوره مصدر خطر عظيم!.

البحر حاضر في السرد بكثافة، والتعبير عنه كأنه الحياة المتوهجة التي تستشعرها شخصيات القصص بصورة يبدو فيها البحر مهيمناً على الروح والوجدان كما تقول الشخصية الرئيسة في قصة (نوارس اليقين): «البحر بالنسبة إلى ذاكرتي نحو عبور مرافئ الروح؛ هنا بأرض كاظمة تطل شرفة غرفتي على الخليج العربي الممتد مثل فجر بلوري، وبمدينة الحنين وطيبة، يطل بيتي على المحيط الأطلسي كأنه فاتح يقود جيشاً ضد الظلام، وأنا المسافر من بحر إلى بحر كأني سندباد العصر، أجد مرافئ الروح في البحر، ولكن لوحاتك تخلو من البحر فهل صار، في روحك، كومة من ملح أجاج!؟»[٩]

***

ومن خصائص قصص المجموعة تحول الشخصية القصصية من وضع إلى آخر، قد يكون أكثر إيجابية وحركية، حيث إن الثبات أو الجمود لا محل له غالباً؛ فالشخصية الناشزة أو المنحرفة غالباً ما تتحول، وتنتقل من حياة الاستهتار والانحلال إلى حياة الاستقامة والالتزام، كما نرى في قصة (آن يا رب) التي تتناول تحول أحد الشبان الذي يمثل صورة للسلوك المنحرف، وتشير إلى بعض ممارساته السلوكية، مثل تفوقه في الغش في الامتحانات، وصداقته لشلة من الزملاء على شاكلته؛ تتكاثر مجاهرتهم، ومطاردته لنماذج من الفتيات الساقطات اللاتي كُنّ هدفاً له، وتأتي عملية التحول من خلال فتاة ملتزمة تتأبّى عليه، وهو الذي كان يفاخر بأنه لا توجد فتاة تستعصي عليه، ولكن الفتاة التي استعصت عليه تتراءى كشمس وسط ظلمة قاتمة، وصوتها يخرق أذنيه: «..الشباب أصبح بالوناً فارغاً من أي محتوى، اهتماماته تافهة، رغباته مدنسة، لا هدف له في هذه الحياة سوى العبث..».[١٠]

صاحبنا يجلس وسط شلة من أصدقائه في مقهى الحي، يرتفع لغطهم، تتكاثر مجاهرتهم، يتعالى أذان المغرب، يحس بقلبه يخفق، وهنا تتبلور عملية التحول حين يسمع صوت المؤذن، كان صوت المؤذن شجياً، يكاد سنا تأثيره يخترق القلوب الصدئة، منذ مدة وهو يشعر بقلبه يتندى كلما سمع الأذان، وكثيراً ما تساءل عن طبيعة إحساسه لو أنصت للقرآن، ضحك بصوت مرتفع كأنه يطرد هذا الخاطر، حاول الانخراط في رواية المشاهد العارية والنكت البذيئة، شعر بالملل، بالرغبة في التقيؤ، بلع ريقه، صعد طعم مُرّ إلى لسانه، سمع صوت الجالس إلى جواره يقول له:

– ماذا بك، ألن تسمعنا صوتك هذا المساء؟ الظاهر أنك مستغرق في التخطيط للإيقاع بإحداهن..».[١١]

هكذا تبدو عملية التحول في تصاعد منطقي، يتحرك من نقطة منخفضة إلى نقطة أعلى حتى يصل إلى مرحلة التحول الكامل التي تقطع ما بينه وبين واقعه الفاجع.

وها هو ذا يجلس في المقهى يتململ في مقعده كأنه جالس على رزمة من مسامير، هب واقفاً، خرج إلى الشارع، داعب الهواءُ وجهه، شعر برغبة شديدة في الاغتسال، لم تكن أمه موجودة في البيت كعادتها، وجد أخته جالسة أمام الإنترنت مستغرقة في الدردشة الكتابية مع أحدهم. اغتسل، أرجع شعره لطبيعته، جلس

أمام التلفزيون يبحث عن قناة يمكن أن تعجبه، لم يكن يدري عمّ يبحث، لكنه استمر في البحث، وجد قناة تبث آيات من القرآن، تسمر أمام القارئ سمعه يقول :

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ... (١٦)﴾[١٢].

كان صوت القارئ ندياً، يسري في القلوب الظامئة فينعشها، خفق قلبه بشدة، اهتزت أعماقه لعمق الكلمات وجرسها، حزن شديد سيطر عليه، لأنه مع تأثره لم يفهم المعاني، كان يحس أن الكلام موجه إليه، وأن الله تعالى يخاطبه، لم يعرف ماذا يقول له عز وجل!؟ أسرع إلى المعجم يحاول شرح الكلمات الرائعة التي سمعها: «أما آن...»، توقف كثيراً عند المعاني والدلالات، هتفت روحه: «آن يا رب!»، كانت الدموع تنهمر على خديه، تقطر في أعماقه قطرة فقطرة، السؤال يكبر فيه ويكبر: «هل هناك أمل في النجاة، في الخروج من الزيف الذي أعيش فيه!؟ يا رب، يا رب! «فتش عن القرآن الكريم، وجده بين الكتب المجلدة، كانت أمه تضعه للزينة والتباهي في المكتبة الصغيرة المنزوية في ركن الغرفة، أخذه، نفض الغبار عنه، احتضنه، بدأ يقرأ فيه، أحس بسكينة واطمئنان في صدره، تشبث به بقوة، وقرر الانخراط في الحياة».

في الصباح كان واقفاً ينتظر الحافلة التي ستقله إلى كليته، وجدها تنتظر أيضاً، حين اقترب منها؛ حدجته بنظرة راضية وقالت: «الله المستعان»[١٣].

***

يمكن القول: إن هناك خاصية أخرى تحفل بها المجموعة، وهي خاصية الاستغراق في قضايا الأمومة والطفولة والزوجية، وعلاقة المرأة بالرجل بصفة عامة، وهو أمر طبيعي بالنسبة للكاتبة؛ لأن الاهتمام بهذه القضايا يكاد يكون شأناً أنثوياً بالضرورة، ويمكن أن نجد التعبير عن ذلك سائداً في كثير من قصص المجموعة، بوصف المرأة محوراً أساسياً في الحياة، وحياة الأسرة بصفة خاصة، وفي الغالب فإن القصص تقدم روحاً إنسانية مترعة بالمودة والتعاطف بين الرجل وزوجه، وبين الأم وابنها في إطار من الشاعرية الحميمة التي يمكن وصفها بالغزل بين روحين أو بين نفسين، تشبه غزل الصوفية، ولكنه مربوط بالأرض والواقع.

ومن يقرأ على سبيل المثال قصص «حين تزهر أوراق السفر»، و«ولادة»، و«أغصان السكن»، و«نوارس اليقين»؛ يجد علاقة إنسانية حميمة تصوغها الكاتبة شعراً منثوراً، وتقدم وجهاً إيجابياً للعلاقات الخاصة بين أفراد الأسرة، نفتقده في كثير من الإنتاج الأدبي المعاصر الذي تغلب عليه حالة تشاؤمية أو مادية جافة.

في قصة (أغصان السكن) تعالج الكاتبة بطريقة بارعة مسألة خفوت المشاعر في الحياة الزوجية والصمت الذي يخيم على هذه الحياة لتقادم الزمان، أو تقدم العمر بالزوجين ونشوء جيل من الأولاد الذين يكبرون ويتزوجون وينجبون، وقد يغيبون بعيداً عن الوالدين، أو يستقلون بسبب تكوين أسر جديدة، فيكون

هناك فراغ، وحنين إلى الأحفاد والحياة التي كانت في مطلع الشباب.

تأخذ المرأة المبادرة في هذا السياق، وتسعى إلى تجاوز الواقع الذي يحكمه البرود والصمت في الحياة الزوجية: «... كانت تريد أن تختصر المسافات التي اتسعت بينهما، لم تكن تعرف كيف تصيخ السمع لأصوات آتية من خلايا الأفكار... انحبست أشياء دافئة وناعمة في صدري، أوهمتني أحلامي ألّا شيء يمكن أن يطفئ حنينه إليّ، لكن انصرام الزمن أفرز قحطاً مضنياً، ولم يُبق سوى فراشات الشوق تحترق في شراييني».[١٤]

ولاشك أن هذه المبادرة تفعل فعل السحر في تغيير الأجواء، وتحريك الطرف الآخر، ليشارك بطريقة ما في المبادرة ويستجيب لها: «فطن إلى تغييرها، محاولاتها الدائبة للفت انتباهه إلى حنين متجدد، نكأت جرحاً في صدره، ظن أنه دفنه في قبر اللامبالاة والصمت. تحدث إليها بصمت، فما عاد يبثها ذرة من مشاعره المتدفقة، منذ تأكد أن عواطفها كلها حولتها إلى أولادها، وما بقي منها نثرته في عملها الإداري والبيتي، واكتفى منها بما يفرضه ضغط الجسد: «في مرافئ عينيك ترسو سفن عشقي، فاردة أشرعتها تجاهك، وأخاف أن يكون الصدأ قد علاها، فلا تسافر من جديد في بحار عطائك». «قامت وأطفأت زر التلفزيون، فقد صممت على استرجاع زوجها إلى دفء حنانها، وتسقي أغصان السكن من جديد، وقد آن الأوان أن تبحث عن مياه عذبة لذلك».[١٥]

ولا شك في أن المرأة الذكية تأخذ زمام المبادرة، وتصلح الوضع الأسري بما تملكه من حيل لا تملكها غير المرأة، وهو ما يجعلها تتجاوز السلبيات، وتطفئ وساوس الصمت والبرود العاطفي!.

وإذا كانت المرأة الذكية تغازل زوجها لاستعادته من بحار الصمت، فهي تغازل ابنها الذي يستعد للسفر والهجرة خارج البلاد طلباً للعلم كما نرى في قصة (حين تزهر أوراق السفر). الأم بوصفها جذراً، والابن بوصفه فرعاً؛ العلاقة بينهما علاقة وجود وحياة، وليست مجرد علاقة انتماء أو نسب. يوم سفر ابنها لم يعرف النوم طريقاً إليها؛ لأن جزءاً منها سيغادرها، ويتركها وحيدة تنتظر: «لم يبق على أذان الفجر سوى لحظات حين سمعته يخرج من غرفته بهدوء، شعرت لحظتها كم سأفتقد هدوءه... كم سأفتقد ابتسامته الحيية التي لا تفارق وجهه. سأفتقد ذلك البوح الذي يختزله أياماً في صدره قبل أن يتدفق بغزارة، فأتلقاه في صدري، وأعيش معه همومه ومشكلاته؛ وأغوص وراء آماله وأحلامه...».[١٦]

وتواصل الأم التعبير عن مشاعرها من خلال وصف لحظات الوداع بينها وبين ابنها في تصوير حيّ مشبع بمعجم الأمومة ومفرداتها، مستخدمة أسلوب الالتفات أو التحول من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب: «ضممته إلى صدري بقوة وكأني لا أريد تركه أبداً...، دفنت رأسي في عنقه، ووددت لو توقف الزمن وأنت بين أحضاني يا أعز حبيب لأشم بقايا من طفولتك، وأتتبع مجرى الحليب الذي ألقمتك إياه ليسلمني إلى مرسى الرجولة في عينيك...، تشدني من كتفي وتقول:

– أمي ادعي لي، فهذا أكثر ما أحتاج إليه في هذا الوقت...، سأشتاق إليك يا أمي..».[١٧]

«ورحلت، سافرت وتركت حضوراً كالشعاع في جيد القصيدة، وأدركت أن مفردة الشوق لا تستوعب مثقال ذرة مما أشعر به في غيابك.. الغياب.. هل أنت حقاً غائب؟ وهذه الومضات التي تعانق رحاب القلب، وتغزو الوجود، وتخفض لي جناح الذل من الرحمة حتى تمنحني السكينة...، وأعرف أنك تحاول أن تجد نفسك في هذا الفضاء الذي لا يحمل أي بشائر...، أن تنمو نخلة متسامقة في أفق الكرامة..».[١٨]

ومن خلال حوار تقريري منطقي تخمد العواطف المشبوبة، وترضى الأم بالأمر الواقع:

«– أمي لست مسافراً من أجل المتعة أو اللعب، تذكري أنني ذاهب من أجل العلم، ألا تعتبرين هذا فرضاً وجهاداً؟؟».[١٩]

«.. أعرف يا بني أنه لم يبق أمامنا من طريق سوى العلم ثم العلم، فهذا زمن الإعصار واللعب في هاوية الدار، ولن نستطيع الصمود إلا بثمار (اقرأ)، ثم (اقرأ)...».[٢٠]

قصص المجموعة تعالج واقعاً أسرياً يشغل المرأة والأطفال والأزواج، ويمتد إلى آفاق متعددة، فهناك الأم الكبرى وعناء الأطفال، والمفارقة التي تحدث في بعض الأسر بين طفل ينطق بعد فترة طويلة من الصمت، وولادة طفلة صغيرة شقيقة، ولعب الأطفال وشقاوتهم، واكتشافهم عفواً بعض الحوادث أو الجرائم، فضلاً عن مشكلات المرأة المتعبة المقهورة، والطفولة المعذبة، واللجوء إلى السحرة والدجالين لحل هذه المشكلات.

المجموعة تطرح هذه القضايا وغيرها من خلال تصور إسلامي ينحاز إلى الإنسان من دون نظر إلى جنسه أو نوعه أو انتمائه.

***

وانطلاقاً من التصور الإسلامي نجد المجموعة تستدعي بعض آيات القرآن الكريم، لتبرهن بها على تحول الشخصية، وتغيرها من حال سلبية إلى أخرى إيجابية، وهي ظاهرة فنية جيدة افتقدناها في كثير من النصوص الأدبية المعاصرة، خاصة بعد هيمنة ذوي الاتجاهات غير الإسلامية على المشهد الأدبي، وسيطرتهم على وسائط التعبير والنشر!.

في قصة (آن يا رب): «نجد صوت قارئ القرآن يأتي عبر قناة تلفزيونية، ويتلو آيات قرآنية تتوافق مع الحال التي يعانيها بطل القصة الذي استغرقه الانحراف، وأخذ يمله ويترقب حالاً أخرى أكثر اطمئناناً وراحة وأمنا، فنسمع ونقرأ الآية الكريمة: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ...(١٦)﴾ (الحديد)، والآية تدفع صاحبنا إلى البحث عن معاني الكلمات التي لا يفهمها، ومن ثم إلى التفتيش عن المصحف الذي تضعه أمه بين كتب المكتبة الصغيرة في البيت من أجل الزينة، فينفض عنه الغبار ويحتضنه، ويبدأ القراءة فيه لتظلله السكينة، وتبدأ مرحلة التحول والانتقال إلى الاستقامة والطهارة والخشوع. وهكذا يكون استدعاء الآيات القرآنية عنصراً مهماً في تحول الشخصية القصصية من ناحية، واتساقاً مع التصور الإسلامي من ناحية أخرى.

القرآن يمثل أيضاً وسيلة للترحم على الغائب أو المفقود بحكم العقيدة والثقافة كما نرى في قصة (البحر)، «حيث غاب الشاب الذي كان ينتظر السفر إلى الشاطئ الآخر ولم يعرف الناس مصيره وتتعدد الأقاويل حوله، فيقول إمام المسجد: «تعالوا نقرأ عليه القرآن، ونهديه له حياً كان أو ميتاً، واحذروا الغرباء، ولا تخالطوهم إلا بالمعروف الواضح؟».[٢١]

وقد رأينا استشهاد الأم بآية (اقرأ) للتدليل على ضرورة طلب العلم لبناء الأمة، في قصة (حين تزهر أوراق السفر). ثم إنها - أي الأم - تقرأ القرآن وتتبادل القراءة مع زوجها في قصة (ولادة) عند أذن الطفل المريض طيلة شهر تقريباً وهو مسجىً أمامهما في غيبوبة، أملاً في الله كي يشفيه. وفي قصة (حكاية عُمْر) نجد بطلة القصة تقرأ القرآن وترتله ترتيلاً رائعاً يتلألأ في وجهها نوراً وضياءً.[٢٢]

استدعاء القرآن الكريم يمنح الرؤية الفنية في المجموعة بعداً عميقاً بلا ريب، وأيضاً فإن استدعاء الحديث الشريف يؤدي المهمة الفنية نفسها، وإن كان استدعاء الحديث الشريف لمرة واحدة في قصة (الوظيفة) مرتبطاً بالزواج: «إن جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، إن لم تفعلوا تكن فتنة وفساد كبير»[٢٣] ويرافق استدعاء الحديث معجم إسلامي يتردد عبر سطور المجموعة يؤازر التصور الإسلامي ويضيئه، فهناك القرآن والحديث، والتسبيح والذكر والاغتسال والنور والضياء والأمل والسنا والمجاهرة والأذان والمئذنة والآيات والدعاء والرجاء، والله المستعان، والتوبة والركوع والسجود، وركعتا الفجر، وسبحان ربي الأعلى، والتكبير والحمد لله، والتوكل على الله، والله معنا، وقضاء الله، والحمأ المسنون، والعلم فريضة، وخشية الله، ومجمع البحرين، ويثرب، والإنس والجان...

***

يمثل الشعر في ظلال وارفة حالة مميزة، فالشاعرية قائمة على امتداد صفحاتها، وبعض القصص تبدو قصيدة قائمة بذاتها؛ وإن لم تعتمد الوزن قصداً، ومع ذلك فهناك تضمين بأبيات من الشعر القديم، فبطلة قصة (حين تزهر أوراق السفر) تستشهد بالشعر القديم في سياق التعبير عن مشاعرها تجاه ولدها الغائب الذي سافر:

«.. وأنا أدمن البكاء.. أحياناً يأتيني على شكل دموع نسائية تستعين بتواطؤ أنثوي لتنبت الأوجاع المتناثرة على صفحات الذات، وتسقي تمرداً أخضر حتى يزدهر أكثر من قوس قزح. فكرت أن إحساس الشاعر الجاهلي بالليل مصيب:

وليل كموج البحر أرخى سدوله
عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي[٢٤]

ليبتلي... (لاحظ تكرار الفعل هنا من جانب البطلة)

فكلني يا أعز حبيب لهمّ أقاسيه سريع الكواكب
لأتربع في عينيك، وأسند رأسي المحموم في صدرك.

غزتني ابتسامة حزينة، فالشعر يداهمني بحزمات من الضوء، ويكاد يغويني لأهيم في الملكوت الأرجواني، وأنا وحيدة تلهب الآلام مرمى بصري، وتستبيح ذاتي في مواسم الجفاف».[٢٥]

وكما نرى فإن بطلة القصة مترعة بالشعر قراءة ومداهمة لأنه يمنح حزمات الضوء. وفي قصة (نوارس اليقين) تعود للتضمين بالشعر:

"أردد في همس كأني في حال الكشف:

فكان ما كان مما لست أذكره
فظُن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وأقول: ذاكرتي مثقلة بتاريخ طويل لا يمكن الخروج عن مداره».[٢٦]

إن الشعر يهيمن على الأداء القصصي سرداً وتصويراً وحواراً، وقصة (نوارس اليقين) آخر قصص المجموعة تبدو قصيدة ممتدة كما سبق القول، وسأكتفي بنقل بعض سطورها لنرى الهيمنة الشعرية الشفيفة التي تضعنا في سياق التأويل واسع الدلالات والإيحاءات.

«قال باطمئنان:

- أريد لها يثرب اليقين، ولا يجوز لريشتها المتميزة أن تأسرها ثقافة الطين اللازب، أو يستغلها سدنة العفن

الذي يخلب بصائر الناس.

التحقت بهما، سمعت ما قال كأنه رحيق تمتصه نحلة عطشى:

– صارت إشارات واضحة بأنهم سيطردونني من حضرتهم، لأن ريشتي تنادي: إني أسعى إلى أن أجد على النار هدى.

تساءل في انفعال قوي:

– « أو مخرجوك هم؟

أجبت وقد طأطأت الرأس المثقل بالذكريات:

– نعم.

فجاءني كلامه كأنه ومضة نور في جوف الظلام:

فيمّمي وجهك جهة يثرب اليقين...»[٢٧].

«وكتبت إليه:

– هل من مزيد ؟؟

فأجابني بسؤال محير:

– وما أعجلك نحو خروجك من قبيلة الألوان التائهة في السواد؟ ألا تخافين أن يقولوا عنك: صبأت صاحبة الريشة الثائرة؟»[٢٨]

«فإني أجد عصافير من روح أنوارك تعزف إيقاعات في لون قوس قزح، تمس حضوري البهي المتجدد بعد الشروع في رحلتي على يثرب اليقين. صدق وصاياك يختصر الزمن إلى معنى في رحابة الكون، تقول بناتي: إنه القمر يشدك إليه في أعاليه. ويقول زوجي: إنه البحر يسكن هدير صمتك ورعشتك، لكني أقول: إنه السندباد يزف لي حلماً في شكل نوارس اليقين، ويخبئ في عيني رياحين السؤال والجواب».[٢٩]

***

شاعرية القص في (ظلال وارفة) يصنعها خيال عريض، يعتمد على المجاز وتداخل النصوص، ولو تأملنا الاقتباسات في الفقرة السابقة لوجدنا تصويراً حياً يستند إلى التشبيه والاستعارة بكثرة ملحوظة، ويعتمد على التشخيص الذي يدخلنا في متعة الشعر، ويبعدنا عن متابعة السرد بسبب انغماس الكاتبة الشاعرة في ينابيع الشعر الذي يشكل حياتها ويملأ وجدانها. وتأمل مثلاً هذه الصورة: «أريد لها يثرب اليقين، ولا يجوز لريشتها المتميزة أن تأسرها ثقافة الطين اللازب، أو يستغلها سدنة العفن الذي يخلب بصائر الناس». فيثرب اليقين إشارة إلى المدينة المنورة رمز السكينة والطمأنينة، ومنح اليقين الذي يتكرر في أكثر من موضع، دلالة على شغف الروح بالوصول إليه والاستقرار عنده: «أريد لها يثرب اليقين، ولا يجوز لريشتها المتميزة أن تأسرها ثقافة الطين اللازب».

إن ثقافة الطين اللازب رمز الشك والريبة ودلالة على القلق والتردد والاضطراب، وتأمل لفظة الأسر وما توحي به من فقدان الحرية والإرادة، وهنا تتقابل يثرب اليقين مع ثقافة الطين اللازب، أو الشك والحيرة. ومع جمال الصورة فإنها تدخلنا إلى حالة التفكير العميق والذهنية المسرفة، خاصة حين يردف ثقافة الطين اللازب بسدنة العفن الذي يخلب بصائر الناس.

بيد أننا نرى تصويراً أكثر عفوية وحيوية تتداخل فيه النصوص في المقطع التالي من الاقتباس نفسه: «التحقت بهما، سمعت ما قال كأنه رحيق تمتصه نحلة عطشى:

– صارت إشارات واضحة بأنهم سيطردونني من حضرتهم، لأن ريشتي تنادي: إني أسعى إلى أن أجد على النار هدى.

تساءل في انفعال قوي:

– أو مخرجوك هم؟

أجبت وقد طأطأت الرأس المثقل بالذكريات:

– نعم.

فجاءني كلامه كأنه ومضة نور في جوف الظلام: فيممي وجهك جهة يثرب اليقين...».[٣٠]

تأمل التشبيه: «سمعت ما قال كأنه رحيق تمتصه نحلة عطشى»، فالقول الذي يشبه الرحيق جاء عفوياً، وأضافت إليه وجه شبه ذهني: «تمتصه نحلة عطشى»، والتشبيه: كلامه كأنه ومضة نور في جوف الظلام، وهو تشبيه معتاد، ولكنه تلقائي، ثم تأمل تداخل النصوص في قولها: «أسعى إلى أن أجد على النار هدى»، وقولها: «أو مخرجوك هم؟» وقولها: «فيممي وجهك جهة يثرب اليقين»، وهي متداخلة مع قوله تعالى: ﴿... لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠)﴾ (طه)، وقوله صلى الله عليه وسلم لورقة بن نوفل حينما أخبره أن أهل مكة سيخرجونه بسبب الرسالة أو الوحي: «أو مخرجي هم؟»[٣١]، وقوله تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا...(٧٩)﴾(الأنعام)، وهذا التداخل مع التشبيه يقدم سبيكة أسلوبية شعرية، تتساوق مع عواطف الشخصية القصصية الباحثة عن يثرب اليقين.

ويبقى القول: إن مجموعة (ظلال وارفة) حملت إلينا سرداً فيه قرب ومودة، وشعراً فيه جمال ومتعة■

الهوامش:

(١) منشورات سلسلة روافد قطاع الشؤون الثقافية بوزارة الأوقاف، الكويت، (١٤٣٢هـ – ٢٠٠٧م).
(٢) مجموعة ظلال وارفة، ص ١٥.
(٣) مجموعة ظلال وارفة، ص ١٥.
(٤) مجموعة ظلال وارفة، ص ١٥.
(٥) مجموعة ظلال وارفة، ص٢٥.
(٦) مجموعة ظلال وارفة، ص ٢٥.
(٧) مجموعة ظلال وارفة، ص٢٦.
(٨) مجموعة ظلال وارفة، ص٢٦.
(٩) مجموعة ظلال وارفة، ص١٣٣.
(١٠) مجموعة ظلال وارفة، ص٢٠.
(١١) مجموعة ظلال وارفة، ص١٩.
(١٢) مجموعة ظلال وارفة، ص٢٠. والآية من سورة الحديد، رقم: ١٦.
(١٣) مجموعة ظلال وارفة، ص٢١.
(١٤) مجموعة ظلال وارفة، ص١١٢.
(١٥) مجموعة ظلال وارفة، ص١١٣.
(١٦) مجموعة ظلال وارفة، ص٢٩.
(١٧) مجموعة ظلال وارفة، ص٣٠.
(١٨) مجموعة ظلال وارفة، ص٣٠.
(١٩) مجموعة ظلال وارفة، ص٣٠.
(٢٠) مجموعة ظلال وارفة، ص٣١.
(٢١) مجموعة ظلال وارفة، ص٢٦. وهنا ينبغي أن نلاحظ موضوع قراءة القرآن على الغائب الميت أو الحي، وأنه لم يرد في الأدلة الشرعية مثل هذا العمل الديني. ولو وجهت الكاتبة الموضوع إلى الدعاء لكان أولى. (المراجع).
(٢٢) مجموعة ظلال وارفة، ص١٠٦.
(٢٣) مجموعة ظلال وارفة، ص٨٩. والحديث رواه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجة (١٩٦٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ). وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي.
(٢٤) البيت لامرئ القيس، من معلقته المشهورة.
(٢٥) مجموعة ظلال وارفة، ص ٢٩. والبيت من معلقة الشاعر الجاهلي امرئ القيس.
(٢٦) مجموعة ظلال وارفة، ص ١٣٢. والبيت ينسب لعبد الله بن المعتز، انظر كتاب : زهر الأكم في الأمثال والحكم، المؤلف: اليوسي، مصدر الكتاب : موقع الوراق: http://www.alwarraq.comn، والكتاب مرقم آلياً غير موافق للمطبوع.
(٢٧) مجموعة ظلال وارفة، ص١٣٧، وما بعدها.
(٢٨) مجموعة ظلال وارفة، ص١٣٨.
(٢٩) مجموعة ظلال وارفة، ص١٣٩.
(٣٠) مجموعة ظلال وارفة، ص١٣٧.
(٣١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي.

الحمامة الوالهة

حدث شيء جميل بهيج في عشنا الزوجي الحالم في هذا الصباح الباكر مع هبة نسائم عليلة وادعة..

عدت إلى البيت أوقظ فاتنتي لصلاة الفجر بعد غيابها عنه أسبوعًا طويلًا استوحشت فيه من كل شيء.. من البيت.. من الغرف.. من كل ركن وزاوية ؛ بل حتى من نفسي..

طبعت على خدها قبلة الصباح كعادتي.. همست في أذنها:

- الصلاةَ حبيبتي..

استيقظت على وقع القبلة الناعمة.. فتحت عينيها الناعستين.. أهدتني ابتسامتها الأولى.. ما ألذها من ابتسامة بعد أسبوع قاس من الحرمان!..

حاولت أن تقوم بنفسها فلم تقدر.. أطلقت أنينًا خافتًا يخشى أن يزعج الصغير إلى جوارها عن نومه..

أعنتها على القيام.. توضأت وقامت تصلي.. أسبلت على نفسها لباس الصلاة سابغًا ساترًا لا يبدي شيئا منها..

مضيت إلى المجلس أفتح النافذة.. طارت عنها فزعةً حمامةٌ وادعة.. كأني أزعجتها وأرعبتها مع هذا الصباح الوليد..

تذكرت شيئًا.. كلما جئت أفتح هذه النافذة وجدت هذه الحمامة تطير وتبتعد.. كأنما تبقى جاثمة طول وقتها عند النافذة.. لماذا؟

رحت أستكشف.. فتحت الضلفة الأخرى للنافذة.. يا للمفاجأة! عش حمام بسيط مصنوع من أعواد الأغصان الجافة.. تتوسطه بيضتان صغيرتان نائمتان..

يا الله.. هكذا إذًا.. اتخذت هذه الحمامة الأم من عتبة النافذة في بيتنا الهادئ عشًّا آمنًا لها ولصغارها القادمين..

أسرعت إلى الحبيبة أدعوها؛ كي تشاركني الفرحة برؤية هذا المنظر الدافئ لهؤلاء الضيوف الواعدين..

أقبلنا معًا ننظر.. ويا للمفاجأة الصاخبة هذه المرة.. إحدى البيضتين النائمتين مستيقظة تتحرك.. بدأت تفقس.. انتفض الفرخ بداخلها انتفاضة الحياة.. كسر قشرة البيضة.. أحدث في منتصفها شقًّا واضحًا.. أخذ يندفع خارجًا بالتدريج.. يحرر نفسه من سجن البيضة إلى فضاء

إبراهيم حافظ غريب - السعودية

الحياة الطليق.. عملية إنجاب كاملة تتم أمامنا..

رحنا نراقب بصمت خاشع.. سبحان الخالق.. ما أقدسها من لحظات جليلة!.. حياة تنجب حياة.. من علم الفرخ أن ينتفض؟ أن انتفاضته تكسر عنه القشرة المحيطة به؟ أن يحرر نفسه بنفسه من سجن البيضة، ويتحمل مسؤوليته عنها منذ اللحظات الأولى فيها؟

متى نتعلم أن ننتفض لنخرج من البيضة؟ إن انتفاضتنا تكسر عنا قشرة الأسْر المحيطة بنا؟ أن نحرر أنفسنا من سجن العادة، ونتحمل مسؤوليتنا عن حياتنا؟

شكرًا جارتنا الحمامة أن اخترتِ مجاورتنا، واتخذتِ من نافذة بيتنا عشًّا آمنًا لأفراخك القادمين.

قلت لفاتنتي معلقًا:

- عندهم إنجاب كالذي كنا ننتظره نحن!

نظرت إليّ وأهدتني ابتسامتها الثانية.. أومأت إليّ بالموافقة.. قالت بإحساس الأنثى ومشاعر الأمومة الجارفة:

- دعنا نتركه الآن.. سيكون بحاجة لأن يتلقى غذاءه من أمه الوالهة.

تلك هي الأم على مدار التاريخ.. وتلك عبقريتها الخالدة.. من لدن أمنا حواء.. أيًّا ما كانت.. إنسًا أو طيرًا أو وحشًا؛ أن تعنى بإنماء الحياة لبنيها.. بعد أن تهب لهم الحياة بإذن باريها.

أطعت فاتنتي وأغلقت النافذة، ومضيت أمسك بالقلم أكتب بشغف شجيٍّ قصة الحمامة الوالهة! ■

وصية إلى ابنتي

أشرف قاسم - مصر

صغيرتي
التي تخُبُّ في لفائف الحنانْ
إليك يا حبيبتي وصيتي!
في عالم تحيطه الدماء والنيران
ولم يعد للحب يا صغيرتي مكانْ
أوصيك بالوطن..!
أوصيك بالإنسانْ..!
أوصيك يا صغيرتي
أن تجعلي السلام مبدأ الحوارْ
فالحب يا صغيرتي
يمهد الدروب للنهارْ
ويفتح القلوب للخضارْ
ولتجعلي الكتاب
أول الطريق للقمرْ

لا تقطفي الزهرْ
ولتعشقي المطرْ
فإنه يغسلنا
من جفوة البشرْ
ولتسألي الذين قدموا أرواحهم
هدية إلى الوطن.
إن استطعت يا صغيرتي سؤالهم:
رخيصة أرواحكم
تلك التي تقدمونها إلى الوطنْ؟
ستقرئين ردهم
يطل من عيونهم:
بل غالية
لكنها مهما غلت
فلن تكون يا بنيتي

أغلى من الوطنْ.
ولتسألي الذين يسهرون
في المصانعْ
وجندنا الذين يسهرون
يردعون كل طامعْ
والعاملين في المزارعْ
لماذا أنتمُ هنا؟
ستقرئين ردَّهم يطل من عيونهم:
لأجل رفعة الوطنْ
نموت يا حبيبتي
ليزدهي الوطنْ
نموت يا حبيبتي
ليزدهي الوطنْ!!

أثر الإسلام في الأدب الروسي الحديث

محمد عبد الشافي القُوصي- مصر

لا يستطع أحد أنْ يجهل سِحر الأدب الروسي وجمالياته؛ مما ساهم في انتشاره بين الشعوب، وتخطّيه اليابس والماء، ومِن ثمّ ترجمته إلى مختلف اللغات، حتى صارت الإبداعات الروسية تتصدر واجهات المكتبات، بلْ والأكثر مبيعاً.

في ذات الوقت؛ لا يستطيع أحد أنْ يغفل الأثر البارز للقرآن الكريم، والسيرة النبوية بالنسبة للحياة الثقافية والروحية في روسيا؛ حيث أصبح القرآن -على حد تعبير الناقد الروسي براجينسكي- «مصدراً للتعبير عن الأفكار البطولية، والشجاعة الصلبة، والنضال المنكر للذات في الفترة التي سبقت حركة الديسمبريين».

أمّا «السيرة النبوية» فقد صارت بالنسبة لصفوة المثقفين الروس ورواد الحركة الوطنية؛ نموذجاً للقدوة الحسنة الصابرة على الرسالة والمكافحة في سبيلها، ولا أدلّ على ذلك من كلمات الأديب والثائر الديسمبري تشاداييف- التي أكدّ فيها على عظمة الرسول مُحمّد الذي حمل لواء الدعوة الجديدة، التي كان لظهورها الفضل في تلك «اليقظة الدِّينية في الشرق».

هـذا؛ ويأتي في صدارة الأدباء الروس؛ الذين أمدَّهم الإسلام بنفحةٍ مِن ضيائه، وقبسٍ مِن نوره؛ الفيلسوف والأديب الشهير ليو تولستوي (L.Tolstoi ١٨٢٨-١٩١٠م)، الذي أُعجِبَ بالإسلام وتعاليمه في الزهد والأخلاق والتربية، وانبهر بشخصية النبيّ ﷺ وألّف كتابه (حِكَم النبيّ مُحمّد) الذي جمع فيه عدداً من الوصايا والمواعظ النبوية الشريفة، وقال فيه: «إنَّ مُحمّداً هو رسول من أهم الرسل، وكان من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمةً جليلة، يكفيه فخراً أنه هدى أُمّة برمَّتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام، وتُؤْثِر عيشة الزهد، ومنعها من سفك الدماء، وفتح لها طريق الرقيّ والمدنية، وهذا هو عمل عظيم لا يُقدِم عليه إلا شخص أُوتي قوةً وتأييداً من الله، فرجل مثله جدير بالاحترام والإجلال».[١]

نعم؛ هناك عدد كبير من الأدباء والشعراء والمفكرين والمستشرقين والفلاسفة الروس؛ عاشوا منبهرين بمبادئ الإسلام، ووقفوا مشدوهين أمام شخصية نبيّ الإسلام ﷺ، ونُبُل أخلاقه، وطهارة حياته، وخلوّها مِن كل ما يثلم أخلاقه القرآنية.

مِن هؤلاء؛ الأديب والشاعر (ميخائيل ليرمونتوف Mikhail Lermontov) الذي وجد خَلاصه في التأسّي بسيرة الرسول، ولم تهدأ نفسه –كما يقول: إلا بعد أنْ كتب قصيدته (الرسول) التي استهلَّها قائلاً: (منذ أنْ منحني الإله الأزلي؛ رؤية الرسول؛ أخذتُ أُنادي بالحب، وحق التعاليم الطاهرة ...).

ليو تولستوي

ميخائيل ليرمونتوف

إيفان بونين

لقد شغل الإسلامُ مساحةً كبيرةً من إنتاج (ليرمونتوف) وكانت العقيدة الإسلامية لها عميق الأثر في نفسه، وعزم على السفر إلى مكة المكرمة، موطن الرسول، ومشرق الإسلام، مؤكداً هذا العزم بالقسم بالرسول، بقوله: (إنني لمستعد للموت! والآن أُقسِمُ بمُحمَّد ...).

أيضاً؛ الكاتب والشاعر الروسي (إيفان بونين Ivan Bunin) الذي طاف العالم العربي والإسلامي، وصار أكثر الأدباء الروس اهتماماً بالشرق العربي والإسلامي؛ بعدما درس الإسلام، وقرأ القرآن؛ فاستلهم روح الإسلام في عديدٍ من قصائده؛ التي امتلأتْ بسيرة الرسول، وشعائر الصلاة، والحج في الإسلام، لاسيما رائعته الشِّعرية (مُحمَّد مطارداً) التي تناول فيها مدى المعاناة التي تحملها الرسول في سبيل الدعوة –كما يقول ب. تارتا كوفسكي).[٢]

أمير شعراء روسيا

هذا؛ ويعد (ألكسندر بوشكين Aleksandr Pushkin) أمير شعراء روسيا، وأكثر أدبائها حباً

للشرق العربي، وتأثراً به حضارياً وتراثياً وروحياً- ويأتي في مقدِّمة الشعراء الروس؛ الذين استلهموا القرآن الكريم والسيرة النبوية، حيث تتبوأ قصائده: «قبسات من القرآن»، و«النبيّ»؛ مكانةً بارزةً بين المؤلفات الأدبية الروسية المستوحاة من التراث الروحي الإسلامي.

لقد زار «بوشكين» القِرم والقوقاز، وتأثر بالمحيط الإسلامي، واهتم بتعلُّم اللغة العربية، وكتب بعض القصائد التي تشير إلى هذا التأثير، مثل: «الأسير

القوقازي»، و«القوقاز»، و«الليالي المصرية» التي لم يكمل كتابتها.

ولعلَّ تعلّمه العربية، ومخالطته للمسلمين، واطلاعه على الفكر والثقافة الإسلامية هناك؛ أسفر ذلك كله عن كتابته لعدد من الروائع الإسلامية، التي تُرجِمتْ إلى كثير من اللغات العالمية، وربما هذا يؤكد فرضية اعتناقه الإسلام -كما قال الدكتور زكي مبارك.

في قصيدة (النبّيّ) يقول «بوشكين»:[٣]

مضنى بالظمأ الروحي
وفي صحراء موحشة كنتُ أتأمل
فظهر لي ملاك سداسي الأجنحة
وبأصابع خفيفة مثلما في حلم
لمس قرة عينيّ
فانفرجتْ مقلتايَ النبويتان
ثم لمس أذنيّ
وملأهما شجناً ورنينا
فأصغيتُ إلى رعدة السماء
وتحليق الملائكة في الأعالي
وسريان حركة أغوار البحار
انحنى الملاك على فمي
ووضع في فمي المشدوه
لسان الشرع الحكيم
وشقَّ صدري بسيفه
واقتلع قلبي المرتجف
وأقحم في صدري المشقوق
جذوة متأججة الإيمان
وناداني صوتُ الله:
«انهض، يا نبيّ الله، وأبصر،
لبِّ إرادتي،
وجب البحار والقفار
وألهِب بدعوتك قلوب الناس».

هذا؛ وقد أثارت قصيدة (النبيّ) اهتماماً شديداً لدى معاصري «بوشكين»، كما استمر تأثيرها لأجيالٍ بعده، فقد رويَ عن حفل افتتاح النصب التذكاري لبوشكين عام ١٨٨٠م؛ أنَّ الكاتب الشهير/ ف. دستوفيسكي اختار من بين مؤلفات بوشكين؛ قصيدة (النبيّ) وقرأها على الحاضرين بشوقٍ وانفعالٍ شديد، حتى صعب سماعه!

كما أكَّد النقَّاد تميز هذه القصيدة بين أعمال بوشكين بالجمال والعمق، واعترفوا بها مؤلفاً نابغاً يميزه جمال لا يوصف، وأحد أروع مؤلفات عبقرية بوشكين القادرة على تمثُّل الشخصيات.

قبسات من القرآن

من روائع «بوشكين» مجموعته الشِّعرية، المعروفة بـ(قبسات من القرآن) وهي تسع قصائد غاية في الروعة والجمال؛ تتجلَّى فيها عبقرية الشَّاعر، وعمق ثقافته الروحية، وولعه بأعلام المشرق العربي، وتاريخه، وآثاره، وتراثه الفكري والأدبي الصوفي على وجه الخصوص.

وهذه المجموعة الشعرية –كما تقول مكارم الغمري– أكبر شاهد على تأثر بوشكين بالتراث الروحي للشرق العربي والإسلامي، وكبرهان دامغ على قدرة المعاني القرآنية على عبور آفاق الزمان والمكان. بلْ إنَّ «قبسات من القرآن» من أهم أعمال بوشكين من وجهة النظر الفكرية والجمالية، فهي بشهادة شيخ النقَّاد الروس «بيلينسكي»: (ألماس يتألَّق في إكليل أشعار بوشكين)!

انظر؛ كيف استلهم خطابَ القرآن لزوجات الرسول؛ إذْ يقول في قصيدة (يا نساء النبيّ):[٤]

يا نساء النبيّ الطاهرات،
يا مَن تتميَّزنَ عن كل النساء:
بالنسبة لكنَّ مرعب شبح الخطيئة.
في ظلِّ الطمأنينة الرغيدة
عِشْن بتواضع: وجب عليكنَّ الحجاب
ولتحفظنَ قلوبكن وفيةً
لأجل التنعّم شرعاً وحشمة،
ولكيْ لا ترى عيون الكفار
الماكرة وجوهكن!

جذور «بوشكين» الشرقية الأفريقية

في كتابها (مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي) تقول د.مكارم الغمري[٥]: «يعد ألكسندر بوشكين؛ أكثر أدباء روسيا حباً للشرق العربي، وتأثراً

ألكسندر بوشكين

به حضارياً وتراثياً وروحياً.. وقد لعبتْ الجذور الشرقية الأفريقية دوراً في تأثر بوشكين بالشرق، بلْ إنَّ «السماء الأفريقية» تتراءى في مؤلفات بوشكين، وتصبح مرادفاً لسكينة النفس، وملاذاً لروح الشاعر الهائمة... وبوحي من شعور القرابة مع الشرق توطدت أواصر الصداقة بين بوشكين و«بحَّار مصري» كان يُدعى «علي»؛ فقد كان هذا البحَّار يتردد على ميناء أوديسا وقت إقامة الشاعر هناك (١٨٢٣م)، وقد عبَّر بوشكين عن هذه الصداقة التي كانت بالنسبة له في تلك الفترة، وعلى حد تعبيره «المتعة الوحيدة»، وكان بوشكين يعلِّل ارتباطه الروحي بالبحار المصري «علي» بأنه «مَن يعرف فربما جَدِّي وجَدُّه مِن أقرب الأقارب».

اختلف الباحثون في تحديد الأسباب التي أثارت اهتمام بوشكين بالقرآن؛ فقد ربط البعض بين هذا الاهتمام وبين شخصية الشاعر وسيرته الذاتية؛ فقد أشارت الباحثة كاشتاليفا إلى أنَّ اهتمام بوشكين بالقرآن كان مردُّه لأسباب شخصية؛ فجدُّه «إبراهيم

هانيبال» كان من المسلمين، ولهذا السبب كان من الضروري أن يستشعر بوشكين تجاه القرآن اهتماماً شخصياً خاصاً».

كذلك؛ شاهد الناقد (جوكوفسكي Gukovsky) في توجه بوشكين إلى القرآن «تجسيداً وتعبيراً عن المعاناة الذاتية للشاعر».

أمَّا البعض الآخر؛ فقد أكدَّ وجود أسباب موضوعية في القرآن، وفي الظروف الواقعية المحيطة بالشاعر، فقد أشار الناقد (سلومينسكي Slominsky) إلى وجود توازٍ «بين (الموتيفات) المستلهمة عن القرآن وملامح الظروف التاريخية الروسية».

وفي ذات الاتجاه ذهب الناقد ستراخوف، وأكدَّ أنَّ أسباب توجه بوشكين إلى القرآن تكمن في جوهره؛ فالقرآن قادر على التأثير بقوة في الناس، وفي الوقت الحاضر تصنع روح هذا الكتاب –القرآن– غزوات كبيرة في الهند والصين، وهو ينتصر هناك على الأديان القديمة للإنسانية».

كذلك؛ أشار الناقد براجينسكي إلى أنَّ تأمل بوشكين في القرآن كان فلسفياً، فقد لجأ إليه «مِن أجل الوعي بدروس التاريخ ولخدمة الواقع».

وقد حاول الناقد (سولوفي Solovei) التوفيق بين وجهتي النظر السابقتين، فأشار إلى وجود أسباب «ذاتية»، وأخرى «موضوعية» دفعت بوشكين إلى استلهام القرآن؛ فمن جهة كان بوشكين يسعى إلى إعطاء تصور موضوعي عن بعض خصائص القرآن مع واقع معالجته للواقع المعاش، ومِن جهة أخرى؛ فـ«قبسات من القرآن» ترتبط بالجانب العاطفي للشاعر وبالسيرة الذاتية له». وفي نفس الاتجاه؛ ذهبت الباحثة (لوبيكوفا Lobikova) التي أكدت أنَّ «قبسات من القرآن» ترتبط بتأملات بوشكين في حياته الشخصية، وفي أحداث عصره التاريخي»[٦].

زيت الحضارة الإسلامية

مِن هنا نعلم؛ كيف تركت الحضارة الإسلامية بصماتها على الآداب العالمية، وكيف انتشلتْ كثيراً من الأدباء والشعراء من المحلية إلى العالمية، وكيف سطعتْ شمسها في المشارق والمغارب، ودان لها الشعراء والفلاسفة، وشهد لها الكُتَّاب والمفكرون، ولا زالت قادرة على العطاء إذا وجدتْ أبناءً مخلِصين؛ يقومون بدورهم نحوها... فـ«الحضارة الإسلامية» حضارة ذات مسؤولية تاريخية باقية، وإنَّ بناءها القائم على أسس التصور الإسلامي؛ سيجعل الإنسان قادراً دائماً على أن يجدِّد خلاياه، وأن ينبعث من جديد بروح جديدة، وكأنه وِلد من جديد.

ومن خلال الرماد المتناثر؛ تشتعل الفكرة الإسلامية التي هي «زيت» هذه الحضارة، وتتمكَّن من إشعال «فتيل» الحضارة الإسلامية المنطفئة الآن!.

فـ«القرآن الكريم، والسيرة النبوية» قادران دوماً على أن يمكِّنا الإنسان في أيّ مرحلةٍ من المراحل التاريخية، من العودة إلى داخل الحضارة؛ لأنهما يقدِّمان له باستمرار غذاءً متجدداً ومتجاوباً مع فطرته الثابتة من جانب، ومع أيّ مرحلةٍ من مراحل الرقيّ العقلي التي يستطيع الوصول إليها من جانب آخر■

الهوامش:

(١) حِكَم النبيّ محمد، توليستوي، مكتبة النافذة، القاهرة ٢٠١٠م.

(٢) مُحمَّد مشتهى الأمم، محمد عبد الشافي القُوصِي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١١م.

(٣) روائع الأدب العالمي، مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٩٧م

(٤) المرجع السابق.

(٥) مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، د. مكارم الغمري، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩١م.

(٦) بوشكين أمير الشعراء الروس، سلسلة الأدب العالمي، المصرية للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.

قدموا لأنفسكم

شعر بديع الزمان الهمذاني(*)

يا مَنْ يعللُ نفسَه بالباطلَ
نزلَ المشيبُ فمرحباً بالنازلِ
إن كانَ ساءكَ طالعاتُ بياضِه
فلقَدْ كساكَ بذاكَ ثوبَ الفاضلِ
لا تبكينَّ على الشبابِ وفَقْدِه
لكِنْ على الفعلِ القبيحِ الحاصلِ
يا غافلاً عَنْ ساعةٍ مقرونةٍ
بنوادبٍ وصوارخٍ وثواكلِ
قدِّمْ لنفسِكَ قبلَ موتِكَ صالحاً
فالموتُ أسرعُ من نزولِ الهاطلِ
حتّامَ سَمْعُكَ لا يعي لمذكِّرٍ
وصحيحُ قلبِكَ لا يلينُ لعاذلِ
تبغي منَ الدنيا الكثيرَ وإنما
يكفيكَ مِنْ دنياكَ زادُ الراحلِ
آيُ الكتابِ تهزُّ سمعَك دائماً
وتَصُمُّ عنها مُعْرِضاً كالغافلِ
كَمْ للإلهِ عليكَ مِنْ نِعَمٍ تُرى
ومواهبٍ وفوائدٍ وفواضلِ
كَمْ قد أنالكَ مِنْ موانحِ طَوْلِه
فَاسْأَلْه عفواً فَهْوَ غوثُ السائلِ(١)

الهوامش:

(*) بديع الزمان الهمذاني: أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد، المعروف ببديع الزمان الهمذاني، (٣٥٨ هـ/٩٦٩ م - ٣٩٥ هـ/١٠٠٧ م)، كاتب وأديب من أسرة عربية ذات مكانة علمية مرموقة، استوطنت همدان، وبها ولد بديع الزمان فنسب إليها، اشتهر بمقاماته في الأدب العربي.

(١) شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثالث، جمع د.محمد بن علي الصامل، ود.عبد الله بن صالح العريني، ص ١١٥. وكتاب: اللطائف والظرائف، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار المناهل، بيروت، عدد الأجزاء: ١، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع. ص٢٥٨- ٢٥٩.

هازم الشرك (*)

أبو الطيب المتنبي

عَلى قَدْرِ أهْلِ العَزْم تأتي العَزائِمُ ... وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المَكارِمُ

وَتَعْظُمُ في عَينِ الصّغيرِ صغارُها ... وَتَصْغُرُ في عَين العَظيمِ العَظائِمُ

يُكَلّفُ سيفُ الدّوْلَةِ الجيشَ هَمّهُ ... وَقد عَجِزَتْ عنهُ الجيوشُ الخضارِمُ

هَلِ الحَدَثُ الحَمراءُ تَعرِفُ لوْنَها ... وَتَعْلَمُ أيُّ السّاقِيَيْنِ الغَمَائِمُ

سَقَتْها الغَمَامُ الغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ ... فَلَمّا دَنَا مِنها سَقَتها الجَماجِمُ

بَنَاهَا فأعْلى وَالقَنَا يَقْرَعُ القَنَا ... وَمَوْجُ المَنَايَا حَوْلَها مُتَلاطِمُ

وكيفَ تُرَجّي الرّومُ والرّوسُ هدمَها ... وَذا الطّعْنُ آسَاسٌ لهَا وَدَعائِمُ

وَقَفْتَ وَما في المَوْتِ شكٌّ لوَاقِفٍ ... كأنّكَ في جَفنِ الرّدَى وهْوَ نائِمُ

تَمُرّ بكَ الأبطالُ كَلْمَى هَزيمَةً ... وَوَجْهُكَ وَضّاحٌ وَثَغْرُكَ باسِمُ

وَمَنْ طَلَبَ الفَتْحَ الجَليلَ فإنمَّا ... مَفاتِيحُهُ البِيضُ الخِفافُ الصّوَارِمُ

نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الأُحَيْدِبِ نثرة ... كمَا نُثِرَتْ فَوْقَ العَرُوسِ الدّراهِمُ

تدوسُ بكَ الخيلُ الوكورَ على الذُّرَى ... وَقد كثرَتْ حَوْلَ الوُكورِ المَطاعِمُ

تَظُنّ فِراخُ الفُتْخِ أنّكَ زُرْتَهَا ... بأُمّاتِها وَهْيَ العِتاقُ الصّلادِمُ

إذا زَلِقَتْ مَشْيَتَها ببُطونِهَا ... كمَا تَتَمَشّى في الصّعيدِ الأراقِمُ

وَلَسْتَ مَليكاً هازِماً لِنَظِيرِهِ ... وَلَكِنّكَ التّوْحيدُ للشّرْكِ هَازِمُ

ألا أيّها السّيفُ الذي لَيسَ مُغمَداً ... وَلا فيهِ مُرْتابٌ وَلا منْهُ عَاصِمُ

هَنيئاً لضَرْبِ الهَامِ وَالمَجْدِ وَالعُلَى ... وَرَاجِيكَ وَالإسْلامِ أنّكَ سالِمُ

وَلِمْ لا يَقي الرّحمنُ حدّيك ما وَقى ... وَتَفْليقُهُ هَامَ العِدَا بكَ دائِمُ

الهوامش:

(*) ديوان ابي الطيب المتنبي بتحقيق عزام، ص ٣٧٣- ٣٧٩، والقصيدة من روائع المتنبي، وتقع في ٤٦ بيتا، قالها المتنبي عند فراغ سيف الدولة من بناء قلعة الحدث، بتاريخ ١٢ رجب ٣٤٣هـ.

وشعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثالث، جمع وتحقيق محمد بن علي الصامل، وعبدالله بن صالح العريني، بإشراف الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ص٧٢.

الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين
شيخ الأزهر .. شاعراً محافظاً مصلحاً

يحار المرء عندما يرغب في الحديث عن هذا الإمام الجليل من أين يبدأ؟ زكاة نفس في سنا خلق في متانة دين في رصانة أسلوب. وإذا رأيت النفس زكية والخلق سنيا، والدين متينا، والأسلوب رصينا؛ فهناك عظيم جدير بقول المتنبي:

كالبدر من حيث التفت رأيته
يُهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا
كالبحر يقذف للقريب جواهراً
جوداً ويبعث للبعيد سحائبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها
يغشي البلاد مشارقا ومغاربا

وقد توافقني إذا علمت أن الرجل جلس أمام اللجنة التي شكلتها إدارة الأزهر من كبار علمائه (أو قل: من قساة الممتحنين) برئاسة العلامة الكبير الشيخ عبد المجيد اللبان لمنحه درجة العالمية، وهو التونسي الذي لم يتعلم في الأزهر يوماً واحداً!! وقد أشرف على الخمسين من عمره.

ولكنه أبدى من رسوخ القدم في العلم ما أدهش الممتحنين، وكلما تعمقت اللجنة في الأسئلة وجدت منه عمقاً في الإجابة، وقوة في الحجة، وغزارة في العلم، فما كان من رئيس اللجنة إلا أن صاح بأعلى صوته، إعجاباً به: هذا بحر لا ساحل له، فكيف نقف معه في حجاج؟!

ومنحته اللجنة درجة العالمية بامتياز وتم تعيينه من فوره أستاذاً بالأزهر.

د.غريب جمعة- الكويت

حقاً.. إنه بحر لا ساحل له، فهو العالم النحرير، والمفكر الإسلامي الكبير، والمفسر الفاقه لكتاب الله، والمحدث الثبت الثقة، والخطيب المفوه، واللغوي الضليع، والقاضي النزيه، والمصلح الاجتماعي الخبير بأدواء المجتمعات، والشاعر المجيد، والأديب الذي ملك ناصية البيان، والصحفي الشجاع صاحب القلم المؤمن الحر، والمجاهد الصادق في وطنه وخارج وطنه، والرحالة المتأمل، ثم يتوج ذلك

كله أنه شيخ الأزهر. صفات ونعم وهبه الله إياها، فأخلص لها، وأحسن فيها، ورعاها حق رعايتها.

فقد جعل الآخرة أكبر همه فلم يتشوف لزهرة العيش، ولم يستشرف لعزة المنصب، فبوأه الله أعلى المناصب.

إذا جلست معه وقعت هيبته على باطنك، وغمرتك جلالة حباه الله بها تشعرك بَرْد الرضا، وسكينة النفس، وطمأنينة اليقين، فإذا خرجت من عنده بقي في بصرك نوره، وظل في بصيرتك هداه!!

بل إن الحادثة التي تأخذ برأس القلم تجره إليها ليتحدث عنها إعجابا بها أنه لما ولي مشيخة الأزهر (وما أدراك ما مشيخة الأزهر!؟) لما ولي هذا المنصب الجليل على مستوى العالم الإسلامي كله، كتب استقالته من منصبه بخط يده في أول يوم لمباشرة مهام وظيفته، ووقع عليها، وترك تاريخها فارغاً، وسلمها لمدير مكتبه، وهو يقول في حزم عجيب: «هذه أمانة بين يديك، أكمل تاريخها يوم أن تراني قد تركت الحق، وسرت في طريق الباطل ولاتراجعني»!.

أي رب.. ما أحلمك! وما أعظمك! كم لك من جنود لا يعلمها إلا أنت!

صاحب أكبر منصب في العالم الإسلامي يطلب من مدير مكتبه أن يقدم استقالته التي وقعها، ولا يراجعه إن رآه قد ترك الحق، وسار في طريق الباطل.

لذلك لم يكن شوقي مبالغاً حين قال في حق ذلك الطراز الفريد من العلماء:

واخشع ملياً واقض حق أئمة
طلعوا به زهراً وماجوا أبحرا
كانوا أجل من الملوك جلالة
وأعز سلطاناً وأعظم مفخرا
زمن المخاوف كان فيه جنابهم
حرم الأمان وكان ظلهم الذرى

ألا تعساً لعبيد الدرهم والدينار الذين إذا رأوا لعاعة من الدنيا خروا لها جثياً! قد اندلعت ألسنتهم على صدورهم، فإن ذكرتهم بشيء مما يأمرون الناس به.. مجرد ذكرى.. كانوا كجلامد صخر، هدهدهم الوعر، وداؤهم الصعر، ولفظهم الحجر!.

ومادمنا في سرب الأدب الإسلامي فسوف نتحدث عن شاعرية هذا الإمام، أو الجانب الشعري عنده الذي لا يعرفه الكثير.. حتى لا نكون كمن يغرد خارج السرب إن تحدثنا عن جانب من جوانب شخصيته، وما أكثرها! لا يتصل بنسب إلى الأدب، ولعل الله يعين على إتمام ما بتوفيقه أردناه، وبفضله بدأناه من إعداد دراسة كاملة عن ذلك الإمام، تتناول المراحل الثلاث من حياته المباركة وهي: المرحلة التونسية، والمرحلة السورية، والمرحلة المصرية، والله وحده المستعان.

◁◁ من هو محمد الخضر الحسين ذلك العلم الذي نتحدث عنه؟

هو محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر، ينحدر من أسرة جزائرية الأصل، من مدينة «طولقة» بولاية بِسكْرَة بالجزائر، وقد عرفت تلك الأسرة بالتقوى والزهد والصلاح والعلم، حيث تتصل بالشجرة النبوية الطاهرة المباركة، ولكن الشيخ تونسي المولد، فقد ولد بمدينة «نفطة» التونسية عام ١٨٧٣م، وحصل على شهادة التطويع من جامع الزيتونة عام ١٨٩٨م، (سميت كذلك لأنها تتيح لصاحبها آن يتطوع بإلقاء دروس بالجامع الأكبر في تونس جامع الزيتونة)، وأنشأ مجلة «السعادة العظمى»، وكانت أول مجلة بتونس ناطقة بالفصحى، وفي عام ١٩٠٥م؛ تولى منصب القضاء في «بنزرت»، ولكنه استقال منه بعد شهور قليلة.

وشارك في تأسيس جمعية «تلامذة الزيتونة» قبل هجرته إلى المشرق العربي عام ١٩١٢م، وفي دمشق تم

اختياره عضواً في المجمع العلمي العربي عام ١٩١٩م، ثم انتقل إلى مصر سنة ١٩٢٠م، وحصل على العالمية الأزهرية، وتألق نجمه بعد رده على الكتاب المنسوب لعلي عبدالرازق (الإسلام وأصول الحكم)، ورده على كتاب طه حسين (في الشعر الجاهلي) بكتاب جعل عنوانه: (نقض كتاب الشعر الجاهلي) عام ١٩٢٧م.

ثم أسس الرجل في مصر جمعية الهداية الإسلامية، وأصدر مجلة باسمها كانت من أعظم المجلات في عصرها عام ١٩٢٨م، وكان أول رئيس للجمعية، وأول رئيس لتحرير مجلتها؛ كل ذلك بالتعاون مع مجموعة من علماء الأزهر والمفكرين وسراة القوم الذين يسارعون في الخيرات.

وقد شارك أيضاً في تأسيس «جمعية الشبان المسلمين» بمصر أيضاً، ثم تولى مشيخة الأزهر عام ١٩٥٢م، ثم طلب إعفاءه بتقديم استقالته بعد عامين، واستمر يمارس نشاطه العلمي حتى لقي ربه عام ١٩٥٨م، ودفن في التربة التيمورية مع صديقه أحمد باشا تيمور حسب وصيته - رحم الله الجميع.

حقيقة الشعر عند الإمام:

نشرت «مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة» بالجزء الحادي عشر عام ١٩٥٩م؛ بحثاً له بعنوان: الشعر البديع في نظر الأدباء جاء فيه:

حقيقة الشعر ما يلي: «كلام العرب إما نثر: مرسل أو سجع، وإما شعر: وهو كلام موزون مقفى. وقال بعض الباحثين في حقيقة الشعر: إن الشعر كلام موزون لا يتوقف معناه على نثر يتصل به، فإن كان لا يظهر معنى موزون إلا أن ينضم إليه ما يتصل به من النثر، فليس الموزون بشعر. فما كتبه الكاتب الذي أمره بعض الأمراء أن يكتب إلى عامله بإنذار ووعيد موجز فكتب إليه:

«أما بعد: فإن لأمير المؤمنين أناة، فإن لم تغن عقب بعدها وعيداً، فإن لم يغن أغنت عزائمه، والسلام.»

فمن هذا الخطاب يتكون بيت وهو:

أنـاة فـإن لم تغن عقب بعدها
وعيداً فإن لم يغن أغنت عزائمهْ

فلا يسمى هذا البيت شعراً، لأن معناه يتوقف على ما قبله من النثر، وهو قوله:

« فإن لأمير المؤمنين أناة»، فالألفاظ الموزونة في القرآن لا تسمى شعراً، حيث إن معناها يتوقف على ما يتصل بها من التنزيل. ثم يضيف تحت عنوان:

«الشعر عند البلغاء»: وإنما يعتد البلغاء بالموزون إذا كان حسن التأليف، بارع التخيل، غريب المعاني، بحيث لا تحضر في ذهن كل ناظم، وتكون واردة في الغرض الذي سيقت إليه مورداً مقبولاً. وعلى قدر حسن السبك، وبراعة التخيل، وغرابة المعاني، وورودها في الغرض الذي سيقت إليه مورداً سائغاً يرتفع الشعر في مرتبة البلاغة. والذي يكون مجرداً من هذه الغايات لا يسمى شعراً عند الأدباء، كما قال بعضهم.

إذا كنت لا تدري سوى الوزن وحده
فقل: أنا وزان ولست بشاعر

ويشترط بعض البلغاء في الموزون: أن يكون مطابقاً للواقع: قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وإنما الشعر عقل المرء يعرضه
على البرية إن كيساً وإن حمقا
وإن أشعر بيت أنت قائله
بيت يقال إذا أنشدته: صدقا

وإذا كنا قد صدرنا هذا المقال بأبيات للمتنبي فإنه لن يغضب منا إذا قلنا: إن النقاد عابوا عليه قوله في رثاء أم سيف الدولة:

صلاة الله خالقنا حنوط
على الوجه المكفن بالجمال

قال الشاعر المصري المجيد ابن وكيع (ت: ٣٩٣هـ): «إن وصفه أم الملك بجمال الوجه غير مختار». بينما قال الأصمعي عن بيت أبي ذؤيب الهذلي الذي يعطي الحكمة فيه بصراحة: إنه أبرع بيت قالته العرب وهو:

والنفس راغبة إذا رغبتها
وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقال النقاد أيضاً: إن العرب لم تقل بيتا أصدق من بيت الحُطيئة وهو:

من يفعل الخير لا يعدمْ جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

وقالوا: إن أحكم بيت قالته العرب:

ولربما ابتسم الكريم من الأذى
وفؤاده من حره يتأوه

العلماء والشعر:

لعل الإمام الخضر استشعر شيئاً حاك في صدور أحبابه لنظمه الشعر، وهو من هو علماً وفقهاً، فقال في ذلك: تبرأ بعض العلماء من الشعر، ورأى أنه يزري بالعلماء، فقال:

ولولا الشعر بالعلماء يزري
لكنت اليوم أشعر من لبيد

ولكن الشعر في ذاته لا يزري بالعلماء، بل هو فن من فنون أدب اللغة، فمن تعلق به فقد ضم إلى أدبه أدباً. والشعر الذي يزري بالعلماء هو الشعر الذي يقبل عليه الجاهلون، ويدعوهم إلى ما فيه من خيبة وخسر، والذي يتيه بصاحبه في كل ناحية من الباطل، ومن يقول صاحبه ما لا يصدر منه، وهو المشار إليه بقوله تعالى:

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧)﴾ (الشعراء).

ثم قال: وفي الشعر خصلة أخرى تزري بالعلماء، أعني: اكتساب الرزق به، وهو قادر على الاكتساب بغيره من الحرف اللائقة، وهجاء من لا يجازونه على مدحهم، ثم ضرب مثلاً للفقهاء الأدباء بالقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني الذي يقول:

يقولون لي: فيك انقباض، وإنما
رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
يقولون: هذا مورد. قلت: قد أرى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما

أثر الشعر على النفس وأغراضه عند الإمام:

يقول الإمام الخضر، رحمه الله:

ثم إن الشاعر يطلق لخياله العنان، فيؤلف من المعاني التي يقع عليها الخيال صوراً شائعة ليست من عادة البلغاء إيراد أمثالها في منثور الكلام.

وهذا الذي امتاز به الشعر من الوزن والقافية، والأساليب الغريبة، وصور المعاني الطريفة. جعله يفعل في النفوس ما لا يفعله المنثور من القول، وجعله يخرج النفوس من الهمود إلى انتباه، ومن الانقباض إلى ارتياح، ومن النفور إلى إقبال. ويضرب لذلك أمثلة عديدة نختار منها قول أبي العتاهية:

ما ضر من جعل التراب مهاده
أن لا ينام على الحرير إذا قنعْ

ذلك القول الذي جعل بعض المترفين يمجد القناعة، ولا يأسى على فقده الرفاهية التي يكاد يتقطع قلبه من فواتها.

يقول كاتب هذه السطور:

بل قد يصل تأثير الشعر إلى أن يتمنى القاتل لو كان هو مكان الذي قتله، فقد جاء في كتاب «أسرار البلاغة» للجرجاني؛ أن عضد الدولة لما ظفر بالوزير ابن بقية قتله أفظع قِتلة، ونكل به أبشع مثلة، حيث رماه تحت أقدام الفيلة، ولم يكتف بذلك بل صلبه وشبحه في الجذع، ثم جاءت مرثية أبي الحسن الأنباري لابن بقية، وما صنع فيها من السحر حتى قلب جملة ما يستنكر من أحوال المصلوب إلى خلافها، وتأول فيها تأويلات أراك فيها وبها ما لا تقضي منه العجب، حتى إن عضد الدولة حين بلغته تلك المرثية تمنى أنه لو كان هو المصلوب المشبح على الجذع. يقول أبو الحسن الأنباري في أول مرثيته:

علو في الحياة وفي الممات
بحق أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا
وفود نداك أيام الصلات
كأنك قائم فيهم خطيباً
وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفاء
كمدهما إليهم بالهبات

إلى آخر ما جاء في هذه المرثية التي خلدت الوزير ابن بقية على مدار التاريخ.

وقد بلغ من تأثر الناس وإعجابهم بها أن الصاحب بن عباد طلب من أبي الحسن أن ينشدها بين يديه في مجلسه، فلما وصل إلى البيت الذي يقول فيه:

فلم أر قبل جذعك قط جذعاً
تمكن من عناق المكرمات

نهض الصاحب بن عباد من مجلسه وقبله لشدة إعجابه بالبيت.

أغراض الشعر عند الإمام:

عرفنا أن الإمام الخضر كان طاهر السريرة، مستقيم السيرة، سني الخلق، قوي الإيمان، عالي الهمة، رفيع القدر، يجاهد في سبيل الله، ولا يخاف لومة لائم؛ لذلك أعرض عن بعض أغراض الشعر فلم ينظم إلا ما ترتاح إليه نفسه، ويمليه عليه ضميره، ويبتغي به وجه الله من نصرة شريعته، والذود عن دينه، ومشاركة إخوته المسلمين همومهم، والوقوف إلى جوارهم، لذلك يقول:

وفي الشعراء من ضاقت خطاه
وفاتته الحقائق وهي شتى
فراح يخال لهو القول جداً
وينفث في مكان الرشد بُهتا

ويقول أيضاً:

وأنفع الشعر ما هاج الحماسة في
شعب يقاسي اضطهاد الجائر الأشر
ولو لم أخف وخز تثريب يصول به
عليَّ ناقد شعري من بني مُضر
لقلت: لا شعر إلا في قريحة من
يبيت من شقوة الأوطان في سهر
من ذا يقيم على أرض يظللها
ضيم ويحسن وصف الدل والحور

لذلك نظم شعره في أغراض أهمها:

الإخوانيات: وهي نوع من الشعر الاجتماعي الذي يصور الروابط والصلات بين الأصدقاء والشعراء، ويدور حول الصداقة والتهنئة والاعتذار والشكوى والعتاب والتعزية والاستعطاف.

وكذلك أيضاً كان من أغراضه القضايا الوطنية والسياسية، والرثاء، والوصف، والوجدانيات، والاجتماعيات، والإسلاميات، والتأمل في تجارب الحياة وصروف الأيام، وأخلاق الناس وطبائعهم وميولهم.

وهكذا جاء شعر الشيخ الخضر خالياً من المدح الذي يراد به التملق والارتزاق، وكذلك من الهجاء الذي يزرع الضغائن والأحقاد في أغلب الأحيان، وكذلك من الغزل المسف الرخيص الذي يجعل الشاعر يهيم في وادي الزور والبهتان، أو يقع في حفرة الزيغ والمجون. كما خلا من جميع الأغراض التافهة، وكل هذا ليس بدعاً في أخلاق الرجل، ولكنه الصدق مع الله، والوفاء بعهده تبارك وتعالى.

مع الإمام الخضر في ديوانه: خواطر الحياة

عرفنا أن الشيخ الخضر قد تجمعت فيه مقومات الشاعر الفذ العبقري؛ من فحولة النظم، وجزالة اللفظ مع الجرس والجلبة، وفخامة البيان، ومتانة الديباجة وإشراقها، ورصانة القافية، ومعرفته بمداخل الشعر ومخارجه.

وقد جرى في شعره على النمط العربي الصميم، ولكنه كان أبعد الناس عن البداوة، وأقربهم شبهاً بأهل الحضر، رقة طبع، ووضوح معنى وسلاسة أسلوب.

ولما كان الشيخ الخضر لا ينظم إلا ما ترتاح إليه نفسه، ويمليه عليه ضميره، فقد كان مقلاً في شعره حتى جاء أغلبه على هيئة مقطوعات شعرية؛ اللهم إلا أنه تبعثه بعض الأحداث إلى القصيد فيطيل ما شاء الله أن يطيل، فكأن شأنه في هذا شأن الكروان يغرد إذا تألق القمر، والهزار (طائر حسن الصوت) يشدو إذا تفتح الزهر. وهو حينما يطيل لا يضعف، ولا يسف في الإطالة، وكأنه يتمثل قول أبي إسحاق الصابي:

رب شعر أطاله طول معناه
وإن قل لفظه حين يروى
وطويل فيه الكلام كثير
فإذا ما استعدته كان لغوا

وقد جمع ما نظمه بناء على طلب محبيه، واستمع إليه يقول في ذلك:

ولم يلم بخاطري في يوم أن أجمع ما نظمته، وأخرجه للناس حتى اقترح علي طائفة من إخواني الفضلاء أن أجمعه من أوراقه المتفرقة، وأصدره إلى عالم الأدب في صفحات متتالية، فما وسعني إلا أن تقبلت اقتراحهم، وقلت: هذا كلام موزون، إن لم يجد فيه الأديب ما يروقه من لفظ أنيق، ومعنى رشيق؛ فقد يرى فيه المؤرخ أشياء تهمه أن يتعرف عليها من مصادر متعددة، وعمدت إلى ما نشر في الصحف، أو احتوته بعض المذكرات، وضممت بعضه إلى بعض مرتباً على حروف المعجم، ومنبهاً إلى المناسبة التي دعت إلى نظم القصيدة أو المقطعة، ثم عرضته على من اقترحوا علي جمعه، فأطلقوا عليه اسم ديوان ولقبوه بـ «خواطر الحياة.» اهـ.

وقد صدرت الطبعة الأولى منه بالقاهرة عام (١٣٩٩هـ- ١٩٤٦م)، وأعيد طبعه للمرة الثانية بالقاهرة أيضاً عام (١٣٧٣هـ- ١٩٥٣م)، وعلق عليه فضيلة الشيخ محمد علي النجار الأستاذ بكلية

اللغة العربية، وطبع للمرة الثالثة عام (١٩٧٨م) مع تعلقيات الأستاذ الكبير المحامي علي الرضا الحسيني ابن أخي الشيخ الخضر، وطبع للمرة الرابعة عام (١٩٩٠م). وقد ذكر الأستاذ محب الدين الخطيب في مجلة الأزهر (م٢٩، ص٧٤٤)؛ أن للشيخ ديواناً آخر بعنوان (في الحكمة والخواطر التي تحوم حول الحق والخير) وضعه بعد استقالته من مشيخة الأزهر.

ويقع ديوان خواطر الحياة في مئتين وتسع وخمسين صفحة من القطع المتوسط، ويضم مئتين وواحداً من العناوين لقصيدة ومقطوعة[١]. وقد تصل بعض القصائد إلى أربعين بيتاً، ونادراً ما تصل إلى ثمانين أو مئة بيت كما في قصيدة صقر قريش. أما المقطوعة فهي لا تتجاوز خمسة أو ستة أبيات إلا نادراً، وقد تقدم بيان أغراض الشعر عند الإمام، وبقي أن نقدم لك قطوفاً من ديوانه:

في كل شيء له آية:

هذه مقطوعة نشرها رداً على الذين يشككون في خالق الكون ومالكه جل جلاله:

يعجب الناسُ في الحياة وأقضي
عجبي منك أن ضللت السبيلا
أنت ترتاب أن يدبر أمر الـ
ـكون من جل ملكه أن يزولا
وتخال الوجود وقفاً على ما
تبصر العين بكرة وأصيلا
وكأين في الكون من آية إن
كنت تبغي إلى اليقين وصولا
كل ما أبصرته عيناك ليلاً
أو نهاراً يملي عليك دليلا

في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

وهي قصيدة رائعة ألقيت في احتفال جمعية الهداية الإسلامية بالقاهرة بذكرى المولد النبوي الشريف عام ١٣٥٩هـ، وقد استهلها بقوله:

أمن خفقان أفئدة رقاقِ
تألقت المدامع في المآقي

إلى أن يقول:

ذكرنا كيف لاح جبين طه
وهب الفجر يؤذن بانبثاق
كأن الفجر والميلاد جاءا
لإجلاء الظلام على اتفاق
ألا من مبلغ قمراً توارى
وساطع نوره في الناس باق
سلاماً كالصبا مرت بروض
ولاقتها الكمائم بانفتاق
أروم مديحه وإخال أني
سأحظى منه بالسيل الدفاق[٢]
فيبهرني علاه كأن فكري
توثب وهو مشدود الوثاق

ثم يسلط الضوء على بعض الأمراض الاجتماعية في جرأة من لا يخاف في الله لومة لائم:

ولا أدري أقومي في سُبات
فأرجو صحوهمْ أم في سياق[٣]
فأشياع الضلال اليوم صالوا
بألسنة وأقلام حِماق
وهم ما بين إلحاد وقاح
وإلحاد تقنع بالنفاق[٤]
وإن شؤم النعاق فما أزاغوا
به الفتيات أشأم من نعاق[٥]
فمن قصص تعاطي قارئيها
شراباً ديف بالسم الزعاق[٦]
ومن صور تثير هوى وتحدو
نفوساً كالبدور إلى محاق
كفى ما خسرنا من شباب
رأوا سوق الخلاعة في نفاق[٧]

فغادوها وكيف ترى فراشاً
تهافت في لظى النار الحراق
وما للنفس إن ركبت هواها
وحطت في المجانة من خلاق

حب الوطن:

على الرغم من اغترابه وعيشه خارج وطنه إلا أنه محب له ودائم الحنين إليه. يقول تحت عنوان: حب الوطن:

وطني علمني الحب الذي
يدع القلب لدى البين عليلا
لا تلمني إن نأى بي قدر
وغدا الشرق من الغرب بديلا
عزمة قد أبرمتها همة
وجدت للمجد في الظعن سبيلا
أنا لا أنسى على طول النوى
وطناً طاب مبيتاً ومقيلا
في يميني قلم لا ينثني
عن كفاح يبصر الصبر جميلا
هو ذا طاعن به خصماً
قبل أن تخترط السيف الصقيلا

الخلافة والانقلاب التركي:

وهو مع حبه لوطنه تونس لا ينسى وطنه الكبير، فقد عاش في إستانبول بعض الوقت، وبلغ من المكانة ما جعل الباب العالي يكلفه مع مجموعة من العلماء بالسفر إلى ألمانيا عام (١٣٣٦هـ- ١٩١٧م) للاتصال بالجنود المغاربة في جيوش الحلفاء الذين أسرهم الألمان، ومحاولة كسبهم إلى جانب الدولة العثمانية، فكتب في الصحف، وألقى المحاضرات على هؤلاء الجنود، وبقي هناك زهاء تسعة أشهر تعلم خلالها اللغة الألمانية، وتعلم الكيمياء أيضاً.. ثم كان رزؤه كبيراً حيث رأى الخلافة تذبح أمام عينيه، حينما ألغى كمال أتاتورك

تلك الخلافة، وأعلن أن الحكومة لا دينية عام ١٩٢٢م. فنظم قصيدة كزئير الأسود، نختار منها:

ما خطبُ قوم طالما وصلوكِ
واعتز باسمك عرشهم هجروكِ
حرسوكِ أحقاباً وحلق صيتهم
في الخافقين لأنهم حرسوكِ
كنت الوقار على وجوه غزاتهم
والأمن إذ نظروا بعين ضحوكِ
مازلت سمط قلادة خرزاتها
أمم بأغلى فدية تفديكِ
حتى تحكم فيك رهط بدلوا
خبث الحديد بعسجد مسبوكِ
نكثوا بما نقضوه من لبناته
عهد الرسول وأغضبوا أهليكِ
هذا النشوز على الشريعة مؤذن
بغروب شمسكِ بعد طول سموكِ

نهض الزعيم وما رعد عهد التي
لولا اسمها ما صال صول ملوكِ
برح الخفاء وحاد وهو مظفر
نشوان عن منهاجها المسلوكِ

على قبر صلاح الدين:

واستمع إلى ما قاله على قبر صلاح الدين الأيوبي لتوازن بين الزعيمين، وذلك بمناسبة زيارته لضريح هذا المجاهد العظيم في دمشق (التي كانت فيحاء فضيقها مسيل الدماء) عام ١٣٦٣هـ.

لو لم تبلغك الحياة مناكا
لكفاك أنك قد قهرت عداكا

لك سيرة كادت تمثل للنهى
بشراً ينافس في العلا أملاكا
ومفاخر يوم استغاث الشرق من
خطر ألمَّ ولم يجره سواكا
حتى إذا أخذ الكرى بجفوننا
زحفوا وما لاقوا قناً كقناكا
أو ما سمعت رطانة الإفرنج من
حول الضريح تخوض في ذكراكا
أيُتاح للشرق المعذب ذائد
يرمي ويبلغ في النضال مداكا

فضل اللغة العربية:

تحت هذا العنوان نظم رائعته التي ألقيت في حفل افتتاح الدورة السادسة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ونشرتها مجلة الهداية الإسلامية في (ج ٧/ م١٢)، نختار منها هذه الأبيات:

ولم أنض القريحة في نسيب
ولا عذلاً شكوت ولا بعادا
فما أهوى سوى لغة سقاها
قريش من براعتهم شهادا
أداروا من سلاستها رحيقاً
وهزوا من جزالتها صعادا
وطوقها كتاب الله مجداً
وزاد سنا بلاغتها اتقادا
تصيد بسحر منطقها قلوباً
تحاذر كالجآذر أن تصادا
سرت كالمزن يحيي كل أرض
ويبهجها وهاداً أو نجادا

فلسطين:

لقد عاش الشيخ الخضر كارثة فلسطين التي زلزلت العالم العربي، فنظم قصيداً متعدداً له دويٌّ كدويِّ الرعد، نختار بعض الأبيات من قصيدة يقول فيها:

ما لليهود استوطنوك وصاعروا
بعد الهوان خدودهم خيلاء
أفما نبَتْ بهم مواطن لم تطق
مكراً حوى شقاً لها وبلاء

ثم يطالب العرب والمسلمين بالبذل والعطاء من أجل فلسطين، فيقول:

لا تنجدوهم بالتحسر وحده
إن التحسر لا يزيح عناء

لا تنهض الأوطـان من كبواتها
إلا علـى أيـد تفيـض سخـاء
ما ساد قوم أشربوا شحاً وإن
بلغوا السماء شجاعة وذكاء
أمـن المـروءة أن نـنـادى للتي
فيها النجاةُ ولا نجيب نداء
نبغي النجاة ولا جهاد كمدنف
يبغي الشفاء ولا يسيغ دواء
بسط اليهود إلى اليهود أكفهم
بالمال من بيضاء أو صفراء
ومتى أرى قومي قد استبقوا العلا
بسخاء كف يكشف اللأواء

الرتيمة:

خليل مردم

كان الإمام الخضر هو من عرفت، سنا خلق، وسمو أدب ووفاء ومحبة لأصدقائه، وإصفاء الود لهم، لذلك لما عزم على الرحيل من دمشق عام ١٣٣٨هـ؛ كتب إليه الشاعر الكبير الأستاذ خليل مردم وزير خارجية سوريا:

التي أعد لها الذابحون المدى
شُلت أيديهم ولا بلغوا المدى

ورئيس المجمع العلمي بها خطاباً رقيقاً يرجو منه أن يكون له نصيب من الذكر في قلب الإمام، وحظ من الخطور على باله، وأرفق مع هذا الخطاب قصيدة قال عنها: فأنا أتقدم بهذه القصيدة الوطنية لتكون لي رتيمة عنده، وذكرى أحد المخلصين إليه، (والرتيمة هي خيط يشد في الأصبع، أو الخاتم للعلامة والتذكر)، وكان مطلعها:

طيف للمياء ما ينفك يبعث لي
في آخر الليل إن هومت أشجانا

فرد عليه الإمام بقصيدة جعل عنوانها «الرتيمة» جاء فيها:

هي الرتيمة فيما قال مبدعها
وهل يغيب السنا عن طلعة الفلق
إني على ثقة أنَّ ذكرك لا
ينفك مرتسماً في النفس كالخلق
وكيف أنسى خليلاً قد تضوع في
حشاشتي ودُّه كالعنبر العبق

واستمع إليه وهو يتحدث عن صديقيه الأثيرين البحاثة العلامة أحمد تيمور باشا، والإمام الجليل محمد الطاهر بن عاشور، مفتي تونس، حيث يقول:

تقاسم قلبي صاحبان وددت لو
تملتهما عيناي طول حياتي
وعللت نفسي بالمنى فإذا النوى
تعل الحشا طعنا بغير قناة[٨]
فأحمد في مصر قضى ومحمد
بتونس لا تحظى به لحظاتي
أعيش وملء الصدر وحشة مترف
رمته يد الأقدار في فلوات

عَبَرَاتُ الأشجار:

تأمل عبقرية الرجل في تصوير الثلج الذي يغطي الأشجار، وإذابة الشمس له، فقال هذه الأبيات في قرية (لنداو)، والثلج على الأشجار، وقد طلعت عليه الشمس فأخذ يذوب، وقرية (لنداو) تقع على بحيرة (بودن) بألمانيا:

نسج الغمام لهذه الأشجار من
غزل الثلوج براقعاً وجلاببا

والشمس تبعث في الضحى بأشعة
تسطو على تلك الثياب نواهبا
فبكت لكشف حجابها أو ما ترى
عبراتها بين الغصون سواكبا

الرثاء:

الشيخ الخضر -كما عرفنا- دمث الخلق، رقيق الحس، جياش العاطفة، صافي الفؤاد؛ مع قوة إيمانه، ورضاه بأقدار الله، لذلك كانت مراثيه من أرق وأعظم المراثي، ومنها:

رثاء زوجته السيدة زينب، وهي من عائلة مدكور التي تنتسب إلى قبيلة كبيرة بمنطقة الأهرام بالجيزة، وكانت بارة صالحة، وقد تزوج منها في مصر عام ١٩٢٢م، وانتقلت إلى جوار ربها عام ١٩٥٢م، أي أنها عاشت معه ثلاثين عاماً، كانت فيها نعمت الزوجة لرجل، في مثل علم وخلق الإمام الخضر. لذلك رثاها بقصيدة من أحر وأصدق القصائد، وأعلاها في هذا المجال على الرغم من أنه لم ينجب منها، وقد كانت له ابنة من زوجته الأولى التونسية، ولكن أهلها رفضوا أن تهاجر معه إلى الشام، ونحن نختار منها هذه الأبيات:

ولم أدر ما طعم المنون فذقته
مساء لفظتِ الروح والعين ترعاكِ
هوى بك بَيْنٌ لست أرجو وراءه
زماناً يجود الدهر فيه بمرآكِ
فهيهات أن أنساك ما عشت والأسى
يموج بقلبي ما جرت فيه ذكراكِ

ثم تأمل براعته في هذا البيت:

ولولاك لم أقض اليراعة حقها
كأن نسيج الفكر حِيك بيمناكِ

ثم يقول:

لقد صنت في الحالين عهداً فلا أرى
لدى عسرة إلا انطلاق محيّاكِ
وأنت التي حببت إليَّ العيش بعدما
سئمت فطيب العيش إحدى مزاياكِ

رثاء والدته:

كانت والدة الشيخ الخضر سليلة بيت صالح هو بيت «عزوز»، المشهور بالعلم والصلاح والأدب ومكارم الأخلاق، ولما توفيت نظم قصيدة في رثائها سنة ١٣٣٥م، نختار منها:

بنت «عزوز» لقد لقنتنا
خشية الله وأن نرعى الذماما
ودرينا منك أن لا نشتري
بمعالينا من الدنيا حطاما
ودرينا منك أن الله لا
يخذل العبد إذا العبد استقاما
ودرينا كيف لا نعنو لمن
حارب الحق وإن سل الحساما
كنت نوراً في حمانا مثلما
نجتلي البدر إذا البدر تسامى

أما رثاؤه لصديقه الأثير أحمد باشا تيمور؛ فنختار منه هذه الأبيات:

لحى الله صوت الهاتف اليوم إنه
نعابُ غراب يقرع السمع جافيا
أصاخ لي صحبي فأنبأ بالتي
تشب الأسى بين الجوانح طاغيا
نعى عبقري الشرق تيمور فاغتدى
لمنعاه قلب الشرق كالقرح داميا
حنانيك عز العلم والمجد والهدى
فقد كان علاماً مجيداً وهاديا
ترحل بالتقوى وأبقى وراءه
ثناء كنفح المسك يسطع ذاكيا
رعى الله قبراً بل رعى الله روضة
تبوأها من كان للعهد راعيا

لم أذق طعم الذل:

كان الرجل شديد الأنفة عزيز النفس في تواضع جم. واستمع إليه يقول:

وما ذقت طعم الذل لكن أعافه
كما عفت سماً من فم الصِّلِّ ناقعا
ولا أرتدي بالكبر أسحب ذيله
ولو جاء في أسمى الأماني طائعا

حكمته النابعة من إيمانه القوي ومعرفته بالحياة والأحياء، قال عن الدَّين عام (١٣٦١هـ):

أتكسب خمساً وتنفق ستا
ضللت لعمري سبيل الأريب
هو الدَّين إن جئته فارتقب
نهار الذليل وليل الكئيب
وطعم الهوان وما ذقته
أمر من الموت قبل المشيب

وقال عنه أيضاً:

يا غامساً يده في الدَّين إنك قد
غمستها في صديد خلته عسلا
والدَّين للمال سم ناقع فإذا
ما اندس في ثروة أودى بها عجلا

ودعني أقول: لقد طال رشاء القلم، لذلك أراني مضطراً إلى الاكتفاء بهذه القطوف التي أختمها بما قاله الدكتور كمال عجالي أستاذ التعليم العالي في كلية الآداب بجامعة «باتنة» في محاضرته التي ألقاها في ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في مدينة «بِسِكْرة» بالجزائر عام ٢٠٠٧م، حيث قال:

«خلاصة القول التي يمكن أن نختم بها:

إن هذا الديوان «خواطر الحياة؛ لصاحبه محمد الخضر حسين وثيقة هامة، تفيد الباحث في التعرف على كثير من المعطيات التاريخية، والنظريات الثقافية والاجتماعية والسياسية، التي كانت تشغل بال ذلك العالم وبال غيره من المثقفين المعاصرين، والمهتمين بشؤون العالم الإسلامي وقضاياه.

أحمد باشا تيمور

كما يبين هذا الديوان قيمة صاحبه الشعرية، وهو ديوان يحتاج إلى دراسة علمية أكاديمية متأنية، وما قدمناه اليوم لا يتجاوز حد الانطباع، أو قل: هو خطرات حول ديوان «خواطر الحياة».

وبعد؛ فقد تحدثت عن شاعرية هذا الإمام الجليل محمد الخضر حسين، بما فتح الله به، وأعان عليه، وسرت فيها شوطاً أحسبه غير قصير.. فإن لم أبلغ الغاية فحسبي أني أشرت إلى شاعر محافظ مصلح لم يأخذ حقه من التكريم في عالم الأدب عامة، ولا في عالم الشعر خاصة، فمتى نكون أوفياء لهؤلاء العظماء!؟■

الهوامش:

(١) استخدمت هذه الكلمة الشائعة وإن كنت لم أجدها في المراجع التي تحت يدي وإنما وجدت كلمة «مقطعة» فمن وجدها في مرجع آخر فليرشدنا إليه مشكوراً.

(٢) السيل الدفاق: الذي يملأ جنبي الوادي.

(٣) السياق: نزع الروح.

(٤) الوقاح: ذو الوقاحة للذكر والأنثى.

(٥) النعاق: صياح الغراب.

(٦) ديف: خلط.

(٧) نفاق: يقال نفقت السلعة: أي كثير طلابها.

(٨) العل: الشرب ثانية. القناة: الرمح.

الرحيل من الأرض الخراب

الشربيني محمد شريدة- مصر

ماذا يفيدك حلَّ القوم أم رحلوا؟
والأرض بالدَّم والنِّيران تكتحل؟

ماذا يفيدك والصَّحراء تنزف والصِّـ
ـبَّار طعنات جرحٍ ليس يندمل؟

هل جئت تبحث بين الرَّمل عن دمنٍ؟
فما أجابك إلا الصمت والوهل

أم أنت ظمآنُ والكثبان تُنبت في
رماد حلقك شوكاً ليس يحتمل؟

لا ماء في البئر، ما في البئر غير دمٍ
بالسُّمِّ قد مزجاه الكِذْب والحيل

لا تلتمس في صحارى العرب بارقةً
فالتِّيه من ظمأٍ ماتت به الإبل

عاد الحداة عراةً فوق أظهرهم
نقشُ السِّياطِ وفي أحلامهم خبل

هل ترتجي في سراب البيد قافلةً
والقوم فوق أكفِّ الدَّمِّ قد حُمِلُوا؟

مصفَّدين إلى الأوجاع ملبسهم
ثوبٌ بخيط الضَّنى والذُّلِّ ينغزل

وجوه شبَّانهم في التُّرب غارقةٌ
والطِّفل في لحظة الميلاد يكتهل

أبكارهم ثيِّباتٌ والرِّجال على
صخر الفجيعة في الرَّمضاء قد سُحلوا

من خوفهم نُطَفُ الأصلاب قد وئِدت
فليس في غدهم سيفٌ ولا بطلُ

ودارهم في عيون النَّار أضرحةٌ
أسوارها برفات النَّاس تكتمل

وأرضهم شيع الفسَّاق تسكنها
وصار يحكمها الإرهاب والدَّجل

وهم على فزعٍ قد أدبروا زمراً
تدوس في دمها الأهوال والوجل

والرِّيح تروي غليل الجرح أدخنةً
رمادها الحمأ المسنون والمهل

والصَّهد في كبد الحافين قافيةٌ
خرساء من زفرات العار تُرتَجل

والخيل في رملها النَّاريِّ نائمةٌ
من بعد ما سقط الفرسان واقتتلوا

والنار في صمتها المطعون قد دخلت
كهفاً إليه كماة العار قد دخلوا

ماذا يفيدك والأصنام قد نصبت
فعاد يعبد في أوطاننا هبل؟

والقاتلون على أوثانهم عكفوا
كأنَّ.. لم ينزل القرآن والرُّسل

فوق العظام تهادى كلُّ منحرفٍ
ومجرمٍ بجلود النَّاس ينتعل

يراقص العهر والشيطان في دمنا
وفي جماجمنا بالخمر يحتفل

أراك والقدس فوق الجمر ساجدةٌ
تسبيحها بيد الرَّحمن متَّصل

وأنت تُقْبِل مطعوناً بلا كفنٍ
تحار في حملك الأجفانُ والمقل

ونبض قلبك صوت الشَّعب يضممه
وغسَّلت جرحك الأشواق والقبل

نادتك في لهفٍ والجرح بينكما
بقيَّةٌ من خيولٍ في المدى صهلوا

مـدَّت إليـك يـداً مخضـوبةً بـدمٍ ... يسيل من جرحها زهر الفدا الخضل
مـدَّ اليـدين لها والـثِـمْ جوارحها ... ولا يـردَّك عـن أحضـانـها خجل
هل يسقط الحلم من كفَّيك بعد دمٍ ... أريـق حتَّى تـوارى السَّهل والجبل
إنِّي أرى الطَّير صخرُ النار مخلبها ... وريـشـهـا بـدم الـثـوَّار منـفـتل
أعشاشها بجبين الشُّهب عالقةٌ ... ومـا لها شجرٌ في الأرض أو ظلل
منقارها الرَّعد والغيمات أجنحة ... فـليـس للـعقـل في إدراكـهـا عمل
تحـطُّ فـوق رؤوسـ الـنَّـاس آكـلـةً؟ ... أحلامهم فـكـأنَّ النَّاس مـا عقلوا
قد حلَّقت في المدى تلقي حناجرها ... صـواعـقـاً في فـم الأحـرار تشتعل
تأتي فتحرق شدو الحلم خاطفةً ... مـا كـان يشدو به في مجدنا الأُوَلُ
تساقطت صرخات الثَّأر من فمها ... والخوف يلقي به في صدر من غفلوا
من منطق النَّار قد صارت لها لغةٌ ... فيها السَّعير حروفٌ واللَّظى جُمل
حتَّى رأت وجهك القدسيَّ فاحترقت ... وصـعَّـدتـهـا يـدٌ لـلـعـرش تبتهل
تـطـوف حـول قـنـاديـل مـعـلَّـقـة ... في ساحة الخلد يتلى حولها زجل
وكُنتُ والخنجر المسموم منغرسٌ ... في مهجتي، وضلوعي كلُّها أسل
والسَّهم يعبر من صدري ليسكن في ... شـروخِ صدرك فالأشجان تتَّصل
والحزن ظمآن يروى من سراب دمي ... والـعـمـر تـذبـح بـاقـي عـمـره الغلل
وصوتك العذبُ يرمي في دمي حمماً ... مـا لـلـورى بـصـدى أوجـاعـهـا قِبل
فأنزلت في دمي ألحانها، وغدت ... مـا بـين أوردتـي والـرُّوح تنتقل
ورفَّ وحيٌ لها في القلب ما سمعت ... بمـثـلـه قـبـل أشـعـارٌ ولا غـزل
كـأن داود ألـقـى سـرَّه ومضى ... فـخـلـفـه سـحـب الأنـغـام تنهمل
أقبلتَ تسبح في أمواج أوردتي ... يـزفُّ نعشك في أحشائي الأمل
تـزور روض الأمـاني ثم تُنعش ما ... قد مات من زهره أو خانه الأجل
وفي دجى عالمي الأقمار غارقةٌ ... وفي سجون دمي الأحلام تعتقل
تسير بين شراييني وتهتف بي ... هـمـا قـريـنـان هـذا الحلم والأزل
فتنتشي في رياض القلب أمنيتي ... ويختفي اليأس والأضغان والكسل
حضرت ترسم فوق القلب خارطةً ... للقدس تفنى على أعتابها الدُّول
دخلتها والشَّظايا في دمي ويدي ... يصيبها من أعاصير الضَّنى شلل
تخذت قلبي دليلاً نحوها ودمي ... دربـاً، أتـوه بـه مـا ردَّني كلل
ووجه أرضك محرابٌ عرفت به ... ربِّـي ومـا لي عـن أنـواره حول

فتحتها فبدت في الليل فاتنةً
تساقطت في يدي من شعرها خصل

لها جبين هدىً في الحسن يضحك لي
فخلته جنَّةً أغصانها ذلل

وكان قلب صخور القدس منتظراً
وفوقه التُّرب نورٌ والنَّدى عسل

لو مسَّه الطِّين يوماً لاغتدى قمراً
من ضوئه يتوضَّا العشب والبلل

قبضت منه مراراً قبضةً بيدي
نثرتها فاستفاق الميت والطَّلل

تطهَّرت فيه أثواب العروبة من
أدرانها وأرى الأرواح تغتسل

تطاير العطر من أعطافه ونما
زهرٌ بفرشاته تزَّيَّنُ الحُلَل

من يوم أن أرضعتك الأرض من دمها
وما لها عنك في أحلامها بدل

مشى بك الدَّهر حتَّى عدت تسكن في
أحشائها كجنينٍ جاء ينعزل

وجاء صوتك يروي حلمنا وأرى
ملائك الحبِّ من سلساله نهلوا

وفي دروبك مازالت تضيءُ لنا
من يوم أن سِرْتَ في أرجائها؛ شُعَل

ترى الأنام سكارى غير أنَّهمُ
من طعنة الغدر لا الأنخاب قد ثملوا

يمشون في ساحة الإسراء يسحبهم
عبدٌ وهم تحت نصل السَّيف قد مثلوا

فقمت فوق جبال المجد تصرخ في الـ
لَذين في هوَّة الأحداث قد نزلوا

ناديت للقوم: عودوا فالطَّريق عمىً
لكنَّهم لحمى صهيون قد عجلوا

أدَّنْت بالحرب بين النَّاس فانسحبوا
وأغلقوا دونك الأسماع وارتحلوا

وأنت تمخر شوك الدَّرب ممتطياً
خيل العزيمة حتَّى تذعن السُّبل

قلَّبتَ طرفك في الآفاق فاحترقت
عيناك وانفجرت في وجهك العلل

ساءلت هل متَّ أم عيناك ساهرةٌ
تقود من بلهيب الحرب قد سلموا

أم صورة القدس نامت في سوادهما
فالجفن صخرتها، والقبَّة الكُحُل؟

ليلٌ رهيبٌ يغطِّي الكون ليس له
فجرٌ وكلُّ نجوم الأفق تنأفل

تهدَّمت فوقك الأفلاك وانفطرت
سماء حلمك والظَّلماء تنسدل

تدور حولك سحب الهمِّ ثائرةً
كأنَّ رأسك في أطواقها زحل

جبَّارةٌ تقذف النِّيران ناشرةً
ذراعها فوق من ضلُّوا وما وصلوا

واسَّاقطت حمم الأحداث حولك والـ
أنام مقتحمٌ فيها ومرتحل

ماذا أفادك والأقدار مطلقةٌ
رصاصها فيك والأطراف تنفصل

ماذا أفادك والطُّغيان قد نسجت
شراكه والورى في أسرها همل؟

صار النُّسور ذباباً والأسود دمىً
واستأنس الذِّئب حتَّى استأسد الحمل

هل جئت تبحث في الشهداء عن جثثٍ
عرفتها؟ سيجيب الصَّمت والوهل

رمز الجمال

في وداع أخي الحبيب
الأديب محيي الدين صالح
الذي سبقنا إلى الله
يوم الاثنين ١٥ / ١ / ٢٠١٨م

م. وحيد الدهشان – مصر

إنـا جميعاً للفناء والارتحالْ
وبقاء مخلوق هو الأمر المحالْ
قانون دنيانا التي نحيا بها
وكأننا للخلد جئنا لا الزوالْ
أنا لا أؤكد للقلوب مؤكداً
فلنحن أعناق على حد النصالْ
لكنني أنعى صديقاً مخلصاً
وأخاً كريماً كان رمزاً للجمالْ
محيي الرجولة في زمان قلَّما
تجد الرجال الفعل من غير افتعالْ
محيي الشهامة والعطاء سجية
شمس ولكن آثرت عيش الظلالْ
محيي بياض القلب دون شوائب
والمرء ليس بلونه بل بالخصالْ
محيي البساطة والشموخ تلاقيا
محيي نقاء القلب في سيما الجلالْ
محيي إذا عد القريض رجاله
سيراه ذو الإنصاف من أغلى الرجالْ
لكن ترفع عن نزال توافه
فأمامهم لا.. لا يليق به النزالْ
يا أيها النوبي أنت عزوتنا
بالحب والأشعار كالسحر الحلالْ
أنا في فراقك يا حبيب حزينة
نفسي التي لا لم تعد أهل احتمالْ
لا لم أعد أقوى على أني أرى
أحداً يعاني قسوة الداء العضالْ
قصَّرتُ لكن لم أكن متعمداً
ورجوتُ تشفى إنما عز المنالْ
أعنيك أنت الآن حين أقول ما
قد قلته: «لا تعذليني يا وصالْ»
والله أدعو أن يثيبك صابراً
فهو الرؤوف هو الرحيم وذو الجلالْ

أفذاذ غادروا في صمت

عميد آداب الشعوب الإسلامية

العلامة الدكتور حسين مجيب المصري

عبداللطيف الجوهري - مصر

«أفذاذ غادروا في صمت» سلسلة من المقالات ألحّتْ عليَّ فكرتها وفاءً لأعلام من العلماء والأدباء والدعاة ممن أثروا حياتنا العلمية والفكرية والدعوية بجهدهم وآثارهم العبقرية التي أثرت المكتبة العربية وجهود الإصلاح والنهضة وقد غادروا دار الفناء إلى دار الحق دون أن يحتفي بهم الإعلام كما يحتفي باللاعبين والممثلين والمثلات الذين يستأثرون بالأضواء والنجومية في حياتهم وحين رحيلهم، وبرغم أن فكرة السلسلة تلح عليَّ من بضع سنوات إلا أن مقالة الباحث الأديب صلاح حسن رشيد وعنوانها «حسين مجيب المصري- عصر من العطاء والنسيان»[1] حفزتني للبدء في كتابة هذه السلسلة من المقالات، وترجع أهمية المقالة أنها نُشرت مواكبة للذكرى المئوية لميلاد الدكتور حسين مجيب المصري (١٩١٦ - ٢٠٠٤م) وأن كاتبها الباحث صلاح رشيد كان من أقرب تلاميذ العلامة مجيب المصري وأكثرهم ملازمة له في سنيِّه الست الأخيرة حتى لحظات وفاته.

ويُعد الدكتور حسين مجيب المصري نادرة من نوادر الإنسان العالم المبدع الذى تفانى في خدمة رسالته في نشر العلم وتحقيق الوحدة الثقافية لشعوب الأمة الإسلامية فقد أجاد قُرابة عشر لغات من اللغات الشرقية والأوربية وأبدع بها دارسًا ومؤلفًا وشاعرًا، ووضع المعاجم اللغوية وترجم عن اللغات الفارسية والتركية والأوردية والفرنسية والألمانية والإنكليزية وغيرها، وقد بدأت تلمذتي على مؤلفات الرجل أنهل من بحر علمه الفياض مُذْ كنتُ أعد دراستي الأولى عن الشاعر الفيلسوف محمد إقبال والتي نُشرت في كتابي «مع إقبال شاعر الوحدة الإسلامية، ١٩٨٦م، ط ١»، ولا تقل مكانة الدكتور حسين مجيب المصري في حقل الدراسات الإقبالية عن الدكتور عبدالوهاب عزام، وأديب الأمة العلامة أبو الحسن الندوي، والشاعر العلامة الشيخ الصاوي علي شعلان.

وعن آخر أقواله في مرض الوفاة يحكي أديبنا الباحث صلاح رشيد في مقاله المُشار إليه سابقًا: «... ولا أنسى مقولته وهو على فراش مرضه الأخير: «أنا لم أجمع الأموال مثل كثيرين؛ ولقد عشت من أجل العلم، فتعلمته وعلمته، فإذا سألني ربي: ماذا فعلتَ؟ أجبت: لقد طلبت العلم خالصًا لوجهك الكريم، وعلمته لمرضاتك، وكفى بها من مسؤولية عظيمة أحملها فوق كاهلي، وأرجو أن يغفر لي تقصيري وزللي».

ويمضي أديبنا صلاح رشيد في حديثه عن هيامه بالعلم وتفانيه في خدمته فيقول: «لقد بلغ من إخلاصه وهيامه بالبحث وطلب العلم أنه - وهو في أيامه الأخيرة- نادى عليَّ فظن الأطباء أنني ابنه أو أنني واحد من العائلة، لكنهم تعجبوا لما عرفوا أنني تلميذه، فقالوا: إنه دائم الترداد لاسمك بالليل والنهار، فأقبلت عليه فأمسك بيدي، ثم نظر إليَّ وعيناه مغرورقتان بالدموع وهو يظن أنه في غرفة الاطلاع والبحث حيث مكتبته العامرة بكل المعارف والعلوم من كل اللغات في بيته بالزمالك. فقد كان يتقن عشر لغات، شرقيةً وغربيةً إجادة تامة، فقال: تعالَ؛ لأمْليكَ مقدمةَ كتابي الجديد بعنوان «الله جل جلاله في الآداب العربية والفارسية والتركية والأردية – دراسة مقارنة» فبكيت وبكى الحضور تأثرًا بما يصنع هذا الشيخ الكبير (٨٨ عامًا) وهو يعاني سكرات الموت، وكان جادًا فيما يقول ويطلب، وبالفعل أملى عليَّ المقدمة، فظن الجميع أنه تعافى، وأنه عما قريب سيخرج إلى بيته؛ ليواصل نشاطه العلمي والفكري».

صلاح رشيد

ويواصل باحثنا الأديب صلاح رشيد حديثه فيقول: «وفي صبيحة اليوم التالي، ذهبت إلى المستشفى متفائلًا، ودخلت غرفته على عَجَل لأفاجأ بإحدى الممرضات وهي تقوم بتنظيف الغرفة.. فظننت أنهم ربما ذهبوا به؛ لإجراء بعض التحاليل الطبية، فلما سألت الممرضة عنه، أجابتني بانكسار: «لقد مات فجر اليوم، فانهرت وجلست على الأرض..».

ولقد تعددت عطاءات الرجل الموسوعية في مجالات طلب العلم وتعليمه، ومجال الترجمة العلمية بعدد من اللغات الشرقية والغربية، ومجال الدراسات الأدبية والنقدية، ومجال وضع المعجمات اللغوية، فضلا عن الإبداع الشعري بالعربية وغيرها من اللغات، فكان الرجل بعطائه العبقري المتنوع وبما خلفه من آثار علمية تجسيدًا للوحدة الثقافية للأمة الإسلامية، فتبوأ بذلك عالمنا العلامة الجليل الدكتور حسين مجيب المصري مكانة عالية، وارتقى قمة سامقة لايكاد ينافسه فيها أحد من من معاصريه في مجال آداب الشعوب الإسلامية.

ولقد ترجم للدكتور حسين مجيب المصري شاعرًا معجم البابطين، ونشر ترجمته في حياته، وممن ألفوا عنه شاعرًا أيضًا الباحث صلاح حسن رشيد الذي أصدر كتابه عنه بعنوان «حُسين مجيب المصري: تجربة فريدة في الشعر العربي» (مكتبة الآداب بالقاهرة)، ومما صدر لأستاذنا العلامة من دواوين الشعر: «شمعةٌ وفراشة -١٩٥٥م»، «وردةٌ وبلبل -١٩٥٨م»، «حُسنٌ وعِشق -١٩٦٣م»، همسةٌ ونَسمة – ١٩٦٤م»، «شوقٌ وذكرى ١٩٨١م»، «موجةٌ وصخرة -١٩٨٦م»[٢].

ومما ورد عنه أيضًا في المرجع المذكور (معجم البابطين) أنه وُلد في القاهرة ١٩١٦م، وحصل على ليسانس الآداب من جامعة القاهرة ١٩٣٩م، كما حصل على دبلوم الدراسات التركية والفارسية من معهد الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة ١٩٤٢م، والدكتوراه من جامعة القاهرة ١٩٥٥م، وكان موضوعها: «فضولي البغدادي أمير الشعر التركي القديم».

وقد اشتغل بتدريس (الأدب التركي والفارسي والإسلامي المقارن، والتاريخ العثماني، والأدب الشعبي التركي، والتصوف الإسلامي في جامعات القاهرة، وعين شمس والأزهر، ومعهد الدراسات العربية.

وفي سنيه الأخيرة عمل أستاذًا في جامعة عين شمس، وخبيرًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومن مؤلفاته ونتاجه الموسوعي: «في الأدب العربي والتركي – دراسة في الأدب المقارن»، و«الأسطورة بين الأدب العربي والفارسي والتركي» و«المعجم الفارسي العربي الجامع» و«المعجم الجامع (أردو – عربي)» و«معجم الدولة العثمانية» و«من أدب الفرس والترك» و«سلمان الفارسي بين العرب والفرس والترك» و«في الآداب العربية والتركية والأردية – دراسة مقارنة» و«القدس بين شعراء الشعوب الإسلامية».

وفي حقل الترجمة والدراسات الإقبالية «ترجمته عن الفرنسية لأطروحة الشاعر الفيلسوف الدكتور محمد إقبال للدكتوراه (١٩٠٨م) من جامعة ميونخ وعنوانها «ما وراء الطبيعة في إيران» ومنها «إقبال والعالم العربي» و«إقبال والقرآن» و«إقبال بين المصلحين الإسلاميين» و«الأندلس بين شوقي وإقبال».

وقد احتفلت وزارة الثقافة المصرية ممثلة في المجلس الأعلى للثقافة بالذكري التسعينية لميلاد الدكتور حسين مجيب المصري الذي فاز بلقاء الله والجوار الكريم في دار الحق في ديسمر ٢٠٠٤م.

وكتب محرر صحيفة الرياض السعودية في القاهرة شريف الشافعي[٣] يقول: «وقد اشتملت الاحتفالية على إصدار خمس تراجم للدكتور حسين المصري عن المشروع القومي للترجمة التابع للمجلس الأعلى للثقافة، وذلك عن اللغتين الأوردية والفارسية اللتين أتقنهما الدكتور المصري مع لغات شرقية وغربية، وهذه التراجم هي: «صفوة المديح» لأحمد رضا خان، وديوان «حسن رضا خان الدهلوي»، «وديوان غالب البهلوي»، و«الأدب الفارسي القديم» لبول هون، وديوان «خواجة الدهلوي».

ومما يذكر للدكتور حسين مجيب المصري ويسجله تاريخ العلوم والآداب بأحرف من نور ما وصفه الباحث صلاح رشيد بقوله: «الجانب الخفي في حياة هذا الهرم الثقافي والعلمي» فهو كما يحكي صلاح رشيد: «... قد أحال بيته إلى جامعة مفتوحة للباحثين من أقصى صعيد مصر حتى الإسكندرية، بل حتى من الجامعات العربية والإسلامية، فلقد رأيت عربًا وهنودًا وأتراكًا وباكستانيين وإيرانيين وأجانب يترددون عليه؛ للنهل من علمه الغزير وقراءة أطروحاتهم عليه؛ لمعرفة رأيه فيها، وكان

لايبخل عليهم بالمعلومة، ولابالمصادر، ولابالمراجع، ولا بالتصحيح والتصويب لهم لُغويًا ومنهجيًا وعلميًا.

وقد عرف للرجل فضله ومكانته أهل الفضل من العلماء والأدباء ممن تتلمذوا عليه أو رافقوه في طلب العلم وتعليمه أو تابعوا إبداعه، ومن هؤلاء رفيقه في تدريس اللغات الشرقية وخبير المخطوطات والفهارس البروفسور نصر الله مبشر الطرازي الذي حدثني عنه أواخر ١٩٩٨م، فقال: «يُعتبر أستاذ الجيل حقًا، وله شهرة علمية في العالم الإسلامي والغربي على السواء، وهو يجيد من اللغات التركية والفارسية والأردية والفرنسية والإنكليزية مع الإلمام بالألمانية والإيطالية والروسية، وله مؤلفات تزيد عن الستين، تم ترجمة بعضها إلى لغات أجنبية».

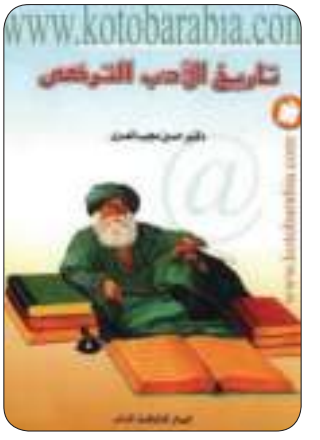

ويمضي رفيقه الدكتور نصرالله الطرازي فيقول: «وهو في لغته العربية أديب أريب، وشاعر مجيد، ولقلوب عشاقه ومريديه جِدُ قريب، وله كتبٌ في الشعر والأديب المقارن، كما أن دواوينه الشعرية مطبوعة بالعربية والفارسية والتركية منها: «شمعةٌ وفراشة» و«شوقٌ وذكرى» و«موجةٌ وصخرة» و«صولغون» بالتركية يعني (الوردة الذابلة).

وترجم الدكتور حسين مجيب المصري من شعر وأدب الشاعر محمد إقبال «أرمغان حجاز» ويعني بالعربية (هدية الحجاز) و«في السماء» و«روضة الأسرار»، كما ترجم نظمًا عن التركية «المولد الشريف» لسليمان جلبي، ونظم بالعربية من ترجمة نثرية «منتخبات من ديوان الشاعر القازاقي (آباي)» ويصف الدكتور الطرازي ترجمة أستاذنا حسين مجيب المصري بأنها «تمتاز بصفاء الديباجة» ،وفصاحة الأسلوب، وإشراقة البيان»[٤].

ويذكر صلاح رشيد في مقاله المذكور بصدر الدراسة ما وصف به الأديب المخضرم وديع فلسطين (٩٣ عاماً) صديقه الدكتور حسين المصري فيقول: «إن العلامة الدكتور حسين مجيب المصري ترسانة من الأسلحة الثقافية والعلمية الثقيلة في عصرنا الحاضر، لم تلتفت إليه الأوساط الثقافية الرسمية»، وينقل صلاح رشيد شهادة أستاذ الأدب الأندلسي ورائد الأدب المقارن الدكتور الطاهر أحمد مكي (٩٢ عاما) الذي قال عنه: «إن الدكتور مجيب المصري من الموسوعيين الذين خدموا الدراسات الشرقية ونقلوها إلى القارئ العربي عبر مؤلفاته الضخمة وترجماته وتحقيقاته الفذة».

وينقل الأستاذ صلاح رشيد أيضا عن العالم العراقي الدكتور يوسف عزالدين (١٩٢١ – ٢٠١٢م) عندما زار عالمنا الموسوعي في بيته قبل عقدين من الزمان قوله: «كيف لم نسمع عن هذا البروفسور العظيم، إن العلامة حسين مجيب المصري أستاذ الأساتذة وفخر العرب اليوم».

وبرغم ما حظي به العلامة الدكتور حسين مجيب المصري من اهتمام وتكريم في حياته إلا أنه يتضاءل كثيرًا مع ثراء عطائه، وجليل مكانته، وكم سمعنا بأسماء لاتمثل شيئا يذكر بالنسبة للرجل تحظى بأرفع الجوائز على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي؛ لأن مثل هذ العبقري الفذ مترفع متعفف لا يجيد التزلف لذوي النفوذ والصولجان، ولا يتقن ما يجيده أدباء العلاقات العامة:

«ملأى السنابل تنحني بتواضع
والفارغاتُ رؤوسهن شوامخُ»

ولكن الرجل لم يعدم التقدير والتكريم والاحتفاء بجهوه وفضله، فقد عرفت له مكانته العلمية المرموقة وكرمته حكومة باكستان ضمن فعاليات الاحتفال بالذكرى المئوية لميلاد الشاعر الفيلسوف الدكتور محمد إقبال ١٩٧٧م، ومنحته ميدالية إقبال، «وقد تسلم أستاذنا الجليل الدكتور مجيب المصري وسام الجدارة الباكستاني من الرئيس ضياء الحق – رحمه الله تعالى – عام ١٩٨٨م.

ومنحته جامعة مرمرة بإستانبول الدكتوراه الفخرية عام (١٩٩٥م)، كما منحته الجمهورية التركية بـراءة التقدير من الرئيس سليمان ديميريل مع وسام الجمهورية التركية للأعمال ذات القيمة العالية، قدمه له سعادة سفير تركيا بمصر، وحضره جمع من السلك السياسي وأساتذة الإعلام والجامعات المصرية والتركية، والشخصيات العلمية والأدبية والإعلامية، ونفر من طلاب الدراسات العليا بالجامعات المصرية كما أشرنا في صدر هذه الدراسة»[٥]، كما منحه مركز بحوث مولانا أحمد رضا القادري وسامًا ذهبيًا عام (١٩٩٩م)[٥].

وكتب محرر صحيفة (المصري اليوم المصرية تحت عنوان (العلامة حسين مجيب المصري – الكفيف الذي قاوم الظلم بالإبداع) يقول: «... وبويع قبيل وفاته في جامعة عين شمس عميدًا للأدب الإسلامي المقارن بحضور أساتذة اللغات الشرقية في الجامعات المصرية»[٧].

رحم الله العلامة الدكتور حسين مجيب المصري عميد الأدب الإسلامي المقارن ورائد آداب الشعوب الإسلامية الذي كان مولده في القاهرة يوم السبت ١١/٢٨ /١٩١٦م؛ في بيتِ علم وفضلٍ ومجد، فقد كانت أمه فاطمةً هانم حفيدة محمد ثاقب باشا وزير الأشغال المصرية في عهد الخديوي إسماعيل، وكان والده علي حسني المصري ناظر مدرسة دار العلوم العليا أكبر معهد علمي في مصر قبل إنشاء الجامعة المصرية جامعة فؤاد الأول، وكانت وفاته في الحادي عشر من ديسمبر ٢٠٠٤م عن عمر يربو على الثامنة والثمانين عامًا■

الهوامش:

(١) صحيفة (الحياة) اللندنية «حسين مجيب المصري- عصر من العطاء والنسيان» صلاح رشيد ٢٠١٦/٢/٥م.

(٢) معجم (البابطين)، ترجمة حسين مجيب المصري.

(٣) صحيفة (الرياض) السعودية،... شريف الشافعي، العدد (١٣٧٧٤) في يوم السبت: ١٤٢٧/٠٢/١١هـ، ٢٠٠٦/٠٣/١١م.

(٤) «للحق والنهضة والجمال – في الأدب والتربية والثقافة «عبداللطيف الجوهري، ط١، مكتبة وهبة بالقاهرة ٢٠٠٠م.

(٥) السابق نفسه، ص٢٦٩.

(٦) شخصيات (الأدب الإسلامي) الموقع الإلكتروني لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، ترجمة الدكتور حسين مجيب المصري.

(٧) صحيفة (المصري اليوم) المصرية «حسين مجيب المصري- الكفيف الذي قاوم الظلم بالإبداع)» المحرر الثقافي، (٢٠٠٨/٠٨/٠٨م).

صهوة القلق

د.عمر خلوف – سورية

تَحمِلُني صَهْوَةٌ مِنَ القلَقِ ... جامِحَةً بي تضجّ بالنّزَقِ
كأنني فوقَ مَتْنِها زَلِقٌ ... إلى سحيقٍ منَ الدّجى طَبِقِ
إلى خريفٍ بهِ الرياحُ عَوَتْ ... إلى شتاءٍ بالثلجِ مصطفِقِ
لُمْدُنٍ تعدو بي مُهَرْوِلةً ... دُروبُها الموحِلاتُ بالزّلَقِ
تقْتادُني عَنْوَةً مَجاهِلُها ... إلى فَضاءٍ مُحْلَوْلِكِ الأُفُقِ
تجذِبُني هُوَّةٌ أدافِعُها ... فترْتَمي هُوّةٌ على حَدَقي
تقتاتُ منْ مهجتي ومنْ عَصَبي ... ومِنْ عروقٍ تضِجُّ بالحُرَقِ
تعصِفُ بي ثَوْرَتانِ من ألم ... طاغٍ ومِنْ حَيْرَةٍ ومِنْ رَهَقِ
كأنني في دَوّامَةٍ لعِبَتْ ... بها الرياحُ الهَوْجاءُ في الطّرُقِ

* * *

غامتْ رؤى الأمسِ في مُخيّلتي ... وكان للأمسِ وجْهُ مؤْتَلِقِ
مزروعةً في الجبينِ رايتُهُ ... مشرِقةً في القلوبِ والحدَقِ
طافرَةً بالسّنا مَواكبُهُ ... مُونِقَةً بالعَلاءِ والفلَقِ
تفيضُ أيّامُهُ بعزّتِهِ ... ضاحكةً بالضياءِ والألَقِ
أقلامُهُ البِيضُ أحرُفٌ رسَمَتْ ... في صفحةِ العمْرِ دَوْرَةَ العَبَقِ
سيوفُهُ السّمْرُ ألسُنٌ نقَشَتْ ... في جبهة الدهْرِ حُمْرَةَ الشّفَقِ
ومهرقو المجد فوقَ مفرقِهِ ... مناكبٌ لم تلِنْ لِمُرتزِقِ

* * *

واضيعةَ الأمسِ سؤدداً وعُلاً ... أبطالُهُ قد غفَوْا على الورَقِ
طَفَتْ على وجْهِهِ سَماسِرةٌ ... باعوهُ بالبَخْسِ بَيْعَةَ الحُمُقِ
ناموا على زَنْدِهِ بُلَهْنِيَةً ... فما رَعَوْهُ رِعايةَ الصُّدُقِ
هذي جراحي تَئِنُّ داميةً ... لها على القدسِ غَصَّةُ الشَّرِقِ
وذي دمائي تَمُضُّ راعفةً ... تأسى لبغدادَ وهْيَ في الغَرَقِ
ولي بِذا الكونِ مُهْجَةٌ سُفِحَتْ ... ولي فؤادٌ يَجُودُ بالرّمَقِ

* * *

رحلة العمر

ترجمة وإعداد: سارة صالح

تأليف: تشارلز ديكينز

انطلق هذا الرجل في رحلته سيرا على الأقدام، بدت الرحلة طويلة جدا، سار في طريق مظلم لبعض الوقت دون أن يقابل أحدا، لكن أخيرا قابل طفلا صغيرا فسأله:

«ماذا تفعل هنا؟» فأجابه الطفل:

«أنا دائماً ألعب، تعال والعب معي».

ظل الرجل يلعب مع الطفل طوال اليوم، وقد كانا فرحَين جداً، السماء بدت زرقاء صافية، والبحيرة يتلألأ ماؤها تحت أشعة الشمس الساطعة، وأوراق الشجر كانت خضراء، والأزهار جميلة. كانت زقزقة العصافير وحركات الفراشات تحيط بهما، وعندما أمطرت السماء، انشغل كلاهما بالقطرات المتساقطة على وجهيهما مستمتعين برائحتها العذبة.

فجأة هبّت الرياح، كان صوتها مرعبا، تسوق السحاب أمامها، وتحرك الأشجار، وتثير الفوضى في المداخن، المنازل تهتز، والبحر يثور، وقد ارتفعت أمواجه عالية.

في هذه الأجواء الملبدة فقدَ الرجل صديقه الطفل، وظل يبحث عنه بلا جدوى، وعندما فقد الأمل واصل رحلته. فقابل شاباً يافعاً على الطريق فسأله:

«ماذا تفعل هنا؟" فأجاب الشاب:

« في طريقي لخطبة فتاة».

سار الرجل معه بعض الطريق، ثم فصلت بينهما الرياح الشديدة، وفقده كما فقد صديقه الطفل، وظل يناديه لكنه لم يتلق إجابة!.

استمر الرجل في سيره حتى قابل رجلا أصغر منه سنا ومعه زوجته وأولاده، فسأله نفس السؤال:

«ماذا تفعل هنا؟». فأجاب الرجل:

«أنا دائماً أعمل هنا، تعال واعمل معي».

ذهب الجميع إلى الغابات، وقضى صاحب الرحلة معظم وقته هناك، وبالفعل بدأ صاحب الرحلة العمل مع أصدقائه الجدد وسط أشجار الغابة التي كانت تهزها الرياح ثم هدأت كثيراً، ظل الجميع يتعاونون في قطع الأشجار، ويعملون بجدية، وكانوا يكتشفون الطرق خلال الفروع والأوراق المتساقطة.

وبينما هم يقطعون طريقاً طويلاً مليئاً بالخضرة ممتداً بعمق في الغابة، سمعوا صوت بكاء صغيرٍ من بعيد يقول:

«أبي أبي، أنا أحد أبنائك انتظرني».

كان هذا الطفل مفقودا، وفرحت الأسرة بالعثور عليه، وفرح معهم صاحب الرحلة.

أبناء الرجل الكبار كل ذهب إلى حال سبيله يعمل في الغابة، وتواعدوا على اللقاء بعد أن تفرقوا.

لم يبق إلا صاحب الرحلة والرجل وزوجته الذين ظلوا بصحبة بعضهم بعضاً أياماً وليالي، حتى جاء الخريف، وبدأ اللون الأصفر يكسو أوراق شجر الغابة، ومن ثم تتساقط في طرق الغابة التي بدت أكثر ظُلمة من السابق، لكن الجميع كانوا مصممين على إكمال الرحلة التي تحولت من رحلة خيالية إلى رحلة واقعية مملوءة بالنشاط والعمل.

وفجأة توقف المسير بعد أن سمعوا صوت نداء يأتي من بعيد:

"أبي.. أمي.. انتظرونا نحن هنا».

توقفوا ليقترب الصوت:

«أين أنتم؟»

لقد كان صوت أحد الأبناء الذين تركوهم وانفصلوا عنهم!

هنا تركهم صاحب الرحلة الطويلة ليكمل رحلته، وعندما عبر الغابة ورأى غروب الشمس الهادئ بأفقها الأرجواني، رأى رجلاً عجوزاً يجلس بجانب شجرة ساقطة فسأله:

«ماذا تفعل هنا؟». فأجاب العجوز بابتسامة هادئة:

« أنا دائماً أتذكر، تعال وتذكر معي».

عندئذ، جلس صاحب الرحلة بجانب العجوز في مواجهة الغروب الهادئ، وهنا بدأ أصدقاؤه القدامى

بالظهور حوله: الطفل الصغير، الفتى اليافع، الشاب المتزوج، الأب والأم والأبناء، والعجوز كل واحدٍ منهم حضر ولم يتخلف أحد.

لقد أحبهم جميعاً، وكان سعيداً ومسروراً برؤيتهم مرة أخرى، كانوا جميعاً يحبونه ويحترمونه، ويلتفون حوله..

هذا الرجل صاحب الرحلة يجب أن يكون هو أنت عزيزي «الجَد»، لأنّ هذا ما تفعله أنت من أجلنا، وما نفعله نحن من أجلك!■

أثر العولمة في
الكتابات العربية الأدبية الإسلامية في التسعينيات(*)

محمد أويس الصديقي القاسمي – الهند

إن خطر العولمة لا يمثل خطرا على أمة بعينها بقدر ما يمثله بالنسبة للأمة الإسلامية، وهو ما يدفعنا إلى الإلحاح إلى إحياء النزعة الإسلامية العربية، التي أصبحت ضرورة حتمية دفاعا عن الوجود، وترسيخا للهوية، ووقاية من الذوبان. يقول الدكتور موسى عطاء الله، أستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة:

ليس أمامنا سبيل سوى توسيع قاعدة المعرفة، وامتطاء جواد التقدم العلمي، والولوج إلى الآفاق المستقبلية حتى لو كان ذلك من بوابة الخيال العلمي؛ لأن كل الشواهد تشير إلى تسارع ملحوظ في كم المعرفة الإنسانية التي تضاف إلى رصيد البشرية[1].

يمكن أن نستخلص من هذه العبارة أن ظاهرة العولمة بدأت تشغل أذهان كثير من الأجيال الإسلامية، وفي تقديرنا أن ارتفاع الوعي الثقافي والأدبي والسياسي بالمشكلات والتحديات علامة صحية، لأنه بغير هذا الوعي، وبدون الدفع في طريق إبداع الحلول لمختلف المشكلات الثقافية والأدبية

(*) مجلة الداعي، السنة ٢٩، العدد ١١، ذو القعدة ١٤٢٦هـ، ديسمبر ٢٠٠٥م، تصدر عن دار العلوم، ديوبند، الهند.

برزت على الساحة الدولية مفاهيم جديدة بعد الحرب العالمية الثانية، وتركت أثرها سلبا وإيجابا على الكتاب والأدباء الإسلاميين، من بينها العولمة والتسامح الديني والإرهاب وغيرها. بيد أن مفهوم العولمة لشموله جميع جوانب الحياة الإنسانية، احتل الصدارة في جميع المناقشات السياسية والأدبية والاقتصادية والثقافية.

وبادئ ذي بدء أقول: إننا لابد أن نسلم بأن ظاهرة العولمة باتت إحدى الحقائق المؤكدة في عصرنا الراهن في ظل ثورة الاتصالات والمعلومات التي حولت هذا العالم الفسيح على امتداد قاراته الست إلى قرية صغيرة مفتوحة على جميع الاتجاهات.

والسياسية التي تواجهنا، يمكن أن نخسر المواجهة العالمية قبل أن تبدأ. والحق أن هذه المواجهة صراعا كان أو تعاونا، أشبه بما تكون بمعركة مستمرة تحتاج إلى حشد الطاقات، وتعبئة الموارد، والتخطيط المتقن، والتنفيذ الفعال، والمتابعة المستمرة.

مفهوم العولمة:

لست شخصيا ممن يحبذون إنفاق الوقت في محاولات الوصول إلى تعاريف محددة جامعة مانعة، إلا أنني أستشعر ضرورة أن يطرح الباحث مفهومه لأي مصطلح يستخدمه لكي يكون التعامل مع ما يطرح على أساس هذا المفهوم.

العولمة، هي واحدة من ثلاث كلمات جرى طرحها ترجمة للكلمات الإنجليزية Glopalization والكلمتان الأخريان هما (الكوكبة)، و(الكونية)، وقد فضل الدكتور إسماعيل صبري استخدام كلمة (الكوكبة) لترجمة هذه الكلمة؛ ولكن شيوع استخدام كلمة (العولمة) حسم هذا الأمر.

أما عن المعنى الاصطلاحي للكلمة فهو أن العولمة ظاهرة تتداخل فيها أمور الاقتصاد والسياسة والثقافة والسلوك والاجتماع والأدب، كون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود السياسية للدول، وتحدث فيها تحولات على مختلف الصور تؤثر على حياة الإنسان في كوكب الأرض أينما كان. ويرى الدكتور ياسين أن العولمة ظهرت كمفهوم في أدبيات العلوم الاجتماعية الجارية كأداة تحليلية لوصف عمليات التخيير في مجالات مختلفة، لكن العولمة ليست مفهوما مجردا، فهي عملية مستمرة يمكن

د. إسماعيل صبري

ملاحظتها باستخدام مؤشرات كمية وكيفية في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والاتصال[٢].

وهناك إجماع بين المراقبين الدوليين على أن العمليات السياسية والأحداث والأنشطة في عالم اليوم لها بعد كوني دولي متزايد.

ويرى بعض الباحثين أن هناك أربع عمليات أساسية للعولمة، وهي على التوالي: المنافسة بين القوى العظمى، والابتكار التكنولوجي، وانتشار عولمة الإنتاج والتبادل والتحديث. أما معناها في الأدب العربي فهو الوحدة الفكرية التي تطبع الأدب العربي بطابعه. ويمكن هنا القول بأن صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة، نظرا لتعدد تعريفاتها، والتي تتأثر أساسا بانحيازات الباحثين والأيديولوجيين، واتجاهاتهم إزاء العولمة رفضا أو قبولا. وأرى أنه لا بد من صياغة تعريفات متعددة لهذه الظاهرة، وكل منها حسب المجال الذي يريد الكاتب استخدام كلمة العولمة فيها، فمثلا يمكن تعريفها ثقافيا وسياسيا وأدبيا واقتصاديا. كل منها على حدة.

وعندما نستخدم هذه الكلمة في الأدب الإسلامي تعني الوحدة الفكرية النابعة من القرآن والسنة، يقول الدكتور ياسين:

«لو نستخدم هذه الكلمة في الأدب الإسلامي فهي تمثل عنصر (التوحيد) أو القاسم المشترك الذي يلتقي حوله الأدباء الإسلاميون العرب، ويكون ذلك (التوحيد) عاملا من عوامل التجمع والتكتل والتقارب، وعنصرا من عناصر التفاهم والتآزر، وسبيلا إلى أخوة في الروح»[٣].

وفي تقديرنا أن هذه الوحدة الفكرية في الأدب العربي إنما مصدرها الأول هو الدين الإسلامي، الذي يظهر أثره عند المبدعين بشكل

مباشر وغير مباشر. وذلك أن الدين هو المقوم الروحي الأول في رؤى المبدعين، حتى لنذهب مع الفيلسوف الأوربي (برجسون) إلى أننا قد نجد أمة تخلو من العلم أو الفن، ولكننا لا نجد أمة تخلو من دين»[٤].

أثر العولمة في كتابات وأعمال الأدباء العرب:

وليس من شك أن ظاهرة العولمة مع جميع جوانبها أثرت إيجابا أو سلبا في كتابات الأدباء العرب. وظهرت تجلياتها في مختلف الميادين، ونوجز فيما يلي الآثار البارزة لهذه الظاهرة:

١- نتيجة لبروز هذه الظاهرة أصبحت العالمية هدفا – في حد ذاتها – يسعى إليها الأديب، فيكتب وفي ذهنه ما ينبغي أن يكون عالميا يصلح لكل زمان ومكان، وهنا يجنح إلى مفاهيم عامة، ويعرف عنه واقعه المحلي بما يشتمل عليه من جزئيات ودقائق وتفاصيل تميزه عن غيره، إلى كليات، يشترك فيها الكل. ولا يخرج نتاجه الأدبي في هذه الحالة عن إطار الشعارات الجوفاء، والبديهيات العامة، والملاحظات الساذجة التي لا تصنع أدبا يلتفت إليه في بلده أو خارجها.

وإنني شخصيا شاهدت في المؤتمرات التي شاركت فيها عندما كنت في القاهرة عام ١٩٩٨م أن بعض المبدعين العرب كانوا يبذلون قصارى جهدهم بل يسارعون لتوصيل أعمالهم إلى المشاركين في المؤتمر من الأجانب طلبا إلى ترجمتها أو توصية أبناء لغاتهم بترجمتها إلى درجة أن واحدا من هؤلاء الأجانب، وهو المستشرق الأمريكي (روجر ألن) الذي جاء إلى القاهرة للمشاركة في مؤتمر عقده المجلس الأعلى للثقافة، قد ضج

برجسون

من كثرة هذه الأعمال التي تقتحمه لتتزاحم في غرفته أكواماً. وعندما لقيته في غرفته سألني، ظنا منه أنني مصري الجنسية: كيف أخرج بهذا الكم الهائل من المؤلفات من مصر؟ وقال لي: إنني قرأت بعضا منها فلا يصل إلى المعيار الذي يعتبر شرطا أساسيا للترجمة، كما أخبرني، بأنه في الأيام الأخيرة ساد أمريكا وأوربا منهج جديد في النقد، وسماه هو «المذهب الفني في النقد» عماده الحكم على النص الأدبي من حيث روحه وموسيقاه وأصالته وعناصره وصدقه وتجربته الشعرية.

٢- ظهور الأدب الإباحي:

برزت ظاهرة الأدب الإباحي في الأدب العربي لكثرة احتكاك العرب وتأثرهم بالآداب الغربية والثقافة الغربية، فكل واحد يسابق الآخر في إنشاء أدب يرضي الجمهور في الدول الغربية، ولا يبالي في ذلك بضياع القيم الأخلاقية والدينية.

٣- اشتداد النزعة التحفظية في الأدباء الإسلاميين العرب:

هناك كثير من الأدباء الذين يحملون النزعة التحفظية في أدبهم، يكيلون بمكيالين، وهؤلاء انتقدوا الأدباء الإباحيين نقدا شديدا لاذعا، وكتبوا روايات تهدف إلى وقاية المجتمع العربي من مهالك تحمل العولمة في طياتها. ورغم أنهم ينتقدون الأدب المكشوف والأدب الإباحي، لكنهم اشتدوا في نقدهم بعد بروز هذه الظاهرة على الساحة الأدبية العربية.

هذه كانت بعض آثار العولمة على كتابات الأدباء العرب في العقد الأخير من القرن العشرين. عندما برزت العولمة على الساحات الثقافية والأدبية ظهرت هناك آراء متضاربة في الأدباء العرب حول العولمة،

فمنهم من يدعو إلى التفاهم معها، ومنهم من يعارضها، ومنهم من يدعو إلى أسلمة العولمة، التي تعني إعطاء هذه الظاهرة طابعا إسلاميا ينحاز إلى وحدة فكرية إسلامية، واستخدامها لصالح الإسلام في شتى بقاع الأرض. نحاول عرض هذه الآراء بشيء من التفصيل في الصفحات التالية:

١- الرأي المعارض للعولمة:

يعتقد الكثير من الأدباء العرب، أن العولمة مصطلح اقتصادي سياسي بحت، يحاول اليهود من خلال تعميمها ونشرها الهيمنة الاقتصادية والثقافية والسياسية على العالم كله، حتى إن بعضا منهم ترجموا الكلمة الإنجليزية المعبرة عن هذا المفهوم الجدلي بكلمة «الهيمنة».

كتب «جارودي» الكاتب الإسلامي الفرنسي الشهير أروع مؤلفاته بعنوان «حوار الحضارات» وصف فيه ما صنعه الغربيون طوال تاريخهم بشعوب العالم الأخرى. بأنهم صنعوا «الشر الأبيض» على الغربيين، ويقول: «إن الأمم الغربية كانت دائمة السطو على إنجازات الآخرين، ودائمة الاعتداء على حقوقهم وأراضيهم ومواردهم تحت حجج واهية ودعاوى فارغة لا تنطلي على أحد، ولكن هذه الدعاوي الفارغة كانت تفرض نفسها على الآخرين بالقوة العسكرية»[٥].

إن ما قدمه جارودي في هذا الكتاب الهام من تعرية لما يسمى بالحضارة الغربية، خوف الأمم الشرقية من خطر القوة الغربية التي تحاول السيطرة على الآخرين بإطلاق

روجيه جارودي

سليمان العسكري

الشعارات الجوفاء مثل العولمة والديمقراطية والعلمانية وغيرها.

٢- الرأي الذي يدعو للتفاهم مع العولمة:

هناك رأي آخر يدعو للتفاهم مع مفهوم العولمة، لأنه يوجد لكل مفهوم جانبان: إيجابي، وسلبي، فلا بد أن نأخذ من إيجابيات العولمة ونتفادى سلبياتها. يرى الدكتور العسكري – كاتب كويتي معاصر – بأن الثقافة الإسلامية هيمنت على ثقافات أخرى كانت قد سبقتها، حتى أصبحت هذه الأمم تابعة للثقافة العربية والإسلامية في لغتها وآدابها، والسبب أنها كانت قوة جديدة وصاعدة، لها قيمها ومبادئها فأثرت فيما حولها وسادتها. وهو نفس ما يحدث الآن من وجود قوة صاعدة بيدها مفتاح التقدم والتحضر. وبالتالي تنشر نفوذها على القوى الأخرى[٦].

فعلينا أن نشارك في هذا النظام، لأن مصير الذي لا يلحقه سيكون العزلة. ولا نستطيع المقاومة. وإذا كان هناك ضرورة للمقاومة فلماذا لا تكون من داخل النظام نفسه نفعل فيه ونتفاعل معه، ونستفيد من كل إمكاناته وإنجازاته مع الحرص التام على بقاء هويتنا كأمة عربية وإسلامية. وتوجد لهذا النظام إيجابيات، منها أنها وسعت انتشار الكتاب على مستوى العالم، وبفضلها تطبع ملايين النسخ لرواية أو ديوان شعر. ثم لا تنس أن الدول المهيمنة على العولمة لا تستطيع أن تحتكر نتائجها، حيث تصبح هذه النتائج ملكا مشاعا للجميع، ويستطيع كل

واحد من استخدام آلياتها بسهولة، مثل الكمبيوتر، والإنترنت، وغيرها من التقنيات. إذا يجب علينا أن لا نخاف سلبياتها، بل ينبغي أن نشحذ أذهاننا ونسارع خطانا للحاق بها كغيرنا من الشعوب المتقدمة.

٣ – رأي يدعو إلى أسلمة العولمة:

هناك الكثير من المفكرين والأدباء الإسلاميين الذين يدعون إلى أسلمة العولمة وآلياتها. ويعني ذلك استخدام نظام في جميع المجالات لصالح الإسلام، ويؤكدون أن الإعلام الغربي لعدائه السافر للمسلمين، عرف الناس بهذا الدين، ومهد لنا الطريق للوصول إلى قلوب أولئك الذين لم يسمعوا عن هذا الدين الحق حتى الآن.

والحقيقة أن جوهر الدين الإسلامي يرتكز على أن الخطاب القرآني موجه للناس جميعا، وليس لقبيلة أو قوم أو حتى للمسلمين فقط، بل إن القرآن يخاطب البشر جميعا بلا استثناء. والدليل على ذلك أن كثيرا من آياته تبدأ بنداء إلى الناس كافة كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾(الحجرات) هذا الخطاب ليس موجها للمسلمين فقط، ولكن للجنس البشري برمته، فالناس جميعا يتكونون من ذكر وأنثى، وليس المسلمون فقط، ويعيشون على الأرض في قبائل وشعوب ويتعارف بعضهم ببعض.

ولم يلتصق اسم النبي محمدﷺ بكلمة قوم، ولم يرد في الخطاب القرآني تعبير (قوم محمد) بل كان الخطاب الموجه إلى الرسولﷺ مصوغا بصيغة مختلفة تماما عما ورد بالنسبة لجميع الأنبياء والرسل السابقين. يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٤٩)﴾ (الحج). ولم يرد في الخطاب القرآني تفضيل قوم على قوم آخرين، وإنما اعتبر الناس جميعا أمة واحدة: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)﴾ (الأنبياء)، ولا يقر الإسلام العنصرية أو التحيز لجنس على آخر، أو تفضيل لون على لون، وإنما جاء ذكر الألوان في الخطاب القرآني للدلالة على قدرة الله في الخلق: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ (٢٢)﴾ (الروم)، وجاء الحديث الشريف ليؤكد أن لا فضل لقوم على قوم، أو لون على لون، وإنما معيار التفضيل عند الله يرتكز على دعامة مختلفة تماما: (كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي، ولا عجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[٧]. هذه هي المساواة المطلقة بين البشر بدون تفرقة أو عنصرية أو تمييز بسبب الجنس أو اللون أو العرقية أو اللغة أو حتى الدين. ما دام المعيار كما جاء في الحديث الشريف هو لفظ «التقوى». إن هذه المبادئ التي أرساها الدين الإسلامي وأعلنها الرسول محمدﷺ منذ ١٤ قرنا من الزمان، هي نفس المبادئ التي أقرها الميثاق العالمي لحقوق الإنسان منذ خمسين عاما.

إن الإسلام دين عالمي يصلح لكل زمان ومكان، والرسولﷺ هو رسول عالمي، بل إنه النبي الوحيد الذي لم يرسل إلى قوم بالتحديد، بل إنما بعث للناس كافة، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين. تقول الدكتورة فوزية العشماوي، أستاذة بقسم الدراسات الأدبية الإسلامية، كلية الآداب، بجامعة جنيف: «إن الرسول محمدﷺ بعث إلى الأمم جميعا، وإذا ترجمنا كلمة الأمم جميعا، نصل إلى معنى قريب لمعنى العولمة أو العالمية. وهو ما نود الوصول إليه لنؤكد أن الرسالة المحمدية هي رسالة العولمة التي

بعث الله سبحانه وتعالى بها رسوله محمداﷺ منذ أربعة عشر قرنا، قبل أن يكتشف خبراء الاقتصاد والسياسة الغربيون المفهوم الجديد الذي أطلقوا عليه مصطلح العولمة، والذي لم ينتشر في أنحاء العالم إلا منذ عشر سنوات ماضية»[٨].

إن الأسس والمبادئ والقيم التي أقرها الإسلام قبل ١٤ قرنا من الزمان كانت مرتكزة على المساواة والعدل والسلم والتعاون والالتزام بالمواثيق والعهود، إذاً يناسب لنا أن نتفاعل مع هذا النظام، ونخدمه لصالح الإسلام عن طريق كتاباتنا الأدبية، والنشاطات الثقافية والاقتصادية والسياسية، لأننا لا نستطيع أن نقاوم هذا التيار العالمي، ولا حاجة لنا لمقاومتها ما دام يخدم مصالحنا الإسلامية والقومية العربية.

بعد عرض هذه الآراء المتضاربة حول مفهوم العولمة والتفاعل معها، أرى من المناسب أن تسير الآداب العربية والإسلامية مع المعايير الدولية على نحو يحفظ على الأمة العربية والإسلامية ذاتيتها الثقافية والحضارية والدينية. فلا تقع في أسر التقليد للماضي حرفيا، ولا تتحول إلى تابع ذليل للحضارة الغالبة، فتنطبق عليها مقولة ابن خلدون

ابن خلدون

«المغلوب مولع بتقليد الغالب»[٩].

ومن المعلوم أن الحياة متحركة متطورة، دائمة الشباب، مستمرة النمو، تنتقل من طور إلى طور، ومن لون إلى لون، لا تعرف الوقوف ولا الركود، ولا تصاب بالهرم والتعطل، فلا يسايرها في رحلتها الطويلة المتواصلة إلا نظام حافل بالحركة والنشاط، ولا يتخلف عن ركب الحياة. ومن المقرر أن التجديد يطرأ على كل مرفق من مرافق الحياة، فالعادات والتقاليد والأدب والنظرات السياسية تتجدد، لأن كل هذه الأشياء وليدة الزمان، والزمان في تجدد مستمر، وحركة دائبة.

وإن آدابنا العربية منذ كانت لم تقف عند حد المأثور، وإنما طرأت عليها تجديدات في أشكالها ومضامينها في كل عصر من العصور الأدبية، ولا سيما في عصور الازدهار والقوة التي تلاقت فيها الأفكار العربية والأجنبية، وحدث بينهما امتزاج معتدل. وبناء على ما سبق يمكن لنا القول: إن الآداب العربية يمكن لها الاستفادةُ الشاملة من آليات العولمة، وإثراؤها من تجارب الأمم الأخرى في العالم بدون الذوبان والانصهار في بوتقة الآداب الأجنبية■

الهوامش:

(١) الأهرام الأدبي، ١٥ يناير ١٩٩٨م.

(٢) مقالة نشرت في الأهرام الأدبي بعنوان: مفهوم العولمة قراءة تاريخية للظاهرة.

(٣) الأدب الإسلامي: قضايا وآراء، للدكتور سامح كريم، طبع في بيروت ٢٠٠٣م.

(4) Understanings child psychology. p.No. 18.

(٥) حوار الحضارات للجارودي، ترجمه إلى العربية عبد المعطي حجازي، ص٥٧.

(٦) عولمتنا على النقيض من عولمتكم، ترجمة محمد سيف، ص٧٥، صدر عن مكتبة الرسالة بالقاهرة، عام ٢٠٠١م.

(٧) مشكاة المصابيح في باب التفاضل، ص٤١٨، صدر عن مكتبة عزيزية، بديوبند، بالهند.

(٨) الأهرام السياسي، ٤ سبتمبر ١٩٩٨م، القاهرة.

(٩) مقدمة ابن خلدون، ص١١٤.

الشرف الرفيع!!

وصلت الأخبار إلى قبيلة «العبايدة» -وقبيلة «العبايدة» لمن لا يعرفها تقطن أرض «العبايدة» في أقاصي الجنوب، ويغلب على سكانها السماحة والطيبة، ويُعرف عن أغلب أبنائها العبادة والزهد والورع، ومنها خرج علماء الدين على مر عقود- وصلت الأخبار، وانتشرت كالنار في الهشيم أن سالم بن سويلم شقيّ قبيلة «الظلايمة»، اعتدى على شرف القبيلة، اختطف «فضيلة» ابنة شيخ قبيلة «العبايدة»، واغتصبها، ثم حبسها في دوّار عمدة «الظلايمة».

وهاج أبناء قبيلة «العبايدة» وماجوا، وارتفع صوت واحد موحّد لم يعد يُسمع غيره:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يُراق على جوانبه الدم..

وشباب «العبايدة» ورجالهم -وكذا نساؤهم- رجال أفعال لا أقوال! فاحتشدوا عن بكرة أبيهم، تسمع لهم دوي هتاف واحد: (لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى...).. وشرف «العبايدة» أغلى عليهم من أرواحهم، خرجوا خروج رجل واحد إلى أبواب أرض «الظلايمة»، - وبعض أبناء «الظلايمة» أهل فجور وظلم وجور، يؤوون بينهم عددا من قطّاع الطرق، ومطاريد الجبل، فانقضوا على أهل «العبايدة» العُزّل -إلا من عصي تمنحهم هيئة المعتدي، ولا تغني في الواقع من شيء- بالسلاح

علاء سعد حميدة - مصر

والبنادق، فأراقوا دماءهم ساعات النهار، من شروق الشمس إلى مغربها، ورجال وشباب ونساء العبايدة يقدّمون شهيد الشرف تلو الشهيد، لا يتزحزحون عن مواطن أقدامهم، كأنها انغرست في طين بوابة أرض «الظلايمة». إنهم أصحاب حق، وأصحاب الحق لا يعطون الدنية من شرفهم (أبدا)!!

وتمادى الفاجرون من أهل «الظلايمة» وحلفائهم من مطاريد الجبل، فلما رأوا القتل لا يثني أهل «العبايدة» عن موقفهم، ولا يخفت شعارهم الهادر: (لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى....).. نزلوا بينهم يأسرون الفتيان، ويزفون على الجرحى منهم، ويعتدون على حرمات بقية نسائهم وفتياتهم، فأثخنوا فيهم، وما انصرف فلول «العبايدة» إلا بعدما استشهد منهم كل قادر، وأُسر منهم كل من كان فيه نفس، وأمر شيخ «العبايدة» الفلول الباقية بالانسحاب، بعدما فجع هو نفسه بعد ابنته «فضيلة» بفقد عدد من أبنائه وأبناء إخوته في معركة الشرف الرفيع.

ولأن معركة «العبايدة» و«الظلايمة» دارت رحاها في عصر السماوات المفتوحة، فلقد هرعت كل قبيلة في تدشين قناة فضائية تشرح قضيتها، وانتهجت فضائية «الظلايمة» نهج المنتصر بالباطل، المنتفش بالضلالة، تذيع رقصا خليعا وطربا وفجورا، وأطلقت العنان لألسنة حداد من سقط متاع القبيلة من كل فاحش، وحمالة حطب.

واكتفت فضائية «العبايدة» بالبكاء على أطلال شرف القبيلة، تذيع الأشعار والأغاني الحزينة المبكية كل يوم، وصبية القبيلة يتسمرون أمام الشاشات ليل نهار، وينمو طلب الثأر في نفوسهم –فيسترجلون– قبل الأوان، وكل من وجد في نفسه قوة، خرج إلى أبواب أرض «الظلايمة» وهتافه واحد (لا يسلم الشرف الرفيع.....)..

حتى كان مساء، استضاف فيه مذيع قناة «العبايدة» مسؤول الإعلام السابق في بيت الشيخ، أجاب المسؤول عن سؤال المذيع النابه: (كان الشيخ يعلم بخطة سالم بن سويلم لخطف ابنته قبلها بأيام)، –الأدهى من ذلك أن كلاما تسرب عن تلك الخطة الشنعاء، رغم تكتم الطرفين الشديد، وجاء نفر من شباب «العبايدة» يُهرعون إلى الشيخ، فهدأهم نوابه قائلين: (اطمئنوا وانعموا؛ «سالم بن سويلم» –دون أهل الظلايمة كلهم– معنا على قلب رجل واحد!!» فانصرف شباب العبايدة راشدين.

و«فضيلة» نفسها كانت تعرف، والحقيقة أن البنت شجعت مغتصبها بأن حدثته بمعسول الكلام، تلاطفه وتداهنه، حتى وصل إلى سمع سالم بن سويلم، أن «فضيلة» قالت دفاعا عنه بعدما سرت إشاعة أنه يخطط لاختطافها واغتصابها: («سالم بن سويلم» رجل مثل الذهب.. ورجال وأبناء «الظلايمة» عبروا بالمنطقة عبورا عظيما نحو بناء أخوة «العبايدة» مع «الظلايمة» أبد الدهر!!).. وأنه لما جاءت عصابة سالم لاختطافها، خرجت معهم طالبة منهم أن يكفوا سلاحهم، فهي تخرج معهم دون مقاومة حرصا على حياة «سالم بن سويلم» وحياة رجاله.. وأن هذا كله كان يدور بعلم شيخ «العبايدة» ومباركته!! بيد أن الرجل لم يكن خنوعا، وإنما كان حكيما يفكر كيف يصارح «العبايدة» دون أن يتسبب ذلك في تهورهم القاتل!!

فلما انتهت حلقة برنامج قناة «العبايدة»، تجمع صبية «العبايدة» عن بكرة أبيهم فحاصروا دار شيخهم وهم يهتفون: (قل لـ«فضيلة» يا عم الشيخ.. من أسلم الشرف الرفيع إلى الأذى؟ ومن أراق على جوانبه الدما!؟).. وما زال لهيب المشاعل يرتفع ليُرى من بعيد ملتفا حول دار الشيخ من كل جانب! ■

أدب الأطفال.. بحوث ودراسات

عرض: التحرير

صدر كتاب جديد بعنوان (أدب الأطفال بحوث ودراسات)، في سلسلة إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، عن دار العبيكان للنشر والتوزيع في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م،

وقد كتب الأستاذ الدكتور عبد الباسط بدر، نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، رئيس مكتب البلاد العربية، مقدمة للكتاب تحدث فيها عن أهمية أدب الطفل، جاء فيها:

لقي أدب الأطفال في عصرنا الحديث اهتماماً واسعاً من جهات عدة، بدءاً من الأسر التي تحرص على زرع بذور الثقافة في أطفالها وإمتاعهم بهذا الأدب، ومروراً بالجهات الرسمية والخاصة التي اعتمدته وسيلة من الوسائل التربوية المؤثرة، ووصولاً إلى دور النشر والمؤسسات الإعلامية التي تبحث عن النصوص المشوقة للأطفال لتحويلها إلى مطبوعات جذابة، وبرامج تلفزيونية وإذاعية بارعة، فضلاً عن شركات الألعاب الإلكترونية، التي تتنافس في إنتاج ألعاب مثيرة تجتذب ملايين الأطفال، وتجعل ألعابها خيارهم الأول، وتجني من وراء ذلك الأموال الطائلة.

وتستعين معظم الجهات المهتمة بالأطفال بالكُتّاب والشعراء والنقاد والخبراء التربويين والنفسيين للوصول إلى المنتج الأفضل.

وبموازاة جهود تلك الجهات، وبتقاطع معها أحياناً، تبرز جهود بعض الباحثين من الأكاديميين وغير الأكاديميين، الذين يذرعون هذا الميدان الأدبي، ويقوّمون النصوص التي قدمها المبدعون،

والمنتجات التي أصدرتها الشركات والمؤسسات ودور النشر المستثمرة في عالم الطفولة. ويمضي بعضهم شوطاً أبعد فينظّرون لهذا الجنس الأدبي والفني الذي أنضجه العصر الحديث، ويستنبطون من المنتج المعروض، ومن تصوراتهم وتطلعاتهم، ما يرون أنه الأقوم والأكثر فائدة للطفل ولمجتمعه حاضراً ومستقبلاً.

ومثلما استقبل العالم الإسلامي مستجدات العصر الحديث الكثيرة، استقبل أدب الأطفال الغربي في القرن الماضي، ونهض العديدون لترجمة

مختارات منه، وأخذ بعض الأدباء في محاكاته، ثم قفز بعضهم خطوات واسعة إلى الأمام، كأحمد شوقي وكامل الكيلاني، ومحمد سعيد العريان، وعبد التواب يوسف، وأحمد عبد السلام البقالي، ومريم الصقر، وغيرهم كثير؛ فالتفتوا إلى تراثنا في مختلف جوانبه الدينية والأدبية والشعبية، واستلهموا منها مادة لقصص وأشعار أبدعوها لأطفال الأمة، وظهرت في دواوينهم، وفي دواوين مستقلة أحياناً، قصص ومسرحيات وأشعار وأناشيد تحمل جوانب من أخبار الأنبياء والصالحين، والأمم المؤمنة والأمم الكافرة، والأبطال، وما تخيلوه من أحداث أخرى على ألسنة الحيوانات، وكان كثير منها وسائل تعزز القيم الدينية والخلقية والوطنية والعائلية في نفوس الأطفال.

وفي الوقت نفسه ظهرت أعمال غير مرضية مضموناً وشكلاً، تذهب في اتجاه معاكس، وتستمد مادتها من ثقافات تتعارض مع ثوابتنا وقيمنا وشخصيتنا الحضارية، وأخذت تتزايد حتى أصبحت كالسيل الهادر في برامج تلفزيونية، وقنوات متخصصة بالأطفال، وألعاب إلكترونية تملأ الأسواق، وتقفز من فوق الأسواق عبر شبكة الإنترنت ومتاجرها الهائلة.

وطبيعي والحال هذه أن تصدر عن الغيورين على ناشئتنا ومستقبل مجتمعاتنا التنبيهات والتحذيرات من أخطارها.

وعندما تأسست رابطة الأدب الإسلامي العالمية وضعت أدب الأطفال واحداً من اهتماماتها الرئيسية، فأطفال اليوم هم رجال الغد، ورجال الأمة وبناة حضارتها، بقدر ما نحسن تنشئتهم نجني منهم الثمار اليانعة، والعكس بالعكس؛ بقدر ما نقصِّر في تنشئتهم نجني منهم الشواك والجراح.

وقد وضعت الرابطة في برامج عملها الإسهام في تنشيط الإبداع الأدبي المناسب لأطفال الأمة، ومساعدة مبدعيه، ونشرت لعدد منهم قصصاً ومسرحياتٍ ودواوين تحمل رسائل نبيلة للأطفال، وتعزز القيم الإيمانية والوطنية الصحيحة فيهم.

د. عبدالباسط بدر

واستحثت الدارسين لكتابة بحوث تقويمية وتنظيرية للمنتجات الموجودة، ولما نأمل أن يبدعه الأدباء حاضراً ومستقبلاً، وعقدت لذلك الندوات والملتقيات الأدبية والنقدية، وافردت في مجلاتها حيِّزاً واسعاً لهذا الأمر.

وهذا الكتاب الذي تنشره الرابطة ضمن إصداراتها عن أدب الأطفال خطوة في ميدان التقويم والتنظير؛ تقويم نماذج من المنتج الأدبي الموجود، وتنظير القواعد والمقاييس للإبداع الذي تريده لأطفال الأمة. وقد تضمن تسعة عشر بحثا، في سبعة محاور، وهي في الأصل بحوث قدمت ونوقشت في ندوة موسعة عقدتها الرابطة، واستكتبت لها الباحثين.

نسأل الله سبحانه، أن تكون هذه الخطوة بداية مسيرة حافلة بالعطاء، تواكب الأعمال الإبداعية المتوالية، وتسهم في إثراء أدب الأطفال في مجتمعاتنا، بما يمتع ناشئتنا، ويعزز القيم الفاضلة فيهم. والله ولي التوفيق.

* * *

وضم الكتاب بحوث ودراسات ندوة «منهج الأدب الإسلامي في أدب الأطفال» التي أقامتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية، بمكتبها الإقليمي بالرياض، في المدة من (١ – ٣ صفر ١٤٢٧هـ)، الموافق(١ – ٣ آذار/ مارس ٢٠٠٦م)، موزعة على المحاور الآتية:

◁◁ أدب الأطفال والمراحل العمرية:

- ملامح المنظومة الشعرية والأناشيد في أدب الأطفال الإسلامي ومعاييرها في مرحلة الطفولة المتأخرة: الدكتور محمد الشيخ محمود صيام.
- الأدب الإسلامي وتوافقه النفسي والعقلي واللغوي مع المراحل العمرية المختلفة للطفل القصص القرآني ومرحلة الطفولة: د. نعمة عبدالكريم أحمد.

◁◁ الخيال في أدب الأطفال:

- الخيال في أدب الأطفال حدوده، تنميته، وظيفته: د.هادي نعمان الهيتي.
- قوانين التخييل الشعري بين الخاص والعام في أدب الطفل المسلم: د.محمد الحافظ الرُّوسي.
- الخيال في أدب الأطفال.. الصورة المجازية: د. سعد أبو الرضا.
- الخيال العلمي أهميته وتنميته ووظائفه وتأسيسه لثقافة طفلٍ عربيٍّ مسلمٍ واعد: د.عبد الرؤوف أبو السعد.

◁◁ أدب الأطفال ووسائل النشر والإعلام:

- التقنيات الرقميَّة وتحقيقها لغايات أدب الأطفال الإسلامي دراسة وتقويم لعدد من النماذج: أحمد فضل شبلول.
- صحافة الطفل المسلم مجلة «فراس» نموذجاً: محمد جمال عمرو.
- واقع أدب الأطفال المعاصر التلفاز وأدب دراما الطفل: المضمون والأثر: الدكتور أحمد حسن محمد.
- الإذاعة المرئية وأثرها في الطفل ولغته: د.نور الهدى لوشن.
- التراكيب في قصص الأطفال دراسة نماذج من قصص الأطفال في مجلاتهم (أحمد، أسامة، سمير، الشبل، ماجد) نموذجاً: أحمد محمد علي صوّان.

◁◁ أدب الأطفال في الهيئات والمؤسسات المتخصصة:

- جهود جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مجال ثقافة الطفل وأدبه سلسلة قصص إسلامية أنموذجاً (١٤٠٣-١٤٢١هـ): د.محمد بن عبدالرحمن الربيّع.
- جهود رابطة الأدب الإسلامي العالمية في أدب الأطفال: شمس الدين درمش.
- تجربة شركة (سنا) في ميدان أدب الطفل: سليم زنجير.

◁◁ أدب الأطفال والتوجيه العقدي والتربوي:

- أثر أدب الأطفال الإسلامي في تربيتهم العقدية الصحيحة = د.عدنان علي رضا محمد النحوي.
- علاقة أدب الأطفال الإسلامي بالتربية: د.محمود شاكر سعيد.

◁◁ أدب الأطفال لدى كتاب القصة:

- القصص الديني عند كامل كيلاني دراسة فنية تربوية: د.يحيى محمد نبوي خاطر.
- قصص السيرة النبوية عند عبد التواب يوسف بين النظرية والتطبيق: د.صباح عبدالكريم عيسوي.

◁◁ أدب الأطفال لدى الشعراء:

- جماليات النص الشعري للأطفال عند علال الفاسي= محمد الأمين.
- قصيدة الطفل في الشعر الإسلامي بالمغرب محمد علي الربّاوي نموذجاً: د.بنعيسى بويوزان■

بُلبلان

راعني البلبلان الشاديان، عبد الكريم المشهداني وحسن الأمراني، بياناً علياً وخلقاً رضياً ووفاء نادر المثال. أما المشهداني فهو حلبي استوطن وَجْدَة، فأكرمتْه، وهو وهي جديران بالكرم عطاءً وقبولاً، وأما الأمراني فهو من مفاخر أبنائها المتألقين، علماً وشعراً وفضلاً، لذلك كان له فيها أمران اثنان ولغيره أمر واحد.

شاقني – حين غردا – بلبلان ... وهما بالخوالد الصادحان
مشرقيٌّ ومغربيٌّ تلاقى ... فيهما الدين ثم سِحرُ البيان
ثم أعلاهما الودادُ المصفى ... وسجايا الإيثارِ والإحسان

* * *

راعني إذ رأيته الأمراني ... ثم كالرأد راعني المشهداني
من مزايا عليهما طاهرات ... وخصال مثل الربيع حسان
حسنُ خَلْقٍ يزينُه حسنُ خُلْقٍ ... وهما السعد حين يجتمعان
وسريّ البيان صاغاه عذباً ... فهو رِيٌّ للظامئ الحران
يعرُبيٌّ نسيجُهُ بُحتُريٌّ ... حلبي ومغربي دعاني
أن أصخْ لي فكان ذَوبَ شهاد ... من يد بَرّةٍ وقلبٍ حاني
كلما طاب لي حبَتْني بودٍّ ... من جدَاهُ عينان نضاختان
وعليه فُحولة المتنبي ... ونبوغ الرضيِّ والذُّبياني
وعليه من المجادة تاجٌ ... ومن الهدي خالصاً تاجان

* * *

يا وقى اللهُ وجدة أسكنتهم ... مقلتيها وفي الضلوع الحواني
ليتني ألتقيهما في رُباها ... شائقاً يحتفي به شائقان

* * *

أيها البلبلان جئت حفيّاً ... أخطب الودَّ منكما فاقبلاني
واسقياني منه دهاقاً تكن لي ... خيرَ زادٍ في المغربِ المزيان

* * *

د. حيدر الغدير - السعودية

فاطمة الزهراء رضي الله عنها

(نزل الوحي على الرسول ﷺ وفاطمة رضي الله عنها في الخامسة من عمرها)

(محمد ﷺ - خديجة بنت خويلد - فاطمة الزهراء - علي بن أبي طالب)

(محمد ﷺ يصلي بخديجة وفاطمة رضي الله عنهما - قبل الانتهاء من الصلاة يدخل علي بن أبي طالب، ويفاجأ بالمشهد وبما يسمع من آيات القرآن. يظل واقفاً مشدوهاً حتى يسلم الرسول ﷺ. فاطمة تتطلع إلى علي وهو في هذه الحالة)

علي: ما هذا؟

محمد ﷺ: نصلي، هذه صلاة.

علي: لمن؟

محمد ﷺ: لله عز وجل.

علي: الله عز وجل؟

محمد ﷺ: نعم، الله عز وجل الذي بعثني رسولاً، أدعو الناس إلى الإسلام.

علي: الإسلام؟ هل هو دين جديد؟

محمد ﷺ: نعم.

علي: ودين الآباء وآلهتهم؟

محمد ﷺ: هذه أصنام لا تنفع ولا تضر.

علي: والإسلام ليس فيه أصنام؟

محمد ﷺ: كلا. بل هو إله واحد، خالق كل شيء.

علي: إله واحد؟

فاطمة: نعم يا علي، هو الذي بعث أبي ليدعو إلى عبادة الله وحده.

محمد ﷺ: بوركت يا فاطمة!

فاطمة: يا أبي، هل يمكن لعلي أن يكون مسلماً مثلنا ويصلي معنا؟

محمد ﷺ: يمكن، إذا أراد.

فاطمة: ألا تريد يا علي أن تكون مسلماً مثلنا؟

علي: بلى، ولكن أمهلوني حتى أشاور أبي.

فاطمة: تشاور أباك في أمر يدعو إليه أبي الصادق الأمين؟

محمد ﷺ: دعيه يا فاطمة، حتى يشاور أباه!

***

(محمد ﷺ - خديجة وفاطمة رضي الله عنهما)

(كتب على فاطمة أن تعيش فجر الدعوة يوماً بيوم، وتشاطر أباها في صد قريش واعتداءاتهم، مما أثر في

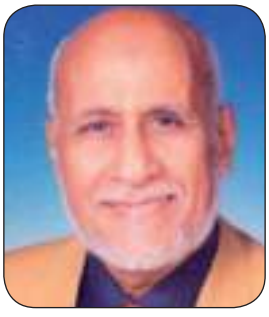

د. حمادة إبراهيم - مصر

صحة الطفلة وأصابها المرض الذي لا يكاد يفارقها.
وكم مرةٍ شهدت أباها يعود إلى البيت حزيناً)
فاطمة: ما بال أبي يا أماه!
خديجة: أبوك بخير، يا فاطمة!
فاطمة: يدخل حجرته ويمكث وحده.
خديجة: تعرفين يا فاطمة أن قريشاً لا تصدق أن أباك نبي مرسل من عند الله.
فاطمة: لذلك لا يريدون أن يكونوا مسلمين مثلنا.
خديجة: يا ليتهم يكتفون بذلك يا فاطمة!
فاطمة: ماذا أيضاً يا أماه؟
خديجة: إنهم يعادون أباك، ويسيئون معاملته، ويؤذونه أحياناً.
فاطمة: يؤذونه لأنه يدعوهم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة؟
خديجة: هؤلاء قوم قساة القلوب. يعيشون في ظلمات الجهل والضلال.
فاطمة: أنا أحب أبي يا أماه! وأنت تحبينه. وكذلك علي وزيد.
خديجة: كلنا نحب أباك يا فاطمة. لقد أخرجنا من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان.
فاطمة: ما أعظم أبي! أرجو من الله أن يحفظه من كل سوء!
خديجة: ادخلي إليه يا فاطمة، فهو يرتاح إليك، ومعك ينسى آلامه ومعاناته.

- إظلام -

(محمد ﷺ - خديجة وفاطمة رضي الله عنهما - بعض كبراء قريش)
(حينما أمر الله رسوله ﷺ بإنذار عشيرته الأقربين، دعاهم الرسول ﷺ إلى طعام في بيته ليعرض عليهم الإسلام)
خديجة: آه يا فاطمة، لو رأيت عبد العزى بن عبد المطلب وسخريته.
فاطمة: يسخر من أبي؟
خديجة: لم يرع صلة الدم، ولا صلة النسب.
فاطمة: ألم يستمعوا لأبي؟
خديجة: هؤلاء قوم قلوبهم عليها أقفال.
فاطمة: لماذا لا يتركهم أبي في ضلالهم؟
خديجة: لا يستطيع يا بنيتي. الله تعالى أمر أباك بدعوة عشيرته إلى الإسلام: (وأنذر عشيرتك الأقربين.
(أصوات القوم في الحجرة المجاورة تنبئ

بأنهم فرغوا من الطعام)
فاطمة: لقد فرغوا من الطعام.
خديجة: وهاهي ذي ضحكات السخرية والاستهزاء.
فاطمة: وهم يعرفون أنه الصادق الأمين.
(أصوات القوم ينهضون ويغادرون، وسط ضحكات السخرية والاستهزاء)
محمد ﷺ: (يعود إلى أهله في الحجرة المجاورة)
خديجة: هوّن عليك يا رسول الله.
محمد ﷺ: لقد جئتهم بالهداية بعد الضلال.

فاطمة: سيصدقونك يا أبي، فهم يعرفون أنك الصادق الأمين.

محمد ﷺ: من يصدقني؟ من يؤازرني؟

خديجة: هذه مشيئة الله يا محمد. أنت تبلّغ وعلى الله الهداية.

- إظلام -

(أثار نجاح الكثيرين من المسلمين في الهجرة إلى يثرب غيظ قريش وغضبها. فزاد القرشيون من تضييقهم على المسلمين، فقام الرسول ﷺ ببث

العيون في مكة وحولها ينقلون له الأخبار أولاً بأول. وكانت فاطمة رضي الله عنها تتلقى الأخبار منهم، وتنقلها إلى الرسول ﷺ في بيته)

(محمد ﷺ - فاطمة الزهراء)

محمد ﷺ: هات ما عندك من أخبار يا فاطمة!

فاطمة: والله يا أبي إن أخبار اليوم لا تسر!

محمد ﷺ: لا بأس يا بنيتي، لابد من معرفتها.

فاطمة: عياش بن ربيعة المخزومي، وهشام بن العاص، فتنهما القرشيون.

محمد ﷺ: كيف حدث ذلك يا فاطمة!

فاطمة: اتفقا مع عمر بن الخطاب على الهجرة معاً إلى يثرب.

محمد ﷺ: لقد طلبتُ من عمر أن يدبر أمر ذلك معهما.

فاطمة: واتفقوا فعلاً على الالتقاء فوق سرف.

محمد ﷺ: إذاً، أخذ عمر باقتراحي.

فاطمة: وحددوا موعد الالتقاء بعد صلاة الفجر.

محمد ﷺ: حيث تكون مكة تغط في النوم.

فاطمة: واتفقوا على أنه إذا تخلف أحدهم، فهذا معناه أن حابساً حبسه. وفي هذه الحالة على الآخرين السفر إلى يثرب دون انتظاره.

محمد ﷺ: هذا عين الصواب.

فاطمة: وفي الموعد المحدد والمكان المحدد، التقى عمر بن الخطاب وعياش بن ربيعة – فعرفا أن قريشاً تعرضت لهشام وفتنوه.

- إظلام -

محمد ﷺ: ومن الذي فتن هشام بن ربيعة؟

فاطمة: أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام.

محمد ﷺ: ابنا عمه.

فاطمة: نعم. قالا له: إن أمك أقسمت ألا تضع في رأسها مشطاً، ولا تحتمي من حر الشمس حتى تراك.

محمد ﷺ: فصدقهما؟

فاطمة: نعم! وثق في كلامهما، فهما من أبناء عمومته.

محمد ﷺ: خدعاه إذاً.

فاطمة: هذا ما قاله له عمر بن الخطاب. قال له: لقد خدعك أبو جهل والحارث.

لأن أمك لا يمكن أن تترك القمل يؤذيها ولا تمتشط، ولا أن تترك الشمس تحرقها فلا تستظل.

محمد ﷺ: صدق عمر.

فاطمة: قال له هشام: «لابد أن أعود حتى أبر بقسم أمي. كما أن لي هناك مالاً فآخذه». فعرض عليه عمر نصف ماله، فأبى هشام إلا أن يعود إلى أمه.

محمد ﷺ: هذه خدعة!

فاطمة: كان عمر متأكداً أن هشام ضحية خدعة حاكها ابنا عمه، وأنهما يريدان به شراً، لذلك فقد عرض على هشام ناقته يركبها حتى إذا حاول ابنا عمه خداعه فر على الناقة.

محمد ﷺ: والله نعم الأخ عمر! ونعم الصديق!

فاطمة: وفي الطريق زعم أبو جهل أن ناقته أتعبته، وطلب من هشام أن يركب معه على بعيره، فوافق هشام، وأناخ كل منهما ناقته.

محمد ﷺ: آه! وبدأت الخدعة.

فاطمة: فعلاً ما إن نزل هشام من فوق ناقته، حتى قبض عليه أبو جهل الحارث وقيداه. وقاداه إلى مكة في رابعة النهار، والقرشيون يتفرجون ويسخرون من هشام. وأبو جهل يصيح فيهم قائلاً: افعلوا كذلك بسفهائكم الذين يتبعون محمداً ويتركون دين آبائكم!

- إظلام -

(أجمع زعماء قريش على التخلص من محمد ﷺ بأن يأخذوا من كل قبيلة شاباً يحمل سيفه، فيضربون محمداً ﷺ ضربة رجل واحد، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلها. وأُوحي إلى محمد ﷺ بأن ينام في فراشه علي بن أبي طالب، بينما يمضي هو إلى يثرب بصحبة أبي بكر. وبدأ دور فاطمة في خداع القوم الذين يحومون حول الدار)

(فاطمة الزهراء – أم كلثوم)

فاطمة: (تخاطب أم كلثوم بصوت لا يسمعه من بالخارج) هيا يا أم كلثوم نفعل ما نفعله كل ليلة، كأننا لا نعلم شيئاً مما يحيكه القوم.

أم كلثوم: (وهي تهمس لأختها) أشعر كأن العيون ترصد حركاتنا.

فاطمة: (محاولة أن تتغلب على الخوف) لا تستسلمي للخوف يا أم كلثوم، سأرتب حاجات أبي التي قد يأخذها معه.

أم كلثوم: ألن يعود أبي إلى الدار مرة أخرى؟

فاطمة: (وهي تحاول أن تتماسك أمام أختها) بل سيعود مظفراً إن شاء الله.

أم كلثوم: بعد أن أباحوا دمه؟

فاطمة: الله حافظ رسوله! (ثم، وهي تحاول أن يصل صوتها إلى من يحومون حول الدار) هيا بنا نعد الطعام لأبي قبل أن ينام!

أم كلثوم: (وترفع صوتها) لقد تعب أبي اليوم، وسيخلد إلى النوم ليرتاح.

فاطمة: (وهي ترفع صوتها) هيا نعد الطعام. إن أبي ينتظرنا في حجرته.

أم كلثوم: (لكي تُسمع من بالخارج) ما أطيب رائحة الطعام!

فاطمة: لقد بدأت أشعر بالجوع. أعتقد أن الطعام قد نضج.

أم كلثوم: هيا نقدم الطعام لوالدي ومن معه.

فاطمة: أرجو أن يعجبهم طعامنا. هيا ساعديني يا أم كلثوم.

(يأتي صوت يهمس من الخارج)

صوت ١: بعد أن يأكلوا، سينصرفون، ويتركون محمداً وحده.

صوت ٢: فيأوي إلى فراشه، لنتمكن من القضاء عليه.

فاطمة: (همساً) قاتلكم الله! اللهم احفظ رسولك!

(يدخل علي بن أبي طالب حجرة الرسول ﷺ، وهو في بردته الخضراء، ويأوي إلى فراش الرسول

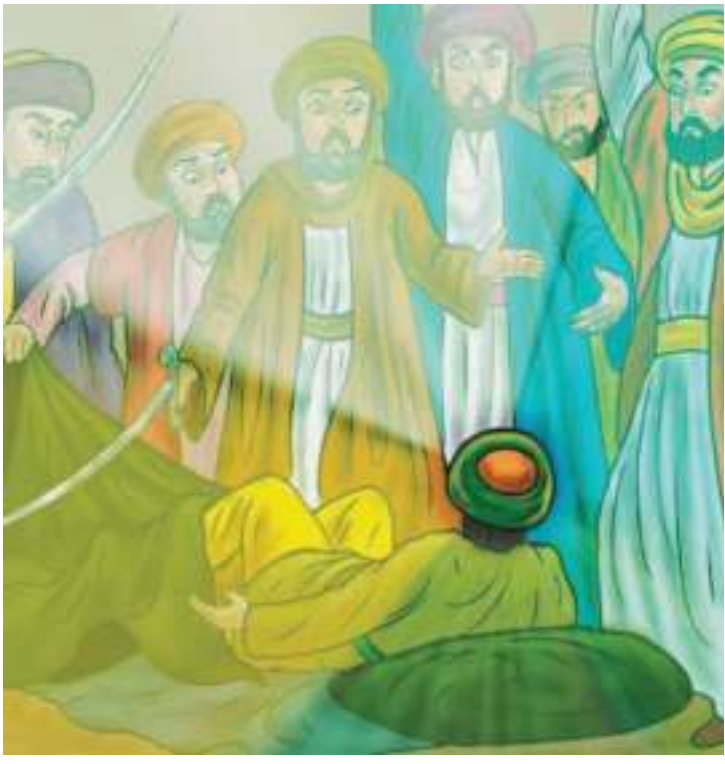

ﷺ وهو يخفي ملامحه)

صوت من الخارج: هاهو محمد في بردته الخضراء يأوي إلى فراشه.

صوت ٢: فلننتظر قليلاً حتى يخلد إلى النوم.

فاطمة: (رافعة صوتها) فلنطفئ المصباح، ونترك أبانا لينام من دون إزعاج.

صوت ١: (هامساً) ألمح شخصا يخرج من الدار.

صوت ٢: (هامساً) التعب يخيل لك. فمن إذاً هذا النائم في بردته الخضراء؟

صوت ١: (هامساً) هيا فلنستعد لنضرب ضربتنا.

(يهمون باقتحام الدار. لكنهم يفاجؤون بالنائم ينهض نازعاً عنه البردة، فإذا هم أمام علي بن أبي طالب)

أصواتهما مختلطة: لقد خدعنا! إذاً محمد هو الذي خرج قبل قليل هيا نلحق به!

فاطمة: الله يحفظ رسوله!

أم كلثوم: اللهم احفظ رسولك!

(يدخل زيد بن حارثة)

زيد: أبشرا! لقد مضى رسول الله ﷺ بصحبة أبي بكر إلى يثرب.

فاطمة: الحمد لله الذي حفظ رسوله!

أم كلثوم: الحمد لله!

زيد: والآن، تنفيذاً لأمر الرسول ﷺ، استعدا للرحيل، فسآتيكما غداً مع عمكما العباس ليصحبكما إلى يثرب!

- إظلام -

(فاطمة الزهراء – أم كلثوم – العباس بن عبد المطلب)

(في بيت النبوة، يطرق الباب – فاطمة تفتح – يدخل العباس)

العباس: السلام عليكما يا بنتي رسول الله ﷺ!

فاطمة: وعليك السلام يا عم!

العباس: أراك متعبة يا فاطمة!

أم كلثوم: فاطمة لم تنم يا عم. باتت قلقة على أبيها!

العباس: أبوك بخير يا فاطمة. لقد وصلتنا الأخبار.

فاطمة: (يبدو عليها الإعياء الشديد) الحمد لله على سلامة أبي!

أم كلثوم: ألا نستطيع أن نؤجل السفر يا عم حتى تتعافى فاطمة!

فاطمة: أنا بخير يا أختاه. إن قرب لقاء أبي أزال عني كل تعب.

أم كلثوم: أنت مريضة يا فاطمة!

فاطمة: يجب أن ننفذ أمر أبي. إن تأخرنا عن اللحاق به سيثير قلقه.

أم كلثوم: ولكنك شاحبة يا فاطمة.

فاطمة: لن يلبث أن يزول هذا الشحوب، حينما أشعر أنني في الطريق إلى أبينا.

العباس: سأسبقكما حتى لا نثير شكوك القوم. وسأنتظركما حيث اتفقنا.

(يخرج العباس)

- إظلام -

(فاطمة الزهراء – أم كلثوم – العباس)

العباس: (ينيخ الناقة) هيا اركبا أنتما. أما أنا فسأمسك بمقود الناقة!

فاطمة: (وهي تصعد وأختها فوق الناقة) بسم الله! وعلى بركة الله!

العباس: يجب أن تخفيا ملامحكما، سأتخذ طريقاً أكثر أمناً، وحاولا أن تلزما الصمت.

(الركب يتقدم في طرقات مكة – فجأة تجفل الناقة وتتوقف، فيتلفت الجميع بحثاً عن السبب – يلمحون، أشباحاً تتحرك نحوهم)

العباس: (رافعاً صوته) أنا العباس بن عبد المطلب. معي أهلي. هل يوجد من يعترضني؟

(الأشباح تستدير راجعة من حيث أتت)

فاطمة: لقد مضوا إلى حال سبيلهم.

أم كلثوم: حمداً لله!

العباس: لا ترفعا الصوت، واجعلا الخمار دائماً على وجهيكما.

(يتقدم الركب في حركة رتيبة – مع التعب والسكون والظلام، يغلب النوم الفتاتين، لا يفيقان إلا على حركة مفاجئة من الناقة)

العباس: (يحكم قبضته على مقود الناقة) هذه الناقة لا تفزع هكذا إلا لسبب. هل تريان أحداً خلفنا.

فاطمة: لا أحد يا عم!

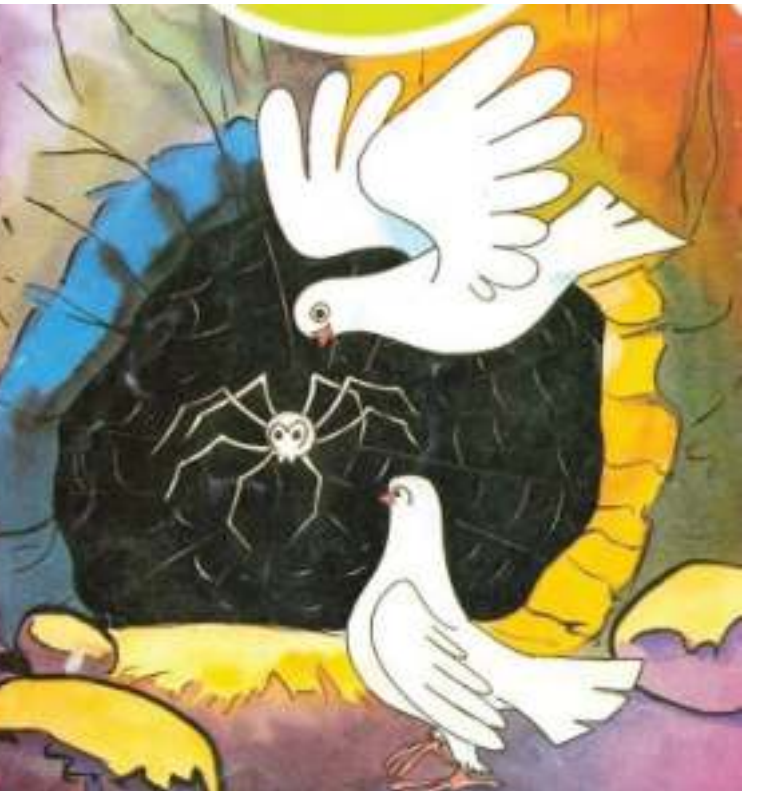

أم كلثوم: هل بقي أمامنا طريق طويل يا عم!

العباس: قطعنا معظم الطريق، لم يبق إلا القليل.

فاطمة: كل شيء يهون يا عم، مادمنا في النهاية سنلقى أبانا!

(وفي يثرب، كان المسلمون في استقبال الركب، وفي مقدمة المستقبلين علي بن أبي طالب الذي تقدم

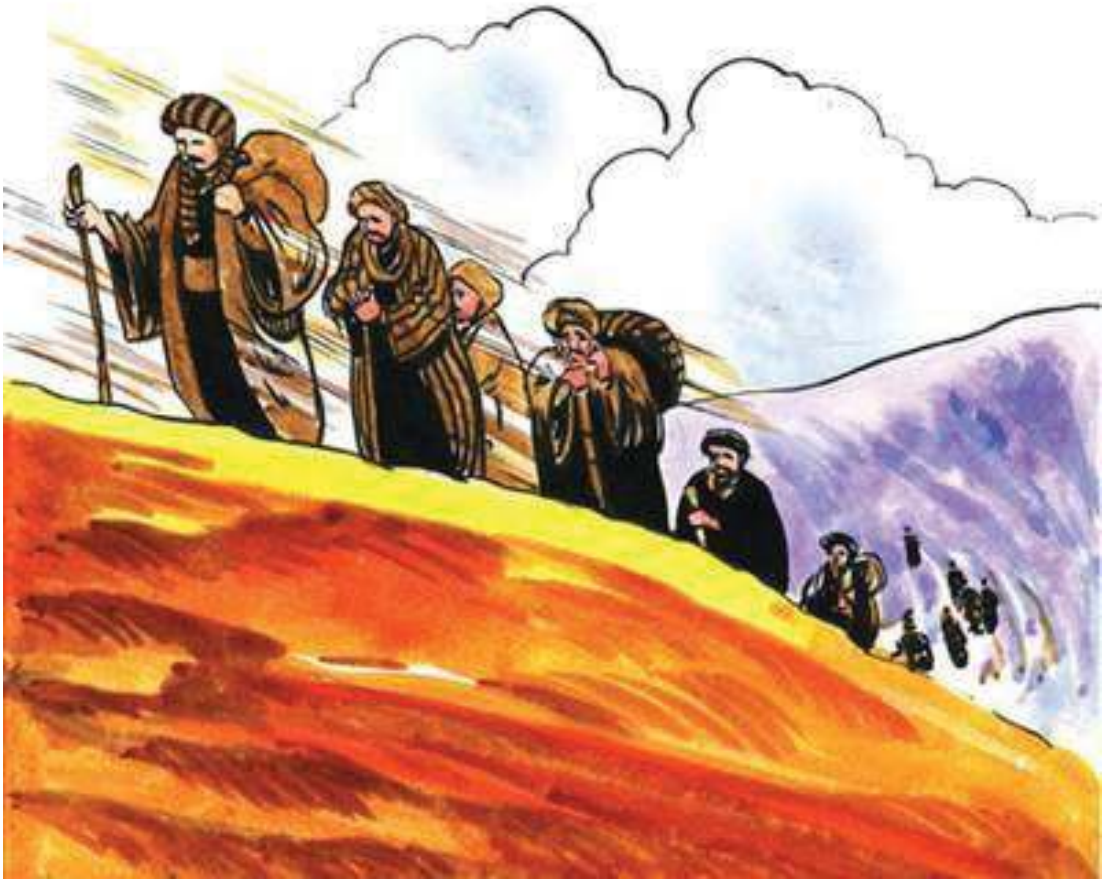

إلى الناقة فأناخها. وابتهجت فاطمة لرؤية علي بن أبي طالب الذي مد يده لمساعدتها، فاعتمدت عليه)

- إظـلام -

(أحمد – محمود)

أحمد: كانت الفرحة بالانتصار في بدر فرحة عامة للمسلمين. وأراد الرسول ﷺ أن تعقب هذه الفرحة فرحة خاصة بأهل بيته. فكان زواج علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء.

محمود: كان الرسول ﷺ قد استأذن خديجة رضي الله عنها في أن يكفل ابن عمه علي بن أبي طالب ليخفف عن عمه عبء المعيشة، فقد كان له أولاد كثيرون.

احمد: يعني كان علي يعيش مع فاطمة في بيت واحد هو بيت النبوة.

محمود: وكبر علي وفاطمة معاً كأخوين.

أحمد: وكانت فاطمة تقدر لعلي أنه كان أول فتى يدخل الإسلام. فتوطدت علاقته أكثر ببيت النبوة.

محمود: كما عظّمت فاطمة الدور الكبير الذي قام به عليٌ حينما خاطر بنفسه ورقد في فراش رسول الله ﷺ ليخدع قريشاً.

أحمد: كما أن فاطمة تذكر لعلي، بكل اعتزاز، دوره في غزوة أحد، حينما أصيب الرسول ﷺ وتدفق الدم من وجهه الشريف. فكانت فاطمة تغسل الدم وعلي يسكب الماء.

محمود: كانت فاطمة دائماً ترتاح لعلي بن أبي طالب، وتستعين به في كل كبيرة وصغيرة، وكانت تُسَرّ حينما تراه يهتم بها، وبخاصة في أيام

مرضها، وكانت تفضل أن تستند إلى ذراعه في حالات ضعفها.

أحمد: إذاً، كان زواج علي من فاطمة شيئاً طبيعياً، بل حدثاً مهدت له كل الظروف.

محمود: ومن العجيب أن خير النساء وابنة خير الرجال تكتفي ببيت متواضع. فكان السرير عبارة عن حصير فوق الأرض، وقطيفة تتغطى بها عند النوم.

أحمد: وكانت رضي الله عنها تقوم بأعمال البيت وحدها، حتى إن يديها تشققتا من أثر الطحن بالرحى. وشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ وسألته أن يخصص لها خادماً من الأسرى يعينها على أعمال البيت.

محمود: أجل، لكن الرسول أبى، ونصحها بالتسبيح والحمد والتكبير ثلاثاً وثلاثين مرة. فلما فعلت، لمست أثر ذلك في التخفيف من تعب البيت.

أحمد: المهم أنه لم يمض على الزواج عام، حتى وضعت فاطمة أول حفيد للرسول ﷺ، الحسن بن علي.

محمود: وفرح به النبي ﷺ فرحاً كبيراً، وحنكه بنفسه. وهو الذي سماه الحسن.

أحمد: وقام ﷺ بحلق الشعر عن رأس الحسن. وتصدق على الفقراء بزنته فضة.

محمود: وفي العام التالي، ولدت فاطمة الحسين رضي الله عنه. ثم وضعت زينب ثم أم كلثوم.

أحمد: كان ﷺ يحب فاطمة حباً شديداً، حتى إنه كان يسميها أم أبيها.

محمود: ومن إعزازه، لها كان إذا قدم من سفر قصد المسجد فصلى ركعتين، ثم بدأ بزيارة فاطمة قبل أن يأتي أزواجه.

أحمد: تقول عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت أحداً أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة. وكانت إذا دخلت عليه قام لها وقبّلها، ورحب بها، وكذلك كانت هي تصنع به».

محمود: ومن الصفحات المشرقة في حياة فاطمة الزهراء جهادها في غزوتي الخندق وخيبر. كما شهدت فتح مكة.

أحمد: ولا ننسى لفاطمة الزهراء موقفها الشجاع، حينما لجأ إليها أبو سفيان قبل أن يسلم – وكان الرسول ﷺ قد أهدر دمه – فطلب من فاطمة أن تجيره، فرفضت.

- إظلام -

(محمد ﷺ – عائشة وفاطمة رضي الله عنهما)

(حينما اشتد الوجع على رسول الله ﷺ، لزمت فاطمة أباها تسهر على تمريضه وخدمته. فلما استشعرت وطأة المرض على أبيها وشدة معاناته ﷺ، وما كان يتغشاه من نوبات الإغماء، خنقتها العبرة وقالت):

فاطمة: وا كرب أبتاه!

محمد ﷺ: ليس على أبيك كرب بعد اليوم!

(يُسر إليها أمراً، فتبكي بكاءً حاراً. فلما رأى بكاءها، أسرّ إليها شيئاً آخر فضحكت فاطمة)

عائشة: (تخاطب فاطمة بعيداً عن الرسول ﷺ) يا فاطمة، خصك رسول الله ﷺ، من بين سائر نسائه بالسرائر، ثم أنت تبكين؟ ماذا قال لك ﷺ.

فاطمة: ما كنت لأفشي سراً لرسول الله ﷺ.

(لما فاضت روحه ﷺ أجهشت فاطمة بالبكاء وقالت):

فاطمة: يا أبتاه، أجاب رباً دعاه.

- النهاية -

كلمات إلى قابيل

أحمد عبدالحفيظ شحاتة – مصر

قابيل قد أسرفت يا قابيل ... أرأيت شمس الحب وهي تميل

كادت لفعلتك الجبانة تمَّحِي ... وتكاد من فرط الشقاء تزول

أرأيت وجه أخيك وهو مجندل ... فوق الثرى وبه الدماء تسيل؟

أسمعته متأوها أناته ... شقي الزمان بها وأنت ضليل

لم يرض إلا أن تبوء بإثمه ... حين ارتضيت به وأنت جهول

هل تستطيع بأن ترد حشاشة ... سلبت يداك وهل يعود قتيل؟!

لم تدر ما صنعت يداك ومنهما ... حزن البرية بالزمان يطول

لما سننت القتل في جنباتها ... وجرى بها البهتان والتقتيل

قم وانظر الآن العراق وما بها ... والقتل يجري في المدى ويجول

فيما القتال وللأخوة بينهم ... حبل وثيق محكم مفتول

من ذا يعيد إلى الخليقة رشدها ... يبكي الفرات وفي يديه كبول

قابيل يا قابيل يا قابيل ... الأرض أغرقها الدم المطلول!!

كل الدماء عليك من أوزارها ... قسط يحوطك دائم مجدول

الأفق ما عاد البراح لطائر ... يشدو، تملكه أسى وذهول

والبحر في أمواجه عطب وفي ... أعماقه غضب ولات سبيل

من يوقف المهراق من دم أمتي ... من ذا تراه عن الهلاك يحول؟!

أقصى إذا حدثت عن شرف المنى ... ضاقت عن الشرف العظيم عقول

آه على حلبِ الكرامة والندى ... ما ثم سيفٌ للحماة صقيل

فاترك بغاث الطير في أحدوثة ... شطحت على أرض السلام الغول!!

رَحَلْتُ مَعَ رَحِيلِ أُمِّي

عاطف عكاشة السيد- الإمارات

أُمِّي رَحِيلُك كَيْفَ يُحْتَمَلُ؟ ... وَجِرَاحُ فَقْدِك كَيْفَ تَنْدَمِلُ؟
قَاني دُمُوعِي بَوْحُ أَوْرِدَة ... فِي جَوفِهَا الأَحْزَانُ تَشْتَعِلُ
مِلْيُونُ عَيْنٍ لَوْ بَكَيْتُ بِهَا ... مَا جَفَّ دَمْعُ جَوَارِحِي الهَطِلُ
آهٍ مِنَ الأَكْفَانِ كَمْ طُفِئَتْ ... فِيهَا مَشَاعِرُ مَا لَهَا بَدَلُ
وَارَيْتِ يا أَكْفَانُ عَاطِفَةً ... فِيهَا التَّفَانِي لَيْسَ يُبْتَذَلُ
مَنْ لِي بِقَلْبٍ فِي ابْتِسَامَتِهِ ... وَهَجُ المَشَاعِرِ لَيْسَ يُفْتَعَلُ
وَبِهِ مَنَابِعُ فِي اسْتِدَامَتِهَا ... سَقْيَ المَوَدَّةِ مَا لَهَا مَثَلُ
وَبِهِ حَنَانٌ لَيْسَ يُشْبِعُنِي ... مِنْ بَحْرِهِ عَلٌّ وَلا نَهَلُ
مَنْ لِي بِأَحْضَانٍ تُدَفِّئُنِي ... فِيهَا اسْتَحَالَ الغِشُّ وَالدَّجَلُ
لِلَّهِ قَلْبٌ كَانَ يَمْلِكُنِي ... وَلَهُ التَّذَلُّلُ مَا بِهِ زَلَلُ
شَمْسُ المُنَى بِرَحِيلِك انْطَفَأَتْ ... وَرَمَادُهَا ضَاقَتْ بِهِ السُّبُلُ
أَحْلامُنَا كَانَتْ مُنَاصَفَةً ... هَلْ دُونَك الأَنْصَافُ تَكْتَمِلُ؟
أَنْصَافُ أَحْلامِي الَّتِي بَقِيَتْ ... مُنْذُ ارْتَحَلْتِ أَصَابَهَا الشَّلَلُ
أَنْصَافُ أَحْلامٍ تُلازِمُنِي ... لأَظَلَّ بِالأَوْهَامِ أَحْتَفِلُ
صَعْبٌ مَسِيرِي قَيَّدَ أَنْمُلَةً ... وَأَنَا بِشَوْكِ الأَرْضِ مُنْتَعِلُ
سَيَظَلُّ فَقْدُك دَائِمًا نَبَأً ... زِلْزَالُهُ مَا لِي بِهِ قِبَلُ
خَتَمَتْ بِك الدُّنْيَا فَجَائِعَهَا ... مَا عَادَ بَعْدَك حَادِثٌ جَلَلُ
دَفَنَتْ بِك الدُّنْيَا مُحَاذَرَتِي ... وَمِنَ الزَّمَانِ تَحَطَّمَ الْوَجَلُ
يَشْكُو مُصَلَّاك الحَنِينَ مَعِي ... وَيَزِيدُ شَجْوِي جَفْنُهُ الخَضِلُ
فَيَبِيتُ دَمْعُ القَلْبِ يَغْسِلُهُ ... وَتَكَادُ تَمْحُو رَسْمَهُ القُبَلُ
أَمْسَى مُصَلَّاك المَلاذَ إِذَا ... مَا جَاءَتِ الأَوْجَاعُ تَعْتَمِلُ
فِيهِ صَفَاءُ النَّفْسِ يَغْمُرُنِي ... فَأَكَادُ عَنْ دُنْيَايَ أَنْفَصِلُ
أُمِّي رَحِيلُك مِنْ عَجَائِبِهِ ... أَنِّي بَقِيتُ وَظَلَّ لِي أَجَلُ
هَذَا حُطَامِي لَيْسَ يَعْرِفُنِي ... إِلا مِنَ الزَّفَرَاتِ تَنْهَمِلُ
مَا عَادَتِ المِرْآةُ تُبْصِرُنِي ... إِلا وَتَجْزِمُ أَنَّنِي طَلَلُ
كَمْ صَارَتِ المِرْآةُ تُزْعِجُنِي ... بِسُؤَالِهَا: مَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ؟
يَا قَلْبُ مَلَّ الحُزْنُ صُحْبَتَنَا ... فَمَتَى مِنَ الأَحْزَانِ نَغْتَسِلُ؟

التصوير البياني عند شعراء الرسول ﷺ
دراسة بلاغية نقدية مقارنة

للباحث: طاهر أبو سيف

التصوير البياني عند شعراء الرسول ﷺ دراسة بلاغية نقدية مقارنة، رسالة ماجستير حصل بها الباحث طاهر أبو سيف على درجة الماجستير في البلاغة والنقد من جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، إيتاي البارود، قسم البلاغة والنقد. وقد اشتملت خطة هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، وسبعة فصول وخاتمة.

أمَّا **المقدِّمة** فقد اشتملت على أهمية البحث وسبب اختيار الموضوع والمنهج الذي سار الباحث عليه.

وأما **التمهيد** فقد ذكر الباحث فيه أثر الإسلام في حياة العرب الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية بإيجاز، ثم موقف الإسلام من الشعر، وأثر الإسلام في الشعر، ثم قام بالتعريف بشعراء الرسول ﷺ الثلاثة. وتحدث عن مفهوم الصورة، ثم عرف بعلم البيان ومنزلة التشبيه منه.

وأما **الفصل الأول** فهو بعنوان «**التصوير البياني وبلاغته في شعر المدح**»، ومهد له بتمهيد تحدث فيه عن المدح قبل الإسلام

عرض: محمد عباس عرابي- مصر

وبعده، وتهذيب النبي ﷺ لهذا الفن، وقلة مدح الشعراء للنبي ﷺ وسببه. وقد درس الصور البيانية في هذا الغرض من خلال الأغراض الآتية:

أولا: تصوير نور النبي ﷺ. وفيه: تصوير نور النبي ﷺ الظاهر، ومدحه ﷺ بنور ظاهره وباطنه.

ثانيا: مدحه ﷺ بالهداية، وفيه: بعموم الهداية، وبالهداية والشجاعة.

ثالثا: مدح المؤمنين، وفيه: مدح المؤمنين بالقوة والكرم، ومدح المؤمنين بالشجاعة.

وأما **الفصل الثاني** فهو بعنوان: «**التصوير البياني وبلاغته في شعر الهجاء**»، وقد مهَّد له بتمهيد ذكر فيه أثر الهجاء وقيمته كسلاح من أهم أسلحة المسلمين في صدر الإسلام. وقد تناول التصوير البياني في هذا الغرض من خلال الأغراض الآتية:

الهجاء بالسفاهة والجهل، والهجاء بالكفر والغدر، والهجاء بالحقد والغيظ، والهجاء بضَعَة الأصل، والهجاء باللؤم.

وأما **الفصل الثالث** فعنوانه: «**التصوير البياني وبلاغته في شعر الوصف**»، وقد مهد لهذا الفصل بتمهيد ذكرت فيه غلبة هذا الوصف وشيوعه في كل زمان، وتغير موضوعه في هذا العصر وكثرته، وتعديل الإسلام لبعض موضوعاته.

وقد تناول بلاغة التصوير البياني في هذا الغرض من خلال الأغراض الآتية:

أولاً: وصف أدوات القتال (الخيل – السيوف – الدروع – الرماح).

ثانياً: وصف المعركة وقد اشتمل هذا الغرض على مجموعة من الأغراض، هي: وصف المعركة وفرار الأعداء. وصف شدة القتال وتصوير الموت. وصف الحرب وشجاعة الصحابة فيها. وصف الحرب وتشبيهها بالناقة.

ثالثاً: وصف الموت وبيان حقيقة الحياة.

رابعاً: وصف الأرق، وفيه: وصف الأرق بسبب الحزن وطول الليل، ووصف الأرق بسبب الخوف.

وأغراض أخرى، هي: وصف الجروح. وصف الكتيبة الإسلامية. وصف جموع المشركين، بتشبيههم بموج البحر وجبل حراء. وصف هداية الرسالة الإسلامية. وصف قوة الهجاء وأثره.

وأما **الفصل الرابع** فهو بعنوان: «**التصوير البياني وبلاغته في شعر الفخر**»، وقد مهد الباحث له بتمهيد تحدث الباحث فيه عن الفرق بين الفخر الجاهلي والإسلامي.

وقد تناول الباحث بلاغة التصوير البياني في هذا الغرض من خلال الأغراض الآتية: الفخر بالمجد في الجاهلية والإسلام. الفخر بالقوة والخبرة: الفخر بكرم الأصل والشجاعة والقوة، والفخر بالخبرة في الحرب. الفخر بالشهادة. الفخر باتباع الإسلام.

وأما **الفصل الخامس** فهو بعنوان: «**التصوير البياني وبلاغته في شعر الرثاء**»، وقد مهد الباحث له بتمهيد ذكرت فيه قدم هذا الفن. واختلافه عن الرثاء في الجاهلية.

وقد تناول الباحث بلاغة التصوير البياني في هذا الغرض من خلال الأغراض الآتية: رثاء النبي ﷺ. رثاء حمزة، رثاء عثمان

أما **الفصل السادس** فهو بعنوان: «**الخصائص الفنية للتصوير البياني عند شعراء الرسول ﷺ**»، وتناول الباحث فيه: أولاً: السمات الفنية للتشبيه من حيث: منزلته من البلاغة وسمات طرفيه من حيث الحسية والعقلية. والإفراد والتركيب والتعدد، ثم السمات الفنية لأدوات التشبيه وتوقف عند الفعلين (خال – حسب) اللذين رأى أنهما من أدوات التشبيه، وأنهما لا يأتيان بعد تمام التشبيه للدلالة على قربه أو بعده قربه، وذكر الأدلة على ذلك. ثم تعرض للتشبيه من حيث الإرسال والتأكيد، ثم الخصائص الفنية لوجه الشَّبه من حيث الإجمال والتفصيل، والقرب والبعد.

ثانياً: تناول الباحث الخصائص الفنية للاستعارة من حيث بلاغة التصوير الاستعاري، والسبب في كثرة الاستعارات التبعية، والسبب في كثرة الاستعارة المكنية في تصوير الحرب والموت.

ثالثاً: تناول الباحث الخصائص الفنية للمجاز المرسل من حيث أكثر العلاقات وروداً في شعرهم. وقلة استخدامه إذا ما قورن بالتشبيه والاستعارة وبلاغته بسبب قلته في شعرهم.

رابعاً: تناول الباحث الخصائص الفنية للكناية من حيث بلاغتها، ودرجاتها، وكثرتها في شعرهم والسبب في ذلك.

وأما **الفصل السابع** فهو بعنوان: «**موازنات**»، وفي هذا الفصل قام بالموازنة بين شعراء الرسول وغيرهم من الشعراء في المعاني المشتركة بينهم، من خلال الأغراض الآتية: تصوير الأرق والليل، تصوير الدروع؛ شكلها وهيئتها ومساميرها. وتصوير الحرب. والصبر على نتائج الحروب، وتصوير سيلان الدماء، وتصوير الشجاع وتشبيهه بالأسد. وتصوير السيوف: تشبيه لونها وبريقها بلون الملح، وتصوير الضرب بالسيوف، وتصوير لمعان السيوف والرماح.

الخاتمة: وتضمنت أهم نتاج البحث، ثم بعض التوصيات. وأخيراً فهارس البحث.

النتائج والتوصيات:

أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، وأهم التوصيات:

أما النتائج فهي:

- إنَّ الإسلام لم يحرِّم الشعر، وإنما قوَّمه ووجَّهه الوجهة الإسلامية.
- قام التصوير البياني بدوره في المجتمع الإسلامي في هذه الحقبة حيثُ استغرق كلَّ متطلبات العصر من مدح للرسول ﷺ وصحابته، وتصوير المعارك ورِثاء الشهداء، والفخر بالإسلام ونبيِّه ورسالته... إلخ
- عناصر التصوير البياني عند شعراء الرسول ﷺ منتزعة من البيئة، ففي المدح يختارون أبهى مظاهر الصحراء، وأكثرها بهجةً وامتلاءً بالحياة، وفي الهجاء يختارون أقبح مظاهر الصحراء وحيواناتها فيصوِّرون بها المهجو.
- كان لإبداع هؤلاء الشعراء أثرٌ في ألوانهم وريشتهم فلم يحاكوا الطبيعية بنقلها نقلا بحتاً، وإنما كان للإبداع والخيال الخصب دورٌ في التصوير.
- لم يغرق شعراء الرسول ﷺ في الخيال، فلم تأت صُورُهم في هيئة شطحات خيال، وإنما كان الخيال في شعرهم بالقدر الذي تستحسنه الأذواق وتتفق على قبوله.
- جاءت ألفاظهم في الأعمِّ الأغلب واضحة لا تحتاج إلى المعجم، وهذا - فيما يرى الباحث - تأثراً بالمنهج القرآني.
- اختِيرَت الألفاظ الموحية التي تبرز الصورة تماما، وتجعلها تنفذ إلى القلوب بمجرد طرقها للأسماع.
- استعانة الشعراء في بعض صورهم بالألفاظ القرآنية؛ يعطي الصورة جمالاً وروعةً.

- تميزت الصور البيانية عند شعراء الرسول ﷺ بالعمق والبعد عن السطحية، بمعنى أنَّ الصور وإن بدت بسيطةً لأوَّل وهلةٍ إلا أنَّها تحمل معاني وإيحاءات جمَّة.
- جاءت الصور البيانية عندهم مناسبة تماما للسياق قبلها وبعدها، تؤثِّر فيه ويؤثر فيها، وهذا دليل على دقة النظم وحسن اختيار عناصره، الأمر الذي يدل على سلامة الفطرة اللغوية.
- اتَّسمت صورهم البيانية بالوضوح فبالرغم من عمقها إلا أنَّ الفكر فيها لا يصل إلى درجة التعقيد والغموض الذي يتعب الذهن دون جدوى.
- جاءت الصور البيانية عندهم بسيطة أحياناً، عندما يكون المعنى بسيطاً، وأما عندما يدقُّ المعنى ويتشعب ويتداخل مع غيره ويحتاج إلى مزيد تأكيدٍ أو توضيحٍ فإنَّهم يكثِّفون الألوان البيانية لتوضيحه، ووضع الفواصل بينه وبين غيره مما قد يختلط به.
- امتزجت الصور البيانية عند شعراء الرسول ﷺ بأحوالهم النفسية، فجاءت معبرة تماما عن أحوالهم النفسية.
- اتَّسمت الصور البيانية عندهم بالتفصيل والاستقصاء، والحرص على أن تشتمل على أدقِّ الجزئيات.
- بالرغم من وجود بعض الصور المألوفة والتي سبقوا إليها إلا أنَّهم أضفوا عليها من بيئتهم وثقافتهم وذات أنفسهم ما يجدِّدها، ويخرج بها من دائرة التكرار والتقليد.
- امتاز هؤلاء الشعراء بحسٍّ مرهفٍ وملكةٍ قويةٍ في اختيار الصورة البيانية الملائمة للمقام، والأقدر على بيان المعنى أفضل من غيرها، فجاءت صورهم مناسبة تماما للمقامات، فهناك مقامات تتطلب التشبيه، ومقامات تستدعي الكناية، وأخرى تستدعي الاستعارة أو المجاز المرسل، ومقامات تتطلب الاستعارة المكنية دون التبعية أو العكس.
- الجو العام للعصر وأحداثه، والغرض الشعري، يؤدي إلى شيوع أنواع معينة من الصور البيانية.
- غلبت الصور الحسية على الصور البيانية في شعر شعراء الرسول ﷺ، وهذا دليل على تأثرهم بالقرآن الكريم في هذا النهج.
- قلَّ شعر الغزل فى شعرهم قلة واضحة وصلت إلى حد الندرة.

التوصيات:

- إلى كلِّ من يحملون لواء الأدب الإسلامي لا يصدنَّكم عن دراسة الأدب الإسلامي واستبانة محاسنه وأسراره؛ ما يشاع عنه بأنَّه ضعيفٌ.
- ينبغي على الباحثين مراجعة التراث النقدي والبلاغي ونقده؛ للوصول إلى أرجح الآراء في القضايا التي اختلف فيها علماء البلاغة، وذلك بغية الوصول إلى نظرية نقدية بلاغية عربية لمواجهة تيارات الحداثة الخبيثة التي تسعى إلى إبعاد المسلمين عن تراثهم، الذي هو مصدر قوَّتهم.
- ضرورة الحدِّ من التقسيمات والتفريعات المنطقيَّة في دراسة البلاغة لأنَّها تنفِّر القرَّاء والباحثين، والاتجاه إلى المنهج التحليلي البلاغي في دراسة النصوص، فهو يستميل القارئ، ويساعد الباحث على التعمق في بحثه.
- البعد عن السطحية، وضرورة معايشة النص مرَّاتٍ ومرَّاتٍ لاستظهار محاسنه.
- على الباحث ألا يقطع الصور البيانية عن السياق، وألا يغفل أثر الصور البلاغية في توضيح الصور البيانية.
- التأكيد على ضرورة دراسة الجو النفسي للشاعر، فنفسية الشاعر تصبغ نصه بصبغةٍ خاصةٍ■

مكان واحد يجمعنا

أحمد صوان - تركيا

أَشْرَقَتْ شَمْسُ يَوْمِ الخَميسِ، وَقَدِ انْتَظَرْتُها كَثيرًا؛ فَاليَوْمُ يَوْمُ نَتائِجِ الفَصْلِ الأَوَّلِ.

مَرَرْتُ بِبَيتِ صَديقَتي سَلْمى، وَمَضَيْنا مَعًا نَحْوَ المَدْرَسَةِ، ثُمَّ وَقَفْنا أَمامَ لَوحَةِ الإِعْلاناتِ مَعَ بِضْعِ طالباتٍ، فَرَأَيتُ تَرْتيبَها العَاشِرَةَ، وَتَرْتيبي الأُولى.

أَسْعَدَتْني نَتيجَتي كَثيرًا، وَصِحْتُ مِنَ الفَرْحَةِ، وشُغِلْتُ عَنْ صَديقَتي سَلْمى، ثُمَّ التَفَتُّ حَوْلي فَلَمْ أَجِدْها، وَاقْتَرَبَتْ مِنّي صَديقَتي رانيَةُ قائِلَةً: هَذِهِ النَّتيجَةُ صَدَمَتْ سَلْمى، وَكَأَنَّ جَبَلًا وَقَعَ عَلَيْها، وَفاةُ والِدِها في الصَّيْفِ أَثَّرَ في تَرْتيبِها.

قُلْتُ لَها: أَعْرِفُ يا رانيَةُ، كانَ تَرْتيبُها الأُولى دائِمًا، أَعانَها اللّٰه. ثُمَّ تَذَكَّرْتُ نَتيجَتي، فَعادَتْ إِليَّ الفَرْحَةُ، هَذِهِ أَوَّلُ مَرَّةٍ أَكونُ الأُولى! كانَتْ سَلْمى هِيَ الأُولى دائِمًا، عُدْتُ إِلى البَيْتِ وَحْدي عَلى غَيْرِ العادَةِ، وَكانَ الجَوُّ غائِمًا، دَخَلْتُ إِلى بَيْتِنا، وَاستَقْبَلَتْني أُمّي، وَعانَقْتُها، وَالفَرْحَةُ لا تَسَعُني: أُمّي، أُمّي، أَنا الأُولى، أَنا الأُولى!

فَرِحَتْ أُمّي، وَقالَتْ: مُبارَكٌ -إِنْ شاءَ اللّٰه- يا بِنتي أَمَلُ، هَذِهِ أَوَّلُ مَرَّةٍ تَنالينَ هَذِهِ المَرْتَبَةَ! هَلْ صِرْتِ أَنْتِ وَسَلْمى في مَرْتَبَةٍ واحِدَةٍ؟

أَجَبْتُها، وَقَدْ ذَهَبَتْ فَرْحَتي: لا يا أُمّي، مِسْكينَةٌ سَلْمى، هِيَ العاشِرَةُ، تَفاجَأَتْ أُمّي، وَقالَتْ: أَعانَها اللّٰه، أَكيدٌ بِسَبَبِ وَفاةِ والِدِها، رَحِمَهُ اللّٰه، صَديقَتُكِ سَلْمى عَزيمَتُها قَويَّةٌ، وَلَكِنَّ مُصيبَتَها كَبيرَةٌ.

سَكَتَتْ أُمّي قَليلًا، ثُمَّ قالَتْ: هَيّا يا بِنتي نَزورُها، وَنُخَفِّفُ عَنْها حُزْنَها.

أَجَبْتُ أُمّي: وَلَكِنْ يا أُمّي، أَنا الأُولى، أَنا سَعيدَةٌ جِدًّا، غَدًا نَزورُها، غَدًا نَزورُها إِنْ شاءَ اللّٰه.

قالَتْ أُمّي كَلِماتِها، وَذَهَبَتْ لِتَسْتَعِدَّ، ثُمَّ ذَهَبْتُ لِغُرْفَتي، وَوَقَفْتُ أَمامَ مِرآتي، وَبَدَأْتُ أُحَدِّثُ نَفْسي: أَنا الأُولى، وَهَذِهِ أَوَّلُ مَرَّةٍ، وَأَنا أُحِبُّ سَلْمى، وَسَلْمى مِثْلُ أُخْتي، وَلَكِنّي الأُولى الآنَ، وهَذا شُعورٌ رائِعٌ!

جاءَني صَوْتُ أُمّي مِنْ بَعيدٍ، فَقَطَعَ عَلَيَّ تَفْكيري: أَمَلُ، التَّرْتيبُ الأَوَّلُ يَتَّسِعُ لَكِ وَلِسَلْمى.

عَجيبٌ كَلامُ أُمّي، كَأَنَّها تَسْمَعُ ما أُحَدِّثُ بِهِ نَفْسي، وَقَدْ أَعْجَبَني كَلامُها: التَّرتيبُ الأَوَّلُ يَتَّسِعُ لي وَلَها.

خَرَجْتُ بِصُحْبَةِ أُمّي، وَقَدْ صارَ الجَوُّ صافِيًا، فَزُرْتُ سَلْمى، وَعانَقْتُها، وَقُلْتُ لها: لا تَحْزَني يا أُخْتي، التَّرتيبُ الأَوَّلُ يَنْتَظِرُكِ في الفَصْلِ الثّاني، وَسَأَسْعى لِأَكونَ مَعَكِ إِنْ شاءَ اللّٰه، هَلْ تَسْمَحينَ لي؟ هَلْ يَتَّسِعُ المَكانُ لي وَلَكِ؟

سَعِدَتْ سَلْمى بِكَلِماتي، وَسَعِدْتُ بِها، وَحَقًّا عادَتْ إِلى تَرتيبِها الّذي اعتادَتْ عَليهِ، وَكُنْتُ إِلى جانِبِها ■

مرحى

أحمد محمد أبوشاور- الأردن

لأقطابِ المجلةِ قلتُ مرحى ... تجاوزَ قدرُكم في البذلِ صَرْحا
عبيرُ الخالدينَ بكلِّ حقل ... أفاضَ بجهدِكم عبقًا ونفحا
نثرتم في السُّطور عبيرَ طيب ... ففاحَ الطيبُ في الأنحاء فوْحا
وأعلامُ الجهاد بِكُم تَروّوا ... بفيضِ البحث تشهيرًا وبوْحا
فضاءاتُ الخيال بكم تعدَّتْ ... حدودَ الأفقِ تحليقًا ونجحا
وإنّ يراعكم ما كَلّ يوماً ... عن الإسهاب في الأعلام شرحا
نجاحاتُ الأديب بِكُم تراءت ... كبحرٍ ألهمَ الغُوَّامَ سَبحا
تنقّبُ في التراثِ لكم جهودٌ ... فتبدي ما اختفى سهْوًا وسَرْحا
بمنظور العقيدة قد تسامتْ ... نصوصٌ تغدق الأسماعَ صَدْحا
تودُّ الشعرَ أن يبقى شفيفاً ... كنسمٍ هَدْهدَ الأنفاسَ صُبحا
على نهج الشريعة قد سلكتم ... طريقاً وفَّرتْ وقتاً وكدْحا
وللأوطان في الصَّفَحات رسمٌ ... يدشّنُ ما ازدهى بالدّين فتْحا
وللإعجاز في القرآن علمٌ ... ينقّح ما انجلى في الذِّكر نقحا
كفتحٍ من لدُنْ ربٍّ عظيمٍ ... أثابَ الباحثين تقى ونُجحا
إذا قرأ الهواةُ لكم نصوصًا ... تدفَّقَ وعيُهم بالقوم نُصْحا
وإنْ قُرِئَ المقالُ على عُتاة ... تماروْا فيه خُسرانًا وقُبحا
عددتُ جهودَكم فازددت شوقًا ... لقولٍ يملأُ الأسماعَ مدْحا
وخانتني الحُروفُ بداء عِيّ ... فعذراً إذْ يَجيء المدحُ رَشْحا
جَلوتُم كُلَّ مغمورٍ خَفّي ... وبُحتُم بالذي يحتاج بوحا
وللإعجازِ في القرآنِ شأنٌ ... أفضتُم فيه تبيانًا وشرحا
وإن مَسّتهُ حالكةٌ بليلٍ ... نفرتم بالذي يَستاقُ صُبحا
وللأوطانِ في الأرضِ اعتبارٌ ... أَجَلُّ من الرسومِ، تَدرُّ رِبحا

* * *

إذا الإعلانُ عن أدبٍ رشيد ... يلاقي منهم رفضًا وطرحا
فذاك لأنهم من غير شَكٍّ ... خُصومُ هدايةٍ تزداد وضحا

إعداد: شمس الدين درمش

مكتب القاهرة- اللجنة الإعلامية:

د.حسين علي محمد الغائب الحاضر في احتفالية خاصة في رابطة الأدب الحديث بالقاهرة

أقامت رابطة الأدب الحديث بالقاهرة ندوتها الشهرية التي خصصتها لمناقشة حياة وأعمال الأديب الكبير الراحل د.حسين علي محمد (رحمه الله تعالى)، مساء يوم الثلاثاء (٢٠جمادى الأولى ١٤٣٩هـ، الموافق ٦ فبراير ٢٠١٨م)، شارك فيها عدد كبير من الأدباء منهم الدكتور صابر عبد الدايم العميد السابق لكلية اللغة العربية جامعة الأزهر، ورئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي في القاهرة، والشاعر الروائي أحمد فضل شبلول، والأديب مجدي جعفر، والأديب أحمد محمد عبده، والأديب فرج مجاهد عبد الوهاب، والأديب فوزي وهبة، ومن السعودية الأديب الصحفي سعد بن عايض العتيبي، ومن سوريا الباحث الناقد محمد غازي تدمري. وأدارها الشاعر فايز جعفر رئيس رابطة الأدب الحديث، هذا؛ بالإضافة إلى عدد كبير من أعضاء الرابطة، والمهتمين، وتلاميذ الراحل الكبير.

في البداية تحدث الدكتور صابر عبد الدايم عن ذكرياته مع الدكتور حسين علي محمد، والمواقف الطريفة، وأعلن بصفته رئيس مكتب رابطة الأدب الإسلامي في مصر عن عقد ندوة موسعة حول فكر وابداع حسين علي محمد، إن شاء الله، فقد عمل د.حسين برابطة الأدب الإسلامي سنوات طويلة في الهيئة الإدارية بالرياض، وإدارة ندوة الأربعاء لإبداع الأدباء الشباب، وفي هيئة تحرير مجلة الأدب الإسلامي منذ تأسيسها حتى وفاته.

وركز الشاعر أحمد فضل شبلول على أدب الطفل عند د.حسين علي محمد، وكتابه «مذكرات

فيل مغرور»، فيما ركز الصحفي السعودي سعد بن عايض العتيبي على علاقته بالراحل، فقد كان يزوره أسبوعياً، وكان يعرفه بالعديد من أساتذة الجامعات السعودية.

وكشف الأديب مجدي جعفر عن تراث الفقيد من كتب ورسائل، وإصداره سلسلة «أصوات معاصرة».

أما القاص الروائي أحمد عبده فتحدث عن دور الراحل في الاهتمام بالأجيال الطالعة، وبه على وجه الخصوص بعد أن ابتعد عن الأدب سنوات طويلة، ثم عاد بفضل تشجيع د. حسين علي محمد.

وتحدث الباحث السوري الكبير محمد غازي تدمري عن علاقته بالراحل، وكانت قد بدأت في نهاية الستينيات من القرن الماضي عندما نشر هو والشاعر السوري مصطفى النجار، والشاعر أحمد دوغان، والقاص حسني سيد لبيب كتاب «حوار الأبعاد الأربعة». وكتبت عنه في مجلة الثقافة السورية.

وكشف الأديب فرج مجاهد عن بداية معرفته بالراحل عن طريق الأديب الكبير محمد جبريل في مناقشة رسالة جامعية في كلية آداب الزقازيق، وعمله معه في سلسلة «أصوات معاصرة».

وفي نهاية اللقاء أعلن الشاعر فايز جعفر رئيس رابطة الأدب الحديث عن تخصيص العدد القادم من مجلة رابطة الأدب الحديث لذكرى الراحل المبدع د.حسين علي محمد.

مكتب نيودلهي- غياث الإسلام الصديقي الندوي:

أمة الله تسنيم شاعرة عظيمة
كما يراها الأدباء والمثقفون في جلسة أدبية عقدتها رابطة الأدب الإسلامي بنيودلهي

أمة الله تسنيم (١٩٠٨-١٩٧٤م) شاعرة عظيمة، ومعروفة بقصائدها في حمد الله سبحانه تعالى والمناجاة، والمديح النبوي الشريف في الأدب الأوردي الحديث. إنّها تمتاز في هذا المجال عن الشاعرات الأخريات المتميزات بوفرة الأحاسيس، ولوعة المشاعر، والالتزامات الفنية من أمثال السيدات ضياء احتشام، وهاجرة نازلي، ورضيه جنك، وأمّ صهيب، وفي مقدمتهن السيدة خير النساء بهتر. عبّر عن ذلك البروفيسور شفيق أحمد خان الندوي رئيس المكتب الإقليمي بدلهي (عاصمة الهند) لرابطة الأدب الإسلامي في جلسة أدبية عقدها مكتب الرابطة في مقرّه الكائن في حيّ أبي الفضل إنكليو، جامعة نكر نيودلهي بتاريخ ١٩مارس٢٠١٨م.

وأضاف قائلاً: إنّ الشاعرة الأديبة أمة الله تسنيم هي شقيقة عميد الأدب الإسلامي أبي الحسن علي الحسني الندوي، وهي في غنى عن التعريف في مجال العلم والأدب بغزارة إبداعاتها الشعرية والنثرية باللغة الأوردية. إنّها تولّت مهام إدارة مجلّة «رضوان» الشهرية الأوردية برفقة ابن أختها الشيخ محمد الثاني الحسني -رحمه الله- منذ تأسيسها في عام١٩٥٦م حتى وفاتها يوم١٩٧٦/٠١/٢٨م. فخلّفت لنا ثلاث مجموعات شعرية عناوينها «موج تسنيم»، و«باب كرم»، و«ديار حبيب». وبعض نماذجها، على سبيل المثال، لا الحصر، كالآتي وهي تناجي ربّها فتقول:

(منذ أن تمّت إنابتي إليك؛ حظيت بحياة سعيدة بالفعل، وسعدت بطمأنينة القلب، وإنعاش الروح.

ما أعجب ذكر الحبيب! وما أحلاه! وما أروع ذكراه في الحنين وفي الفراق! أستمتع بذلك، وأشعر براحة البال، كما أشعر بها في جوّ لطيف مزيج من الظلّ والشمس.)

وقدّم غياث الإسلام الصديقي الندوي سكرتير المكتب الإقليمي للرابطة بدلهي، مقالة عن حياة السيدة أمة الله تسنيم وأعمالها الأدبية، وذكر منها ترجمتها كتاب «رياض الصالحين للإمام النووي» باسم «زاد سفر»، وجاء العمل في جزأين. و«قصص الأنبياء للأطفال (أربعة أجزاء)»، و«مصعب بن عمير»، و«رابعة (العدوية) البصرية»، و«سيدنا الرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة والتسليم»، و«الأمراض الخلقية وآثارها السيئة».

وشارك في الندوة الدكتور عبد القادر خان القاسمي، والسيد مغيث أحمد عليك، وأنشد الشاعر الأوردي الشهير الدكتور تابش مهدي إحدى قصائده في المديح النبوي الشريف، وقدّم الدكتور محمد رضي الإسلام الندوي كلمة الندوة،

استهلّت الجلسة بآيات من الذكر الحكيم تلاها السيد نجم الهدى خان الندوي، وأنشد السيد محمد ريحان خان الندوي مقتبسات من شعر السيدة أمة الله تسنيم، وحضر هذه الجلسة عدد ملحوظ من المعنيين بالأدب العربي والثقافة الإسلامية بمن فيهم السيد أحمد شارق خان، والسيد شفيق عالم الندوي، والسيد كهف الورى الندوي وغيرهم.

مكتب عمان - اللجنة الإعلامية:

القدس في القلوب

نظم مكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بعمَّان السبت /١٢/ ربيع الثاني/ ١٤٣٩هـ، ٣٠/ ديسمبر/ ٢٠١٧م، بازاراً خيرياً بعنوان: (القدس في القلوب)، فكان للكتاب جانب مهم من البازار من مؤلفات أعضاء الرابطة وغيرهم، وأيضاً لوحات من الفن الإسلامي بريشة المحامي الفنان إياد أبو هواش، وكذلك شمل على منسوجات وإكسسوارات يدوية، ومأكولات وحلويات شعبية، وفي أثناء البازار كان للمسابقة الثقافية التي قدمها، الدكتور عبد الجبار دية، وقعٌ في نفوس الحاضرين.

وألقى رئيس مكتب الرابطة الدكتور جميل بني عطا كلمة شكر فيها المساهمين، والحضور، والأستاذة عائشة العمد، والدكتور عبد الجبار دية وأهله، والمحامي الفنان إياد أبو هواش، وعائلة الحسناوي، وعبد الرحمن مبيضين، وبخاصة راعي هذا النشاط سعادة النائب السابق الأستاذ علي صالح بني عطا.

القدس في أدب الحروب الصليبية

أقام مكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية يوم السبت: ٢٠١٧/١٢/٢٣م، ندوةً بعنوان «القدس في أدب الحروب الصليبية» للأستاذ الدكتور عبدالجليل عبدالمهدي أستاذ الأدب القديم في الجامعة الأردنية، وعضو مجمع اللغة العربية الأردني. تناول فيها تاريخ مدينة القدس في العهد المملوكي، والحملات الصليبية التي تناوبت على المدينة المقدسة، وجهود المسلمين في تحرير المسجد الأقصى، وانعكاس هذه الجهود على الشعر العربي القديم. واستشهد المحاضر بنماذج شعرية دالة على هذه المرحلة منوهاً بأن الشعر العربي تجاهل مرحلة احتلال القدس، فيما أكثر الشعراء من التغني بتحرير القدس.

وختم المحاضر الندوة بمناقشة مداخلات الجمهور الذي استمع باهتمام بالغ. وحضر الندوة لفيفٌ من أعضاء الرابطة والمهتمين بالشأن الثقافي. وأدارها عضو الرابطة الأستاذ المؤرخ عبدالله شبيب.

أمسية شعرية عن القدس للشاعرين الأمراني وجداية

نظم مكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بعمَّان في /٢٦/ ربيع الثاني/١٤٣٩هـ، ١٣/ كانون الأول/ ٢٠١٧م، أمسية شعرية، للشاعرين الأستاذ الدكتور حسن الأمراني، والأديب الناقد عبد الرحيم جداية، وأدار اللقاء رئيس المكتب الدكتور جميل بني عطا.

استهل رئيس المكتب الدكتور جميل بني عطا الأمسية الشعرية بالتعريف بالشاعرين الضيفين.

فقدم الأستاذ الدكتور حسن الأمراني، قصائد الحب المقدسي، بقصيدة عنوانها (أزجي إليك الرّوح)، وقصيدة (عرس في السّماء)، وقصيدة (يا قُدْس)، وقصيدة (المسيح يقاتل)، وختم قراءته بقصيدة (الزيتونة التميمية)

وقدم الشاعر والأديب الناقد عبد الرحيم جداية، قصيدة (ظباء القدس)، وقصيدة (أجرني بكعبٍ)، وختمها بقصيدة (مناسك في عشق الرسول)،

فكانت أمسية تجمع بين الفكر المغربي، والفكر المشرقي، والقدس هي المحور، وكانت نوعية من حيث المشاركون والحضور، فتم في نهاية اللقاء تبادل السلام باهتمام وتفاعل، بين أعضاء الربطة في مكتب عمان، وبين الأستاذ الدكتور حسن الأمراني، كأنه حفل تعارف مهيب.

أمسية الشاعرة مريم الصيفي

أقام مكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، مساء السبت في عمَّان ٩ جمادى الآخرة ١٤٣٩هـ، ٢٤ شباط ٢٠١٨م، أمسية للشاعرة مريم الصيفي، حيث أدارها وعقب عليها الناقد الدكتور حسام عزمي العفوري، فعرف بالشاعرة وبدواوينها التي تضم قصائد عن القدس والشهداء والوجدانيات، وعرف بصالونها الأدبي الذي انطلق منذ سنة (١٩٨٧م)، ثم استهلت الشاعرة بقراءة قصيدة (يا قدس لا تحزني)، من ديوان وردة الغياب، ثم قرأت مجموعة من القصائد من ديوانها الجديد، عناوينها: (ويبوح الصمت)، (أشرقت)، (أجر حرير الصمت)، (تهمس روح الوجد)، (يلوح النخيل)، (ثرثرة)، و(هو الحرف)، (وأنتظر العيد)،

وعلق الدكتور حسام العفوري على القصائد، مبرزاً جمالياتها التعبيرية، ومعانيها السامية، وصورها المحلقة، ليعطي بذلك صورة جميلة للأمسية التي جمعت بين الإباع والنقد.

أرض الكرامة وكرامة الأرض

ألقى أستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية في الجامعة الأردنية الأستاذ الدكتور غازي الربابعة مُحاضرة بعنوان (يوم الكرامة)، في مكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بمناسبة، مساء السبت الموافق السابع من شهر نيسان٢٠١٨م.

وقد استعرض الدكتور الربابعة الظروف السياسية وأحوال المنطقة بما في ذلك التوتر القائم على جبهات القتال قبل نكسة الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧م، ثم تداعيات الحرب ونتائجها الكارثية بعد احتلال أجزاء من بعض الدول العربية. كما بيَّن أنَّ حالة الإحباط التي سادت في نفوس العرب سَرعان ما تبددت بعد هزيمة القوات الإسرائيلية في معركة الكرامة بعد محاولتها تنفيذ مخطط لاحتلال مناطق إستراتيجية على الضفة الشرقية من نهر الأردن.

وقد أدار مُجريات هذا النشاط عضو الرابطة الكاتب حنا ميخائيل سلامة الذي توقف عند

محطات من سيرة حياة المُحاضر الأكاديمي المؤرِّخ والباحث المُنَقِّب.

وشارك في المُداخلات والأسئلة الأساتذة: الدكتور عبدالله الخطيب، والدكتور عدنان حسونة، والشاعر عبد الرحمن المبيضين، والدكتور عبد الجبار عبد الله ديّة، والشيخ المؤرخ عبد المجيد العرابلي، وعمر العورتاني.

واختتم النشاط بقصيدة لعضو الرابطة الشاعر الموهوب الأستاذ محمد عبدالله أبو عواد بعنوان «لا تنحنِ أبداً».

القدس في الأدب الحديث

أقام مكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية يوم السبت: ٢٠١٨/٢/١٠م محاضرةً بعنوان «القدس في الأدب الحديث»، للأستاذ الدكتور عبدالله عوض الخباص عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية سابقاً في جامعة الزرقاء، ومدير عام مؤسسة إتقان للخدمات التربوية.

وتحدث الدكتور الخباص عن صورة القدس في المشهد الأدبي العربي المعاصر في مجالي الشعر والنثر، فبدأ الحديث عن دور الكلمة في صناعة الحدث، ودور القصيدة المقاومة في تجسيد صورة القدس في أذهان المتلقين، ثم استعرض المحاضر نماذج شعرية دالة من شعر محمود درويش، وفدوى طوقان، ويوسف العظم، وغيرهم.

واستعرض المحاضر نماذج نثرية من روايات واكبت الحدث من مثل رواية «مذكرات دجاجة» لعبد القادر الحسيني، ثم دار حوار ماتع بين الجمهور والمحاضر أجاب فيها المحاضر عن تساؤلات الجمهور وتعقيباته. قدمت المحاضرة الأستاذة نبيلة الخطيب الرئيس الأسبق للمكتب.

كيف يحدث الإبداع الشعري

اختتمت ندوة الوفاء بالرياض فعالياتها الثقافية والأدبية بمحاضرة للأستاذ الدكتور عبدالله العريني، الروائي والقاص، وأستاذ الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ونائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وذلك مساء الأربعاء ١٤٣٩/٨/٢هـ، الموافق ٢٠١٨/٤/١٨م.

واستهل د.العريني حديثه بالقول: إن النقاد قديماً وحديثاً لم يستطيعوا الإجابة القاطعة على سؤال المحاضرة، وإن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل عبد الله بن رواحة الشاعر: كيف تقول الشعر، فكان جوابه: أنظر فأقول. ومن هنا نستطيع القول: إن كل الشعراء ينظرون فيقولون.

وقد وضع د.العريني أربعة عناصر لصناعة الشعر أو قوله، وهي: الموهبة الشعرية، والهيؤ لقول الشعر، وإشراق القصيدة لدى الشاعر، ثم تأتي المراجعة والتنقيح والصقل، وهذا العنصر الرابع خارج القصيدة. وقد أفاض المحاضر في شرح هذه العناصر، وأعطى لها أمثلة من تجارب الشعراء.

المحاضرة الشيقة، وحسن العرض، أثار الكثير من الأسئلة، والمداخلات، أجاب عليها المحاضر، وألقى الشاعر د.عمر خلوف قصيدة جميلة، تعبر عن تجربة شعرية، وتمثل شاعراً يقول قصيدة، ولكن كيف!؟

أدار اللقاء بأسلوبه الجميل المحبب الدكتور يحيى أبو الخير، الذي أعطى في بداية اللقاء لمحة عن السيرة العلمية والعملية للمحاضر، وأن لديه عدداً من الروايات والقصص والكتب النقدية في الأدب الإسلامي.

وفاة عضو الرابطة الشاعر الأردني خالد فوزي عبده

توفي في عمان الشاعر الأردني خالد فوزي عبده، عضو اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، بعد عمر ناهز التسعين عاماً. يوم الثلاثاء٨ ربيع الآخر ١٤٣٨هـ، الموافق ٢٦ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠١٧م.

وقد ولد خالد فوزي منيب عبده في مدينة نابلس بفلسطين عام ١٩٢٧م، حصل على دبلوم في المحاسبة، من المعهد الوطني، بنابلس، وعلى ليسانس في آداب اللغة العربية، من جامعة بيروت العربية، وعمل في دولة الكويت محاسباً.

مارس أنشطته الأدبية في الندوات والمنتديات الأدبية والثقافية، وخصوصاً في المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في عمان، فلم يكن تفوته مناسبة، أو أمسية من غير أن يشارك فيها، وهو عضو اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين، وعضو منتدى عمون للأدب والنقد. وجمعية عيبار الخيرية.

أصدر عدداً من الدواوين الشعرية منها: عندما تغنّي الجراح، شموع لا تنطفئ، زهور لا تذبل، نفحات أردنية، علامات على الطريق، عندما ينزف الشعر، قوس قزح، وإليك يا نابلس، ونجوى الشعر، وأغاريد روح، وصدى التسعين، وقد رثى فيه نفسه. رحمه الله تعالى، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفاة عضو الرابطة الأستاذ الدكتور غالب محمد الشاويش

توفي الأستاذ الدكتور غالب محمد محمود الشاويش عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعميد كلية الآداب بجامعة الحسين بن طلال في معان، الذي وافته المنية في عمان بالأردن، يوم الخميس ١٤٣٩/٤/١٠هـ، الموافق ٢٠١٧/١٢/٢٨م،

والدكتور غالب محمد محمود الشاويش، من مواليد معان بالأردن، عام١٩٤٦م. حاصل على الماجستير والدكتوراه في البلاغة والنقد، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية. وعمل محاضراً بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم أستاذاً مساعداً في كلية التربية للبنات-الأقسام الأدبية بالرياض، ثم أستاذاً مشاركاً في الكلية نفسها.

أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه، وناقشها في اللجان العلمية. وشارك في تقويم المسابقات في مجال القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر، والقصة. وفي الندوات والمحاضرات العامة في الكلية، منها إدارة ندوة مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية بعنوان (في تحليل الخطاب الأدبي) بالتعاون مع جامعة الحسين بن طلال بعمان، في أسبوع الأدب الإسلامي الأردني المغربي.

من مؤلفاته: البلاغة في المثل السائر، دراسة وتقويم «رسالة الماجستير». والنقد اللغوي إلى نهاية القرن الخامس الهجري «رسالة الدكتوراه». والبلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق، وله ديوان شعر مخطوط. نسأل الله عز وجل أن يتغمده بواسع رحمته. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفاة عضو الرابطة الأديب الشاعر طاهر العتباني

توفي بمصر عضو الرابطة الأستاذ الشاعر الأديب طاهر محمد محمد العتباني، يوم الخميس ١٤٣٩/٥/٢٢هـ، الموافق ٢٠١٨/٢/٨م، عن عمر ناهز ٥٦ عاماً، وهو شاعر مرموق، ومعلم مربٍّ، قضى حياة حافلة بين الأدب والشعر والتعليم والتربية.

وطاهر العتباني، مواليد عام ١٩٦٢م، برأس الخليج البلد بالمنصورة.

حصل على البكالوريوس علوم وتربية – قسم الرياضيات١٩٧٤م، من جامعة المنصورة، وعمل مدرس رياضيات في المرحلة الثانوية بوزارة التربية والتعليم، مدة ٢٥سنة. وأعير للعمل باليمن، وجيبوتي. له عدة دواوين شعرية: الجواد المهاجر، والطريق إلى روما، جسد الرؤيا والروح، وأقباس في سلسلة إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية برقم (٢٧)، نشر مكتبة العبيكان بالرياض. ومعالم على طريق الأدب الإسلامي، كتاب نقدي.

وله عدة أعمال غير منشورة: معذرة هند، قراءة في أحسن القصص، مسرحية شعرية بعنوان: قال الراوي، وكثير من القصائد. فازت قصيدته: كنت وليلى طفلين، في مسابقة أحسن قصيدة بالقسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية : BBC عام ١٩٩٣-١٩٩٤م. ونشرت إبداعاته في الصحف والمجلات المحلية والعربية

نسأل الله سبحانه وتعالى له المغفرة والرحمة والرضوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفاة عضو الرابطة الأستاذ عبدالرزاق ديار بكرلي

توفي الأستاذ عبد الرزاق ديار بكرلي، الأحد ١١٤٣٩/٥/٤هـ، الموافق ٢٠١٨/١/٢١م، في مدينة الرياض، عن عمر ناهز ٦٩ عاماً، وهو من مواليد حلب عام ١٩٤٩م، يحمل الإجازة في اللغة العربية، جامعة حلب، والدبلوم العام في التأهيل التربوي، جامعة دمشق، ودبلوم الدراسات الإسلامية العليا، ودبلوم تمهيدي الماجستير، من القاهرة، المعهد العالي للدراسات الإسلامية.

عمل الأستاذ ديار بكرلي أمين سر المكتب الرئيسي في الرياض، وحضر عددا من مؤتمرات الهيئة العامة، في تركيا ومصر والمغرب.

عمل مدرساً لمادة اللغة العربية، في سورية والسعودية، وموجهاً تربوياً لمادة اللغة العربية في الإدارة العامة للتعليم بمنطقة الرياض، ومشرفاً تربوياً عاماً على مادة اللغة العربية، في الإدارة العامة للإشراف التربوي بمقر وزارة التربية والتعليم، في السعودية.

وخبيراً تربوياً ومديراً تنفيذياً لدى (دار منار الرائد للاستشارات التربوية والتعليمية)، بالرياض، تابع خلالها عددا من كتب الدار مثل: دليل مكتبة الأسرة المسلمة، وموسوعة القصص التربوي، وموسوعة الأناشيد التربوية، وغيرها.

شارك في تأليف كتاب القراءة والكتابة والأناشيد والنشاط للصف الأول الابتدائي، في السعودية، وفي تحكيم مسابقات شعرية ومسرحيات أدبية. منها تحكيم مسابقة موقع الألوكة الإلكتروني في الرواية. نسأل الله سبحانه وتعالى له المغفرة والرحمة والرضوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفاة عضو الرابطة الشاعر محيي الدين صالح

توفي بالقاهرة عضو الرابطة الأستاذ الشاعر الأديب والشاعر النوبي محيي الدين صالح، صباح الاثنين١٤٣٩/٤/٢٨هـ، الموافق ٢٠١٨/١/١٥م، عن عمر ناهز ٦٦ عاماً.

ومحيي الدين صالح كاتب وشاعر نوبي، من مواليد قرية قسطل بالنوبة جنوبي محافظة أسوان بمصر، سنة ١٩٥١م. حاصل على دبلوم تجارة، وأسهم في إصدار عدة مجلات ثقافية من بينها صفحة الأدب في جريدة أسوان في الثمانينات.

صدرت له مجموعة كبيرة من الكتب والدراسات والدواوين الشعرية منها: يا قومنا أجيبوا داعي الله، وديوان الجرح وأحلام العودة، وديوان ثورة القوافي، ودراسة في ديوان سرب البلشون، والأدب في مفترق الطرق، ورؤى نوبية، وديوان فيض المشاعر، وديوان يا ريم مهلاً، والرثاء في شعر باشراحيل دراسة أدبية، ومن أعلام النوبة في القرن العشرين، وتقويم مناهج الكتابة في أدب الطفل: إبراهيم شعراوي نموذجًا. وغيرها.

عمل مدة طويلة أمين سر المكتب الإقليمي للرابطة بالقاهرة، وهو عضو عامل باتحاد الكتاب بالقاهرة، وفي جمعيات أدبية أخرى. فاز بجائزة نادي القصيد بالقاهرة عام ٢٠٠٥م بقصيدة في ذرى الآفاق.

شارك بكتابه (الأدب وأثره في الدعوة) في فعاليات المؤتمر الدولي للأدب الإسلامي الذي أقامته رابطة الجامعات الإسلامية العالمية بالقاهرة بالاشتراك مع جامعة الأزهر عام ١٩٩٩م.

نسأل الله سبحانه وتعالى له المغفرة والرحمة والرضوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إصدارات جديدة

■ أدب الأطفال بحوث ودراسات: كتاب جديد في سلسلة إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، صدر عن دار العبيكان للنشر والتوزيع في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م. وضم الكتاب (١٩) بحثاً من بحوث ندوة «منهج الأدب الإسلامي في أدب الأطفال» التي أقامتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية، بمكتبها الإقليمي بالرياض، في المدة من (١ – ٣ صفر ١٤٢٧هـ)، الموافق(١ – ٣ آذار/ مارس ٢٠٠٦م). قدم للكتاب د.عبد الباسط بدر نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وقد وزعت البحوث على المحاور الآتية: أدب الأطفال والمراحل العمرية، الخيال في أدب الأطفال، أدب الأطفال ووسائل النشر والإعلام، أدب الأطفال في الهيئات والمؤسسات المتخصصة، أدب الأطفال والتوجيه العقدي والتربوي، أدب الأطفال لدى كتاب القصة، أدب الأطفال لدى الشعراء.

■ أدبها بعيون ناقدة، المجموعة الأولى، من بحوث الملتقى الثاني للأديبات الذي عقد في عمان بتاريخ: (٢٤ -٢٥ربيع الآخر ١٤٣٤هـ، الموافق ٦ – ٧ / ٣ – ٢٠١٣م). وصدر الكتاب عن مكتبة الرشد في الرياض، ضمن سلسلة كتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية، الطبعة الأولى،١٤٣٩هـ،٢٠١٨م، (٣٥٦) صفحة من القطع المتوسط، قدم للكتاب د.عبد الباسط بدر نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وتضمن الكتاب ثمانية أبحاث في الرواية، وثلاثة أبحاث في القصة القصيرة، وتتلوها المجموعة الثانية؛ إن شاء الله.

■ الاتجاه الإسلامي في شعر الطفولة في الأدب السعودي دراسة نقدية: كتاب جديد صدر عن دار عالم الكتب للنشر والتوزيع بالرياض في سلسلة إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، تأليف: نورة بنت عبد الرحمن بن حميد الحربي، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م. وأصل الكتاب رسالة مقدّمة لنيل درجة العالمية الماجستير، في النقد ومنهج الأدب الإسلامي، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

والكتاب بتقديم د.عبد الباسط بدر نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وبعد المقدمة

مهدت الكاتبة بمفهوم الاتجاه الإسلامي في الشعر عامة، ومفهوم الاتجاه الإسلامي في شعر الطفولة خاصة، وعوامل ازدهار أدب الطفل في الأدب السعودي، ثم ثلاثة فصول هي: قضايا المضمون في شعر الطفولة، وقضايا الشكل في شعر الطفولة، وسمات شعر الطفولة.

- صدر كتاب «القرن المحلِّق: الرواية الإفريقية وأدب ما بعد الاستعمار رواية خرائط لنور الدين فارح نموذجا» للدكتور مصطفى عطية جمعة، وهو الكتاب الفائز بجائزة الطيب صالح العالمية (الخرطوم)، في النقد الأدبي في الدورة السابعة ٢٠١٧م.
- صدرت طبعة جديدة من الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر محمود مفلح، أحد كبار شعراء فلسطين المعاصرين. وللشاعر أكثر من سبعة عشر ديوانا، يزاوج في شعره بين الشعر العامودي وشعر التفعيلة، يتميز شعره بجزالة الألفاظ وسمو الخيال والالتزام بقضايا الأمة.
- صدر كتاب: مدرسة البيان في النثر الحديث، تأليف د.حلمي محمد القاعود، دار البشير للثقافة والنشر- القاهرة، طبعة جديدة، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م، عدد الصفحات ٥٧٠ صفحة، من القطع الكبير.
- الملحمة الإسلامية الكبرى، شعر د.أحمد الخاني، نشر مكتبة التوبة، الرايض، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٧م، تقع في ١٤٥٦ صفحة من القطع الكبير، ضمت الملاحم الآتية في مسيرة الشاعر الطويلة: غزوة بدر، غزوة أحد، غزوة الخندق، غزوة مؤتة، معركة اليرموك، معركة القادسية، الحروب الصليبية، فتح القسطنطينية، الحرب العالمية الأولى، الحرب العالمية الثانية، الشيشان، في سبيل القدس، تونس، مصر، ليبيا، اليمن، سورية، عاصفة الحزم. والشاعر أحمد الخاني معروف بنفسه الشعري الطويل، وتجربته الغنية، وأسلوبه المتأنق، وصوره المحلقة.

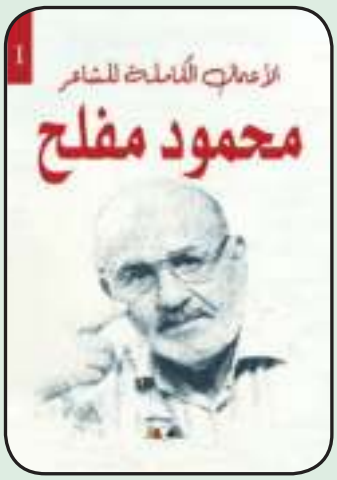

الشعراء المحدثون والتيه

د.عماد الدين خليل- العراق

ضرب الشعراء المحدثون عموماً في تيه ما اصطلح عليه (شعر التفعيلة) أو الشعر الحرّ، والأنماط الفنية الأكثر حداثة منه، وصولاً إلى الثيرة (قصيدة النثر).. فماذا كانت النتيجة؟ تأكيداً للقصيدة العمودية وليس نفياً لها، بل أستطيع أن أذهب أبعد من هذا فأقول: إنها لم تستطع حتى أن تهزها من عرشها، ولعلها زادتها تميزاً وتألقاً.. لننظر إلى ما يجري في المهرجانات والاحتفالات العامة، فإن العمل الشعري الذي يحقق حضوراً أكثر كثافة، على مستويي الجمهور والتأثير الوجداني إنما هو القصيدة العمودية.. إن ما تتميز به من تماسك في بنيانها الفني، ومن توحّد وتناظر في معمارها.. من تأثير جمالي مؤكد لتكرار الروي والقافية بصيغة ضربات متوازنة الإيقاع، محكمة الأداء الموسيقي، تشد سمع الجمهور ووجدانه الشعري.. تهيمن على حضوره.. فتكسب الجولة.

ليست كل القصائد العمودية بكل تأكيد، فهناك من بين هذه القصائد ما يدعو إلى القرف والاشمئزاز ويدفع للانفصال الوجداني عن الخطاب.. وفي المقابل فإن شعر الحداثة، بأنماطه كافة، يعد – كذلك – ضرورة من الضرورات في الساحة الشعرية، ويكفي أن ننظر إلى سيل من الأعمال المتألقة في مملكته لكي نتأكد من هذه الحقيقة. يكفي أن نرى ونلمس قدرة الخيال الشعري على التحرّر عبر صيرورته الفنية، من كل ما من شأنه أن يعوق تدفقه، وإيغاله، من حواجز المطالب الفنية للقصيدة العمودية، لكي تتبين لنا صدق المقولة.. فهل بعد هذا من ضرورة للاعتقاد بأن القصيدة العمودية يتحتم أن تنفي الإبداع الشعري الحرّ؟ أو أن هذا يقود بالضرورة إلى نفي العمود أو الحكم عليه بالإعدام؟

إن المسألة على العكس تماماً، فهذا التنوع والخصب في صيغ الخطاب الشعري إنما يحسب للشعر العربي وليس عليه، ونحن نعرف جميعاً تنويعات الشعراء العباسيين والأندلسيين في دائرة هذا النمط من الإبداع، وكيف أنهم زادوا ساحته غنى وتلويناً، ولم يقل أحد: إن هذا خروج عن الحضرة أو القداسة الموهومة للعمود الشعري الذي احترمه الآباء والأجداد.. فليس في تقنيات الإبداع الأدبي والفني حلال أو حرام، ولن يستطيع ناقد مسلم الادعاء بقدرته على « جدولة « هذه التقنيات وقبول بعضها ونفي البعض الآخر. وتبقى القدرة الإبداعية للشاعر هي الحكم الفصل في الحكم النقدي على أعماله سواء قدمها بصيغة العمود، أم التفعيلة، أم أية صيغة أخرى.

إن الشاعر العملاق قد نجده هنا وهناك.. وأدعياء الشعر وعجزته قد نجدهم – كذلك – هنا وهناك.. وليس الصراع بين أنماط الشعر كافة، سوى معركة موهومة لا مبرر لها، إذا تذكرنا كرةً أخرى أن القيم الجمالية قد توجد هنا، وقد تشح وتنعدم هناك، فيسقط معها العمل الشعري سواء كان حراً أم عمودياً.

الشاعر القدير هو الذي يستطيع أن يصوغ تجربته بالقالبين معاً، وعلى العكس فإن الشاعر الهزيل لن يكون بمقدور قصائده أن تلقى تقويماً أو ترحاباً سواء كانت عمودية أو حرة.. ومن المتفق عليه ابتداء أن الإبداع الشعري (أسوةً بكل الأنواع الأدبية) خطاب موجه من الشاعر إلى الآخر، أي القارئ أو المستمع، والشاعر الذي يعجز عن تنفيذ هذه المهمة تحت غطاء الإلغاز والتعتيم والترميز والغموض، سيلحق أذى أو خللاً في هذه المعادلة، وهذا ليس ذنب الآخر على أية حال. ولابدّ إذن من التحقق بالقدرة على نقل الشحنة بأكبر قدر من العمق والوضوح معاً، وهذا لن يتأتى إلا للقلة المتفوقة من الشعراء، سواء كتبوا قصائدهم وفق مطالب العمود أم حرروا تفعيلاتهم منه، فليس الأدب الإسلامي وحده خطاباً للجمهور، وإنما هي مهمة كل أدب على الإطلاق، وإلا فقد وظيفته الأساسية■

الأدب الإسلامي

٩٨

مجلة فصلية تصدر عن «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» - العدد (٩٨) - ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الجمال.. والجمال الأدبي بين الاحتفاظ والإسقاط في النقد الإسلامي

عباس المناصرة

شاعرية القص في مجموعة (ظلال وارفة) للأديبة سعاد الناصر

د. حلمي محمد القاعود

الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر الحسين شيخ الأزهر.. شاعراً محافظاً مصلحاً

د. غريب جمعة

الأدب الإسلامي لا يغيب عن المشهد الثقافي

لقاء العدد:
مع د. وضحى القحطاني

أثر العولمة في الكتابات العربية الأدبية الإسلامية في التسعينيات

محمد أويس الصديقي الندوي